البيان عند الشهاب الخفاجي

في كتابه "عناية القاضي وكفاية الراضي"

القسم الأول

في

التشبيـــــــه

إعـــداد ودراسة

دكتور فريد محمد بدوي النكلاوي

المدرس بقسم البلاغة والنقد

بكلية اللغة العربية — جامعة الأزهر

١٤٠١هـ — ١٩٨١م

مطبعة الأمانة
٣ شارع جنينة بدران شبرا - مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، خلق الإنسان علمه البيان ، والصلاة والسلام على خير من نطق بالضاد سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تمسك بهديه إلى يوم الدين، ذلك النبي الأمى الذى أوتى جوامع الكلم والقائل : إن من البيان لسحرا .

القرآن الكريم هو دستور الله فى الأرض ومعجزة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وسيظل يعطى من وجوه الإعجاز إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولذلك فإن لذة كل مسلم وسعادته الكبرى هى البحث فى كتاب الله سبحانه والوقوف على وجوه إعجازه التى أحارت العرب وحالت بينهم وبين معارضته مع فصاحة ألسنتهم وقوة قرائحهم .

ومن ثم كان اتجاهى إلى دراسة موضوعات البلاغة من خلال كتاب الله سبحانه وتعالى لمعرفة الأغراض البلاغية المتنوعة التى يمكن استنباطها من آيات الذكر الحكيم .

وباستعراض ما يمكن دراسته من كتب التفسير وقع اختيارى على واحد منها لم يحظ بعد بالدراسة التى تبرز ما فيه من مسائل علوم البلاغة وهو : عناية القاضى وكفاية الراضى للشهاب الخفاجى ، وهو بحر زاخر بشتى موضوعات البلاغة .

وقد أعجبت بهذا الكتاب وملك مشاعرى لما فيه من الدقة فى عرض الآيات واستنباط المسائل والأغراض البلاغية منها إلى جانب ذكر الآراء المختلفة وترجيح بعضها أو نقضه .

ولما لم يكن بالإمكان دراسة علوم البلاغة الثلاثة مرة واحدة لكثرتها جدا فى هذا الكتاب اقتصرت فى دراستى على علم البيان أولا واستخراج ما يتعلق به من موضوعات ودراستها .

على أن يتم إخراجه فى أقسام مستقلة تباعا .

وجعلت عنوان الكتاب : البيان عند الشهاب الخفاجى ، وتم بعون الله إخراج القسم الأول وهو التشبيه على أن يليه بمشيئة الله تعالى إخراج بقية أقسام علم البيان .

وقد وضعت تمهيداً تناولت فيه حياة الشهاب الخفاجى ومنزلته العلمية ومصادره ومنهجه ثم أتبعت ذلك بموضوعات التشبيه.

ولما كانت تقسيمات السكاكى وغيره للتشبيه تؤدى إلى توسيع الدائرة وكثرة الأقسام رأيت أن يكون التقسيم على أساس آخر يقلل من كثرة الأقسام إلى حد ما فجعلت الكتاب أربعة فصول :

— ذكرت فى الفصل الأول التشبيهات المفردة التى ذكرت فيها أداة التشبيه.
— وتضمن الفصل الثانى التشبيه المحذوف الأداة والمسمى بالتشبيه البليغ
— واحتوى الفصل الثالث التشبيهات المركبة وتشبيه التمثيل .
— وتناول الفصل الرابع أنواعا أخرى من التشبيه .

وأبرزت ما حققه الشهاب من مسائل بعناوين خاصة بكل مسألة .

وذكرت ما بدا لى من تعليق أو تحقيق فى هامش الكتاب كما حددت رقم كل آية والسورة التى منها الآية .

هذا ، وأرجو أن أكون قد استطعت الوفاء بمتطلبات الموضوع قدر طاقتى وأضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن يغفر لى ما بدا من تقصير فالكمال لله وحده ، كما أسأله سبحانه أن ينفع بهذا وأن يوفقنا إلى العمل على خدمة كتابه سبحانه ، إنه سميع مجيب الدعوات .

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا ؟

د . فريد محمد بدوى النكلاوى

المدينة المنورة فى
جمادى الأولى سنة ١٤٠١ هـ
مارس سنة ١٩٨١ م

تمهيـــــد

يتضمن الكلام عن الشهاب الخفاجي

التعريف بالشهاب(١) :

هو الشيخ أحمد بن محمد بن عمر قاضي القضاة الملقب بشهاب الدين الخفاجي المصري .

ولد بقرية سرياقوس قرب القاهرة ، والخفاجي نسبة إلى قبيلة خفاجة

نشأته :

نشأ الشهاب في مصر ، في حياة رغدة ، وقد ترجم لنفسه وتحدث عن نشأته وطلبه للعلم فقال :

« قد كنت في سن التمييز في مغرس طيب النبات عزيز في حجر والدي ، يمتعا بذخائر طريفي وتالدي ، مربى بغذاء علمي الظاهر والباطن ، في النعيم المقيم وأرفع المساكن ، ومقام والدي غني عن المدح ، والورق بأوكارها لا تعلم الصدح .

فلما درجت من عشي قرأت على خالي — سيبويه(٢) زمانه — علوم العربية ونافست إخواني في الجد والطلب ، ثم ترقيت فقرأت المعاني (٣) والمنطق وبقية علوم الأدب الاثني عشر .

ونظرت كتب المذهبين : مذهب أبي حنيفة والشافعي ، مؤسسا على الأصلين من مشايخ العصر ، متنزها في حدائق السحر ، موشحا لآدابي بحلل النظم والنثر » .

---

(١) انظر ترجمته في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ١ / ٣٣١ — ٣٤٣ وعناية القاضي ج١ ص١ وما بعدها .

(٢) يعني أبا بكر الشنواني . (٣) يعني البلاغة .

وقد أخذ الشهاب العلم عن كثير من علماء عصره فى مصر ثم ارتحل بعد ذلك للأخذ عن العلماء خارج مصر ، وممن أخذ عنهم :

— شيخ الإسلام الشمسى الرملى ، يقول عنه الشهاب : « حضرت دروسه الفرعية وقرأت عليه شيئا من صحيح مسلم وأجازنى بذلك وبجميع مؤلفاته ومروياته عن القاضى زكريا الأنصارى وعن والده » .

— ومنهم : الشيخ نور الدين الزيادى ، وقد حضر دروسه زمنا طويلا

— ومنهم : العلامة إبراهيم العلقمى ، ويقول عنه الشهاب : « قرأت عليه الشفاء بتمامه وأجازنى به وبغيره ، وشملنى نظره وبركة دعائه لى »

— ومن شيوخه أيضاً : على بن غانم المقدسى الحنفى ، قرأ عليه الحديث وكتب له اجازة بخطه .

— وممن أخذ عنهم فى الأدب والشعر : العلامة أحمد العلقمى ، والعلامة محمد الصالحى الشامى ، والمنايانى .

— وأخذ العروض عن الشيخ محمد المغربى .

— وأخذ الطب عن الشيخ داوود البصير .

رحلات الشهاب لطلب العلم :

يقول الشهاب . « ارتحلت مع والدى للحرمين الشريفين(١) وقرأت على الشيخ على بن جار الله العصام وغيره .

ثم ارتحلت إلى قسطنطينية فتشرفت بمن فيها من الفضلاء والمصنفين واستفدت منهم وتخرجت عليهم وهى إذ ذاك مشحونة بالفضلاء الأذكياء : كابن عبد الغنى ، ومصطفى بن عزمى ، والحبر داوود وهو ممن أخذت عنه الرياضيات وقرأت عليه اقليدس وغيره .

---

(١) مقدمة عناية القاضى ١/٢ وتاريخ آداب اللغة العربية ٣/٣٠٠

— وأجلهم إذ ذاك أستاذى سعد الملة والدين ابن حسن ، ولما توفى قام مقامه صنع الله ثم ولداه ثم انقرضوا فى مدة يسيرة ،

توليه القضاء وعزله منه :

تولى القضاء ببلاد روم إيلى حتى وصل إلى أعلا المناصب وفى زمن السلطان مراد العثمانى تولى قضاء سلانيك وذلك لاشتهاره بالفضل الباهر فحصل بها مالا كثيرا ، ثم أعطى بعدها قضاء مصر .

ولما عاد إلى قسطنطينية رأى فيها تفاقم الأمر وغلبة الجهل فذكر ذلك للوزير فكان سببا فى عزله والأمر بإخراجه من قسطنطينية .

وقد من الله عليه بالسلامة فرجع إلى الروم ومر فى طريقه على دمشق وأقام بها أياما ومدحه فضلاؤها ، واعتنى به أهلها وعلماؤها فأكرموا نزله .

ثم ذهب إلى حلب ومنها وصل إلى الروم وكان مفتى الروم إذ ذاك المولى يحيى بن زكريا فأعرض عنه المفتى فصنع مقامته التى ذكرها فى الريحانه وتعرض فيها للمولى المذكور فكان ذلك سببا لنفيه إلى مصر وأعطى فيها قضاء على وجه المعيشة فاستقر بمصر يؤلف ويصنف ويقرىء .

آثار الشهاب العلمية :

مما سبق ذكره عن شيوخ الشهاب ورحلاته لطلب العلم يتضح أنه لم يترك شيخا من فضلاء عصره إلا وقد أخذ عنه واستفاد من علمه ، كما أنه لم يترك فنا دون أن يقبل عليه بنهم وشغف حتى أجيز له معظم الفنون ، وقد هيأ له ذلك سعة العلم وزيادة المعرفة ويبدو ذلك واضحا فى مؤلفاته

وللشهاب مصنفات كثيرة نذكر منها :

— حاشية على تفسير القاضى البيضاوى سماها عناية القاضى ، وتقع فى ثمانى مجلدات ضخمة ، ط

— ريحانة الألباء ، ترجم به معاصريه على نسق اليتيمة(١) . ط .
— نسيم الرياض فى شرح شفاء القاضى عياض ، أربع مجلدات(٢) .
— شرح درة الغواص فى أوهام الخواص للحريرى .
— الرسائل الاربعين — كتاب السوانح .
— حاشية شرح الفرائض — الرحلة .
— حواشى الرضى والجامى — حديقة السحر .
— شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل .
— كتاب ديوان الأدب فى ذكر شعراء العرب ، ذكر فيــه مشاهير الشعراء من العرب العرباء والمولدين .
— كتاب طراز المجالس ، رتبه على خمسين مجلسا ذكر فيه مباحث تفسيرية ونحوية وأصولية وغيرها .
— خبايا الزوايا فيما فى الرجال من البقايا ،(٣) مخطوط .
— ريحانة الندمان(٣) ، مخطوط — الرسالة الليثية .
— كتاب الروض النضير فى شرح شواهد التفسير .
— وله رسالة تكلم فيها عن المشاكلة والاستعارة .
— كما أن له ديوان شعر(٣) ، وكل شعره مفروغ فى قالب الاجادة .
— ويذكر أصحاب كتب التراجم : أن له رسائل كثيرة ومـكاتبات وافرة لم يجمعها ومقامات ذكر بعضها فى ريحانته .

مكانة الشهاب العلمية :

كان للشهاب الخفاجى منزلة علمية لا تبارى ومكانة خاصة فى نفوس تلامذته ومعاصريه .

---

١ — الأعلام ١ / ٢٢٧ ، تاريخ آداب اللغة العربية ٢٩٩/٣ .
٢ — الأعلام ١ / ٢٧٧ . (٣) المرجع السابق

وقد تلقى العلم على الشهاب كثيرون اشتهروا بالفضل : منهم العلامة عبد القادر البغدادى ، والسيد أحمد الحموى وغيرهم .

ويقول الشيخ محمد الصباغ مصحح دار الطباعة الخديوية فى مقدمة عناية القاضى :

« واجتمع بالشهاب والدى المرحوم فى منصرفه إلى مصر وأخذ عنه ، وكتب عنه أصل الريحانة وكتب منها فى دمشق نسخا ، ومن ثم اشتهرت فضيلته وذكره فى رحلته فقال :

ثم جئت إلى رياض العلوم المزهرة بأصناف الفنون من منثور ومنظوم فجنيت زهر الآداب من تلك الحدائق الرحاب ، فكانت بيت قصيدها وواسطة عقدها وفريدها مالك أزمة هذه الصناعة ، وفارس حلبة البلاغة والبراعة جناب المولى الشهاب :

علامة العلماء واللج الذى لا ينتهى ولكل لج ساحل(١)

أشرقت بشموس علومه أفلاكها ، وتحلت أجياد الطروس بعقود ألفاظه وراجت نقود آدابه فى سوق عكاظه .

وقد اتفقت كلمة الكملة أنه واحد عصره بلا خلاف ، وأقرت له علماء دهره فى حيازة السبق بالاعتراف فانتهى إليه اليوم بلاغة البلغاء ، فما تظل الخضراء ولا تقل الغبراء فى زماننا أجرى منه فى ميدانها

وأما فنون الآداب فهو ابن بجدتها وأبو عذرتها ومالك أزمتها :

فان أقر على رق أنامله أقر بالرق كتاب الأنام له

قد سقت عيون قريحته المسائل فصار عزيز مصر وقاضيها .

وبنى وشيد بأيدى تحريراته معالم التنزيل ، ونضا قناع خفايا الأسرار بمحكم التأويل .

---

١ — مقدمة عناية القاضى جـ١ ص ٣

وقد حصلت من ضالتي المنشودة من لقياه ، وظفرت بالكنز الذي كنت أترجاه ... ألخ »

هذا ، وبعد طبع حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى قرظها الشيخ محمد الدمنهورى بكلام طويل منه قوله : « تزاحمت فى فن التفسير مناكب جهابذة فضلاء متقنين فاغترف كل من بحره على قدر ما أطاق ، وجنى من أزهار ثماره مارق لديه وراق ، وتنوعت مصنفاتهم أنواعا وأجناسا ، وإن من أجل ما جمع فيه فأوعى ، وأحاط بأطراف المعارف فكان أحسن صنعا ، وأرق طبعا عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى للشهاب الخفاجى ، وإنها لجديرة بالعناية .

كتاب عليه بهجة وجـــلالة وفيه على التحقيق حسن ورونق
فنى كل سطر منه عقد منظم ومن كل حرف نفحة المسك تعبق

أبدع فيه وأعجب ، وأنفق فى ترصيعه وأغرب ، أعرب عما استكن فى بطون الدفاتر من مخبآت الجواهر المكنونة ، وأخرج من تيار بحارها نفائس اللآلىء المصونة فكان جديرا بأن يكتب بماء العيون على صفحات اللجين ، ... إلخ ثم يقول :

فأصبحت — بعد طبعها — حدائق دانية الجنى ، عذبة المورد ، سهلة المقتنى ، تقتطف ثمارها أيدى الفقراء والأغنياء » .

وقد أرخ طبعها بعض الأعلام بأبيات منها :

لحاشية الشهاب بحسن طبع محاسن أصبحت تتلى وتذكر
بدت كالشمس للأبصار تزهو بوجه عن خبايا العلم أسفر
فصيرت الحواشى فى تلاشى لفرق مثل نور الصبح يظهر
تشم لنـــدها مسكا وطيبا وكافورا ونسرينا وعنبر (١)

---

(١) مقدمة حاشية الشهاب جـ ١

أبيات من شعر الشهاب الخفاجى :

مع ما للشهاب من منزلة أدبية وشهرة فائقة فى هذا المجال، ومع ما اشتهر عنه من شاعرية قويه نراه يقلل من قيمة الشعر ويرجع ذلك إلى أن الشعر — كما ذكر — يحط من قدر العلماء ويزرى بهم، ولذلك يقول :

فلولا الشعر بالعلماء يزرى ۝ لكنت الآن أشعر من لبيد(١)

وقد أورد له مصحح الحاشية شعراً كثيرا منه قصيدته الدالية :

قدحت رعود البرق زندا ۝ أخذ من أشجاننا ووجدا
فى خيمة الغلماء إذ ۝ مدت على الخضراء بردا
حتى تشابه نوره ۝ وتمطت الأغصان قدا

كما أن له قصيدة أخرى طويلة مطلعها :

أرح طرف عين جفاها الهجوع ۝ فان عناء الجفون الدموع

ومن شعره فى أهل التقوى قوله :

قبل يدا الخيرة أهل التقى ۝ ولا تخف طعن أعاديهم
ريحانة الرحمن عباده ۝ وشمها لثم أياديهم

وهذا الشعر مأخوذ من قول عيسى بن حجاج اليمنى : العبد المؤمن ريحانة الله فى أرضه ... إلخ .

ومن شعره فى الأخوة قوله :

أخوك الذى أن جئته لملمة ۝ يشمر عن ساق بعزم مسدد
يبادر أمر اليوم قبل مضيه ۝ وليس محيلا فى الأمور على غد

ومن لطائف الشهاب :

أنه دعاه العمادى المفتى إلى قصرهم بالصالحية فمر الشهاب وصحبته العمادى

---

(١) مقدمة الحاشية جـ ١ ص ١

وابن شاهين على الجسر الأبيض فنظر إلى غلام واقف هناك ووقف يتأمله فانتقد الهادى وابن شاهين ذلك عليه .

فأنشد بديهة يقول :

قيل لا تنظرن لوجه مليح إن هـــذا مبدد الحسنات
قلت هذا الجمـــال لما تبدا أشغل الكاتبين عن سيئاتى

وقد ختم كتابه ديوان الأدب بقوله :

أستغفر الله ما لى فى الورى شغل ولا سرور ولا آسى لمفقود
عما سوى سيدى ذى الطول قد قطعت مطالبى كلها مذ تم توحيدى

جوانب من تحقيقاته العلمية :

معنى المتشابه فى القرآن الكريم :

فى قوله تعـــالى (وأخر متشابهات) قال البيضاوى محتملات لا يتضح مقصودها الاجمال أو مخالفة ظاهر إلا بالفحص .

قال الشهاب : « كل آية منه تحتمل وجوها يشبه بعضها بعضا فتوصف بالتشابه باعتبار معناها وما فيها من الوجوه .

فسقط ما قيل : إن واحـــد متشابهات متشابهة وواحد أخر أخرى، والواحد منهما لا يصح وصفه بالآخر فلا يقال : أخرى إلا أن يكون بعض الواحد يشبه بعضاً ، وليس المعنى عليه بل لا يصح فى المفردات . وإنما المعنى إن كل آية تشبه الأخرى فكيف يصح وصف جمع بجمع لا يصح وصف مفرده بمفرده ؟

ثم يرد الشهاب على هذا بقوله : « ولا حاجة إلى ما تكلف فى الجواب عنه لأنه ليس من شرط صحة وصف المثنى والمجموع صحة بسط مفردات الأوصاف على أفراد الموصوفات .

كما أنه لا يلزم من الاسناد إليه صحة إسناده إلى كل واحد كما فى « وجد فيها رجلين يقتتلان(١) » إذ الرجل لا يقتتل ولذا قيل فى قوله « حافين حول العرش (٢) » ليس لحافين مفرد ، إذ الواحد لا يكون حافا أى محيطاً .

على أنه إذا علم أن المتشابه مجاز أو كناية مما لا يتضح معناه أو مالا يعلم معناه على الراسخين علم أن السؤال مغالطة غير واردة رأساً (٣)

ومن تحريراته عن وقوع السجع فى القرآن قال :

« وقال البقاعى فى كتاب مصاعد النظر : اختلف السلف فى السجع .

فقال أبو بكر الباقلانى فى كتاب الإعجاز : « ذهب أصحابنا الأشاعرة كلهم إلى نفى السجع فى القرآن ، كما ذكره أبو الحسن الأشعرى فى غير موضع من كتبه .

وذهب كثير ممن خالفهم إلى إثباته ا . ه

والقول الثانى فاسد من اختلاف أكثر فواصله فى الوزن والروى .

ولا ينبغى الاغترار بما ذكره بعض الأماثل كالبيضاوى والتفتازانى من اثبات الفواصل والسجع فيه ، وأن مخالفة النظم فى مثل هرون وموسى بحسبه .

ونقل أبو حيان فى قوله تعالى « ولا الظل ولا الحرور (٤) » أنه لا يقال فى القرآن قدم كذا وأخر كذا للسجع لأن الإعجاز ليس فى مجرد اللفظ بل فيه وفى المعنى ، ومتى حول اللفظ لأجل السجع عما كان يتم به المعنى بدون سجع نقص المعنى .

ثم إنه قال : لو كان فى القرآن سجع لم يخرج عن أساليب كلامهم ولم يقع به إعجاز ، ولو جاز أن يقال سجع معجز جاز أن يقال شعر معجز ، والسجع ما تؤلفه الكهان .

(١) القصص ١٥ (٢) الزمر ٧٥
(٣) حاشية الشهاب ٣ / ٥ (٤) فاطر ٢١

وقد أنكر صلى الله عليه وسلم على من سجع عنده ، ولو كان سجعا لكان قبيحا التقارب أوزانه واختلاف طرقه فيخرج عن نهجه المعروف ويكون كشعر غير موزون ، وما احتجوا به من التقديم والتأخير ليس بشيء وأنه كذكر القصة بطرق مختلفة .

ثم يعقب الشهاب على هذا بقوله : أقول أطال بلا طائل لتوهمه أن السجع — كالشعر لالتزام تقفيته — ينافى جزالة المعنى وبلاغته لاستتباعه للحشو المخل وأن الاعجاز بمخالفته لأساليب الكلام فشنع على هؤلاء الأعلام وليس بشيء .

والعجب منه أنه ذكر كلام الباقلانى مع التصريح فيه بأن من السلف من ذهب إليه .

والحق أنه وقع فى القرآن من غير التزام له فى الأكثر ، فكأن من نفاه نفى التزامه أو أكثريته ، ومن أثبته أراد وروده فيه على الجملة ، فاحفظه ولا تلتفت إلى ما سواه ، وهذا مما ينفعك فيما سيأتى ولذا فصلناه هنا لتكون على ثبت منه .

والذى عليه العلماء : أنه تطلق الفواصل عليه دون السجع »(١)

افتخار الشهاب بنفسه :

من الملاحظ أن الشهاب كثيرا ما يفتخر بنفسه فى كتابه عناية القاضى وذلك بعد تحقيق مسألة من المسائل ، كما أنه كثيرا ما يشيد بكتابه بأنه تفرد بكثير من دقائق المسائل وتمحيصها ، وهذا مثبوت فى ثنايا الكتاب ، لكننا سنذكر هنا جانبا من ذلك على سبيل المثال :

— بعد أن قرر المسألة قال : « فافهمه فانه مما تفرد به كتابنا وأظنك لا تراه فى غيره فانهم خبطوا فيه خبط عشواء(٢) »

---

(١) مقدمة حاشية الشهاب ، وخلاصة الأثر ١ / ٣٣١ .
(٢) عناية القاضى ٣ / ٢٤٧

وفى موضع آخر يقول : « فكيف بكتابنا هذا ؟ الذى حررنا فيه كل مشكلة وحللنا كل معضلة ، وهذبنا الأحاديث وألفاظها، ونقحنا تخريجها وأثبتنا فيه بالعجب والعجاب ، مما ضرب بينه وبين غيرنا الحجاب فلله در من قال :

قل لمن لا يرى المعاصر شيئا ويرى للأوائل التقديما
أن ذاك القديم كان جديداً وسيبقى هذا الجديد قديماً (١)

— وفى مكان آخر يقول : « وهو وجه بديع ، وهذا مما من الله به علينا فاحفظه فإنك لا تجده فى غير كتابنا هذا »(٢)

— ويقول : « فاحفظ الفرق وتدبره فإنه من دقائق هذا الكتاب »(٣)

— ويقول : « فاحفظ ذلك فانه تحقيق أنيق ، وتوفيق دقيق ، بمحض اللطف والتوفيق »(٤)

مصادر الشهاب فى كتابه « عناية القاضى وكفاية الراضى »

اعتمد الشهاب فى كتابه عناية القاضى على كثير من المصادر ، وأخذ عن كثير من العلماء فى شتى ميادين العلم واستفاد منهم بما يخدم هدفه من إخراج كتابه غاية فى الدقة والحسن وبما يحقق الإعجاز ويوضح بلاغة القرآن وفصاحته مع الوقوف على أسرار التعبير فى كل آية .

وإذا تتبعنا مصادره وجدنا أنه لم يترك فنا إلا وقد أخذ منه ، فقد أخذ من كتب التفسير والقراءات ، وكتب الحديث وشروحها ، وكتب الأصول والفقه ، وكتب اللغة والنحو وعلم الكلام والفلسفة . كما أخذ من كتب الأدب والشعر والبلاغة والنقد والأمثال ، واستفاد من كتب الطب والرياضة والفلك وكتب التاريخ والتراجم وغير ذلك من صنوف العلوم .

وقد ذكر أسماء المصادر التى أخذ عنها فى ثنايا الكتاب وكذلك أسماء العلماء الذين نقل عنهم . وأمكن حصر تلك المصادر ، ومن أهمها :

---

(١) المرجع السابق ٤/٣٧٥
(٢) المرجع السابق ٤/٦٩
(٣) المرجع السابق ٦/١٤٤
(٤) المرجع السابق ٦/٣٩٠

١ — أبكار الأفكار . الآمدى
٢ — أحكام القرآن . الجصاص
٣ — أدب الكاتب
٤ — الأذكار . النووى
٥ — أساس البلاغة . الزمخشرى
٦ — الأشباه والنظائر النحوية
٧ — الإشارات فى مقام العارفين
٨ — أصول الخبازى
٩ — إعجاز القرآن . الباقلانى
١٠ — إعراب الحماسة . ابن جنى
١١ — إعراب القرآن . الزجاج
١٢ — الأفعال . السرقسطى
١٣ — الأقصى القريب
١٤ — الإقليد
١٥ — أمالى المرتضى
١٦ — الانتصار . السبكى
١٧ — الانصاف . ابن المنير
١٨ — الايضاح وشروحه. ابن الحاجب
١٩ — البحر المحيط . أبو حيان الأندلسى
٢٠ — بدائع الفوائد . ابن القيم
٢١ — البديع . أبو السعادات
٢٢ — التأويلات . علم الهدى
٢٣ — تخريج أحاديث الكشاف الزيلعى
٢٤ — التذكرة . أبو على الفارسى
٢٥ — تفسير ابن العز
٢٦ — تفسير ابن عطية
٢٧ — تفسير ابن مردويه
٢٨ — تفسير بهاء الدين
٢٩ — تفسير السمرقندى
٣٠ — تفسير الطبرى
٣١ — تفسير الفاتحة . الفنارى
٣٢ — تفسير القرطبى
٣٣ — التفسير الكبير. الفخر الرازى
٣٤ — التقريب
٣٤ — التلخيص
٣٦ — التلويح وشروحه
٣٧ — التمييز . السكونى
٣٨ — التيسير
٣٩ — الجامع الصغير . ابن هشام
٤٠ — جمع الجوامع
٤١ — جوامع الكلم
٤٢ — الجواهر . السخاوى
٤٣ — حاشية الطيبى على الكشاف
٤٤ — حاشية الفنارى
٤٥ — حسن المدد . الجعبرى
٤٦ — حكم ابن عطاء الله
٤٧ — حل الفكر . القيروانى
٤٨ — حواشى الكشاف القطب الرازى
٤٩ — حواشى المطول
٥٠ — الدر المصون

٥١ — الدر المنثور
٥٢ — الدرة . الحريرى
٥٣ — دلائل الإعجاز . عبد القاهر
٥٤ — الذخيرة
٥٥ — ذريعة الشريعة
٥٦ — ذيل القريب . أبو موسى
٥٧ — الرسائل الأربعين . الرازى
٥٨ — رسالة إثبات الواجب . الصدر
٥٩ — رسالة الميعاد . أبو على الفارسى
٦٠ — الرسالة الوضعية وشروحها
٦١ — الروض الأنف
٦٢ — الروضة . النووى
٦٣ — الزاهى . ابن الأنبارى
٦٤ — سر صناعة الاعراب . ابن جنى
٦٥ — شرح الآثار . الطحاوى
٦٦ — شرح الالفية
٦٧ — شرح أوضح المسالك
٦٨ — شرح البخارى . الكرمانى
٦٩ — شرح البديع . ابن الهمام
٧٠ — شرح التسهيل . الدمامينى
٧١ — شرح تلخيص الجامع
٧٢ — شرح الحماسة . التبريزى
٧٣ - شرح ديوان أبى تمام . التبريزى
٧٤ — شرح ديوان المتنبى
٧٥ — شرح سير محمد الكبير السرخسى
٧٦ — شرح الشاطبية
٧٧ — شرح العقائد العضدية
٧٨ — شرح الفصيح ابن درستويه
٧٩ — شرح الفصيح . المرزوقى
٨٠ — شرح الكشاف . سعد الدين
٨١ — شرح الكنز
٨٢ — شرح المطالع وحواشيه
٨٣ — شرح مقامات الزمخشرى
٨٤ — شرح المقامات . المطرزى
٨٥ — شرح الهادى
٨٦ — شروح التلخيص
٨٧ — شروح المغنى
٨٨ — شروح المفتاح
٨٩ — الصحاح الجوهرى
٩٠ — الصناعتين . أبو هلال العسكرى
٩١ — طبقات الأطباء
٩٢ — طرق الفصاحة . ابن الفلس
٩٣ — عروس الأفراح
٩٤ — العقد الفريد . ابن عبد ربه
٩٥ — عيون الحقائق
٩٦ — غلط العوام
٩٧ — فتاوى قاضيخان
٩٨ — فتح القدير
٩٩ — الفصيح ثعلب
١٠٠ — فقه اللغة ابن فارس

١٠١ — الفروق . أبو هلال العسكرى
١٠٢ — القصريات . أبو على الفارسى
١٠٣ — قواعد ابن عبد السلام
١٠٤ — قواعد العلائى
١٠٥ — الكامل . المبرد
١٠٦ — كتاب الزكاة
١٠٧ — كتاب سيبويه
١٠٨ — كتاب اللصوص . الجاحظ
١٠٩ — كتاب القواعد . القرافى
١١٠ — الكشاف . الزمخشرى
١١١ — كشف الأسرار . الكورانى
١٢٢ — الكشف على الكشاف
١١٣ — كنز البلاغة . ابن الأثير
١١٤ — الكواشى
١١٥ — لباب التفاسير
١١٦ — اللب
١١٧ — لقط المرجان
١١٨ — المثل السائر . ابن الأثير
١١٩ — مجالس النحاس
١٢٠ — المحتسب . ابن جنى
١٢١ — المحصول
١٢٢ — المدخل . ابن الحجاج
١٢٣ — المرشد
١٢٤ — المرصع
١٢٥ — المساجد . الزركشى
١٢٦ — المسايرة . ابن الهمام
١٢٧ — مشارق اللغة . القاضى عياض
١٢٨ — مطاعن القرآن
١٢٩ — المطول . سعد الدين
١٣٠ — معارج القدس . الغزالى
١٣١ — معالم التنزيل . البغوى
١٣٢ — معانى القرآن . الفراء
١٣٣ — معجم البلدان . ياقوت الحموى
١٣٤ — مفردات الراغب . الأصبهانى
١٣٥ — الموازنة . الآمدى
١٣٦ — المواقف . العضد
١٣٧ — النشر فى القراءات العشر
١٣٨ — نظم القرآن . الجرجانى
١٣٩ — النهاية . ابن الأثير
١٤٠ — نهج البلاغة
١٤١ — نواهد الأبكار
١٤٢ — الهداية

منهج الشهاب فى عناية القاضى :

إن الذى يطلع على عناية القاضى يستطيع أن يتبين بوضوح كيف استطاع أن يوفى كل آية حقها فى الكلام عنها فى شتى النواحى واستخراج كل ما يمكن استخراجه من الآية القرآنيه من أحكام تتعلق بالاصول أوبالتوحيد وكذلك الفقه والبلاغة والأدب والنحو والطب وغير ذلك من الأمور التى يمكن استنباطها من الآية.

وقد سار الشهاب فى ذلك على منهج معين يمكن تلخيصه فيما يلى :

— ذكر كلام الإمام البيضاوى رحمه الله وتوضيح ما فيه من معان لغوية

— توجيه القراءات فى الآية وبيان المعنى على كل قراءة مع ترجيح لبعض القراءات على الأخرى ، مع نسبة كل قراءة لصاحبها .

— ذكر الاعتراضات التى وردت على كلام البيضاوى ومناقشتها ، وهو فى ذلك يؤيد بعض الاعتراضات مستدلا بالأدلة المناسبة من كلام المفسرين وغيرهم ، ويبين وجه الصحة فى الاعتراض .

وإذاكان الاعتراض لا أساس له انتقده وأبطله مبيناوجه البطلان بذكره الأدلة القوية .

— كثيرا ما يقوم بالدفاع عن البيضاوى ويبدو ذلك واضحا فى ثنايا الكتاب ومن دفاعه عن البيضاوى فى قسم التشبيه ما نراه فى الآيات ٨٤ الانعام ، ٥٩ الشعراء ، ٢٤ هود ، ٤٥ الكهف ، وغير ذلك كثير .

— إذا كانت عبارات البيضاوى تحتاج إلى تعديل قام بتعديلها لتناسب المقام ومن ذلك ما ذكره من تعديل فى الآيات ٩٥ سورة هود ، ٦٤ سورة العنكبوت ، ٣٢ سورة الأنعام ، ٣٩ ، ٤٠ سورة النور ، ١٥ سورة الملك ٤ سورة المنافقون .

— ذكر المذاهب النحوية واختيار ما يتناسب مع الآيات .

— دراسة الأحاديث النبوية وبيان روايتها وصحة الروايات أو ضعفها مع ذكر معنى الحديث وما فيه من نكات بلاغية وغيرها .

— يذكر الشهاب تراجم للأشخاص الذين يرد ذكرهم فى كلام البيضاوى
— عند استشهاد البيضاوى بأبيات شعرية يذكر الشهاب المناسبة التى قيل فيها البيت أو القصيدة مع ذكر اسم الشاعر ويشرح تلك الابيات شرحا وافيا ثم يذكر ما فيه من مسائل بلاغية .
— شرح الأمثال السائرة وبيان مناسبتها وقائلها .
— استنباط الاحكام الأصولية والفقهية واللغوية والشرعية وغير ذلك من الاحكام التى تتعلق بالطب والفلك والرياضة من كل آية يتحدث عنها .
— استخراج المسائل البلاغية من الآيات سواء كانت تلك المسائل تختص بعلم المعانى أو بعلم البيان أو البديع .

وقد كان له فى ذلك الباع الطويل حيث نالت مسائل البلاغة منه الحظ الوافر والبحث الدقيق المتأنى لإبراز بلاغة القرآن فى أعظم صورها وأبهى حللها ، وهـــو لا يدخر وسعا فى ذلك بل يبذل أقصى ما يمكن فى بيان الأغراض والنكات البلاغية .

وان كان فى الآية الواحدة اكثر من غرض بلاغى بينه ووضحه ورجح بعض الأغراض على الأخرى مؤيدا كلامه بآراء علماء البلاغة البارزين

وفى هذا المجال كثيرا ما يؤيد وجهة نظر بعضهم كتأييده للسيد الشريف فى الآية رقم ٤٠ من سورة النور ، وترجيحه لكلام الطيبى فى الآية ٢٤ من سورة يونس ، وموافقته لكلام الزمخشرى فى الآيات ٦ ، ٧٥ من سورة الأنعام ، ٩ من سورة مريم ، ١٧ من سورة البقرة ، ٤٠ من سورة النور ، ٤ من سورة المنافقون .

وإلى جانب موافقته لهؤلاء نجده كثيرا ما يخالف بعض البلاغيين فيما ذهبوا إليه ومن ذلك مخالفته للسكاكى فى الآية ١٧ من سورة النحل وغيرها ويبدو ذلك واضحا فى قسم التشبيه وغيره .

— استعراض كل الآراء فى الآية التى يتحدث عنها ومناقشتها مع اختيار ما يراه ملائما .

— انفراده ببعض الآراء أحيانا عندما لا يجـد رأيا شافيا يمكن التعويل عليه .

— ذكره لأسماء العلماء والكتب التى نقل عنها فى الغالب .

— وفى نقده للآراء التى لا يراها مناسبة نراه أحيانا يذكر أسماء أصحابها وأحيانا أخرى لا يذكر تلك الأسماء وإنما يورد الرأى بقوله : فما قيل كذا لا أصل له ، وقوله : خلافا لما قيل كذا

— كما أن نقده للآراء غالبا ما يكون قاسيا ، كقوله : أطال بلا طائل وقوله : ومثله غنى عن الرد (١) ، وقوله : وخبط بعضهم خبط عشواء فلا فائدة فى ذكر كلامه (٢) ، وقوله : هذه عكازة أعمى (٣) ، وقوله ولا يخفى أن هذا صيد من المقلى .

ويتضح ذلك فى قسم التشبيه وغيره وهو كثير لكننا ذكرنا ذلك كمثال ، تلك أبرز النقاط التى ظهرت فى منهجه وهناك نقاط أخرى تركناها للاختصار هذا ، والجدير بالذكر أن الشهاب يأخذ فى استنباطه النكات البلاغية من الآيات وغيرها بمذهب جمهور البلاغيين وإن كان يخرج بعض النكات أحيانا على مذهب القلة ، أو يأخذ بآراء مخالفة لما عليه الجمهور . ومن ذلك موافقته لرأى السكاكى فى عده ما أفاد التشبيه من أسلوب التجريد تشبيها بليغا مخالفا بذلك رأى الجمهور والأمثلة على ذلك مذكورة فى قسم التشبيه .

وقد خرج بعض الآيات التى يكون المشبه والمشبه به مذكوران فيها على أنها من المجاز ، وذلك مذكور فى محله من التشبيه أيضاً .

لكنه مع ذلك يسير كما قلنا على نهج جمهور البلاغيين .

---

(١) عناية القاضى ١٩/٨ (٢) نفس المرجع ٦١/٢

(٣) نفس المرجع ٢٤٣/٦

وفاة الشهاب الخفاجى :

كانت وفاته رحمه الله يوم الثلاثاء اثنتى عشرة من شهر رمضان سنة تسع وستين وألف وقد أناف على التسعين(١) ، ووجد فى مخلفاته عشرة آلاف مجلد ، وقد رثاه هو والفقيه الكبير محمد بن أحمد الشوبرى أحمد ابن محمد الحموى ـ وكان قرأ عليهما ـ بقوله :

مضى الإمامان فى فقه وفى أدب　　الشوبرى والخفاجى زينة العرب
وكنت أبكى لفقد الفقه منفردا　　فصرت أبكى الفقه والأدبا

قيمة التشبيه وفائدته

التشبيه وسيلة من وسائل التعبير التى تستمد قوتها من الخيال ، وهو من فنون التعبير الشعرى ، أولع به شعراء العرب منذ الجاهلية حتى العصور المتأخرة .

والأصل فى فن التشبيه أنه تعبير فنى وأنه ضرب من المحاكاه فى صور الشاعر للطبيعة عن طريق البحث لما يريد التعبير عنه من المعانى عن معادل أو موازن حسى من الطبيعة أو البيئة المدركة بالحس(٢) .

والبليغ يؤثر اسلوب التشبيه لما يحتوبه من فوائد تعود على الاسلوب من وضوح الفكرة والمبالغة فيها والإيجاز للوصول إلى الغرض(٣) .

وقد اهتم العلماء والأدباء قديما وحديثا بالتشبيه والكلام عنه وابراز قيمته وفائدته فى توضيح المعانى ، وإذا أردنا حصر ماقالوه فى هذا المقام

(١) خلاصة الأثر ٣٤٣/١ ، وكشف الظنون ٦٩٩/١ .
(٢) مقدمة غرائب التنبيهات ص١٧ .
(٣) البيان فى ضوء أساليب القرآن ص١١٤

لوجدناه كثيرا ولكننا سنكتفى هنا بذكر نماذج مما قالوه فى فائدة التشبيه تبين لنا قيمته .

يقول الزمخشرى : « ولضرب الأمثال واستحضار المثل والنظائر شأن ليس بالخفى فى إبراز خبيئات المعانى ورفع الأستار عن الحقائق حتى يريك المتخيل فى صورة المحقق ، والمتوهم فى معرض المتيقن ، والغائب كأنه مشاهد(١) » .

أما الامام عبد القاهر فقد اعتنى ببيان فائدة التمثيل عناية فائقة وفصل ذلك مع ذكر الأمثلة وشرحها شرحا أدبيا رائعا ، ومن ذلك قوله(٢) : فالتمثيل يكسو المعانى أبهة ويكسبها منقبة ، ويرفع من اقدارها ويشب من نارها ، ويستثير لها من أقاصى الأفئدة صبابة وكلفا وحمية وشغفا .

وإن كان المعنى مدحا كان أبهى وأفخم وأنبل فى النفوس وأعظم وأجلب للفرح . وأسير على الألسن وأذكر ، وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر .

وإن كان ذما كان مسه أوجع ، ووقعه أشد ، وإن كان وعظا كان اشفى للصدر ، وأدعى إلى الفكر وأبلغ فى التنبيه والزجر » .

ويقول أبو هلال العسكرى : « التشبيه يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيدا(٣) » ، ويرجع ابن سنان حسن التشبيه إلى إيضاح المعنى وبيان المراد أو الغلو والمبالغة(٤) .

وقال ابن رشيق ، التشبيه يخرج الأغمض إلى الأوضح ويقرب البعيد(٥) .

وقال ابن الأثير : إنك إذا مثلت الشيء بالشيء فإنما تقصد به إثبات الخيال فى النفس بصورة المشبه به أو بمعناه وذلك أوكد فى طرفى الترغيب فيه أو التنفير

---

(١) الكشاف ١/ ٢٠٠ . (٢) اسرار البلاغة ص ٩٣ وما بعدها .

(٣) الصناعتين ص ٢٤٩ . (٤) سر الفصاحة ص ٢٩٠ .

(٥) العمدة ١/ ٢٨٧ .

منه ، ألا ترى أنك إذا شبهت صورة بصورة هى أحسن منها كان ذلك مثبتا فى النفس خيالا حسنا ، وكذلك إذا شبهتها بصورة شىء أقبح منها كان ذلك مثبتا فى النفس خيالا قبيحا ومن ذلك قول ابن الرومى فى مدح العسل وذمه :

تقـول هذا مجـاج النحل تمدحه وإن تعب قلت ذا قىء الزنابير(٦)

ويرجع العلوى فائدة التشبيه إلى: المبالغة والإيجاز والبيان والإيضاح(١).

ويقول ابن القيم : « فائدة التشبيه الكشف عن المعنى المقصود مع ما يكتسب من فضيلة الإيجاز والاختصار ، والدليل على ذلك قولنا : زيد أسد فالغرض أن نبين أن زيداً متصف بشهامة النفس والشجاعة إلا أنا لم نجد شيئا يدل عليه سوى جعلنا إياه شبيها بالأسد حيث كانت هذه الصفات مختصة به مقصورة عليه فصار ما قصدناه من هذا القول أكشف وأبين من أن لو قلنا زيد شهم شجاع قوى البطش جرىء الجنان... الخ لما قد عرف من اجتماع هذه الصفات فى المشبه به فانه معروف بها مشهور بكونها فيه(٢) » .

وقال عبد الرحمن حنبكة: « والأمثال القرآنية تكشف لنا الأغراض الآتية :

تقريب صورة الممثل إلى الذهن ، والإقناع بالفكرة ، والترغيب بالتزيين أو التنفير بكشف جوانب القبح ، وإثارة محور الطمع أو محور الخوف لدى المخاطب ، وشحذ ذهن المخاطب وتحريك طاقاته الفكرية (٣) » .

وهكذا نجد أن للتشبيه فوائد لها قيمتها فى مجال التعبير (٤) .

---

(١) المثل السائر ١٢٤/٢ .
(٢) الطراز ٢٧٣/١ .   (٣) الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن /٥٤ .
(٤) الأمثال القرآنية ص ٣٩ .

التشبيه عند الشهاب الخفاجي

الفصل الأول

التشبيهات المفردة والمذكور فيها أداة التشبيه

مجيء الكاف للتشبيه أو بمعنى على

في قوله تعالى ﴿ فاستقم كما أمرت [1] ﴾ قال الشهاب الخفاجي : «الكاف فيه إما للتشبيه أو بمعنى على كما في قولهم : كما أنت عليه ، أي على ما أنت عليه [2] » .

وقال أبو حيان في تذكرته : إن قلت كيف جاء هذا التشبيه للاستقامة بالأمر ؟ قلت : هو على حذف مضاف تقديره : مثل مطلوب الأمر أي مدلوله . فإن قلت : الاستقامة المأمور بها هي مطلوب الأمر فكيف يكون مثلا لها ؟ قلت : مطلوب الأمر كلي والمأمور جزئي فحصلت المغايرة وصح التشبيه كقولك : صل ركعتين كما أمرت أ. هـ » وفيه تأمل [3] فتدبر [4] » .

---

(١) هود ١١٢ (٢) انظر سر صناعة الاعراب لابن جنى ص٣١٨

(٣) التأمل المقصود : أن الصلاة وإن كانت ركعتين فهي من نفس المأمور به ولذلك فهو يرجح كون الكاف بمعنى على ، وفي الكشاف أنها للتشبيه حيث قال : «فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها على جادة الحق غير عادل عنها » الكشاف ٢/٢١٥ .

(٤) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٥/١٤٣

تشبيه الغرض منه تقبيح المشبه

فى قوله تعالى ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون ﴾ قال البيضاوى « إذا بعثوا من قبورهم ﴿ إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس [١] ﴾ إلا قياما كقيام المصروع » .

قال الشهاب – بعد عرضه للآراء – « قال ابن عطية المراد تشبيه المرابى فى حرصه وتحركه فى اكتسابه فى الدنيا بهذا كما يقال لمن يسرع بحركات مختلفة قد جن وهو بعيد [٢] » . حاشية الشهاب ٢/٣٤٦ .

فى قوله تعالى ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا [٣] ﴾ قال البيضاوى : «أى كاليهود والنصارى ، والأظهر أن النهى فيه مخصوص بالتفرق فى الأصول دون الفروع » .

قال الشهاب : «التخصيص المذكور [٤] مأخوذ من التشبيه »[٥] حاشية الشهاب ٣/٥٤ .

---

(١) البقرة ٢٧٥ .

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ٢/٣٤٥ ، هذا والزمخشرى مع قوله إن هذا يكون يوم القيامة جعله على التشبيه ، وكذلك ابن قتيبة ، انظر الكشاف ١/٣٩٩ وتأويل مشكل القرآن ص ٤٣٥ .

(٣) آل عمران ١٠٥ .

(٤) يعنى تخصيص التفرق بكونه فى الأصول .

(٥) فى الكشاف : المشبه به إما اليهود والنصارى أو أصحاب البدع من المسلمين كالمشبهة والمجبرة ، ١/٤٥٣ .

موازنة بين آيتين مع نقد :

فى قوله تعالى ﴿كدأب آل فرعون [1]﴾ قال البيضاوى : « أى دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذى داوموا عليه ﴿والذين من قبلهم كفروا بآيات الله﴾ تفسير لدأبهم ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ كما أخذ هؤلاء » .

الشهاب : « الدأب إدامة السير والعادة المستمرة وهو المراد هنا ، وقوله تفسير لدأبهم أى للدأب المشبه والمشبه به [2] لأنه بيان لوجه الشبه كما سيأتى ، وقوله كما أخذ هؤلاء المقصود بيان اشتراكهما فى الأخذ[3] لا التشبيه حتى يقال إنه تشبيه مقلوب [4] ». حاشية الشهاب ٤/٢٨٤ .

وفى قوله تعالى ﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون﴾[5] قال البيضاوى « تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعمة بقوله ﴿بآيات ربهم﴾ وبيان ما أخذ به آل فرعون .

وقيل : الأول لتشبيه الكفر والأخذ به ، والثانى لتشبيه التغيير فى النعمة بسبب تغييرهم ما بأنفسهم » .

---

(١) الأنفال ٥٢ .
(٢) يعنى أنهم فى كفرهم يشبهون آل فرعون فى كفرهم .
(٣) هذا وجه الشبه .
(٤) يعنى لو كان المراد من قوله كما أخذ هؤلاء التشبيه لظن أنه تشبيه مقلوب .
(٥) الأنفال ٥٤ .

قال الشهاب : والحاصل أن الدأب المشبه والمشبه به هنا فإما الأول أو مغاير له .

فعلى الأول [١] : يكون تكريرا للتأكيد [٢] وليس تكريرا صرفا لما فيه من الزيادة والتغيير لأنه يدل على أنهم كفروا نعمه وهو مربيهم المنعم عليهم بجميع النعم كما يدل عليه لفظ الرب ولذا لم يقل : كذبوا ولا بآياته ، وفيه بيان للاخذ بالإهلاك والإغراق .

وقيل : لأن الآيات نعم فتكذيبها كفران بها ، وأيضا الرب مفيض النعم فتكذيب آياته كفران لنعمه ، والأول أولى

وقوله : وقيل الأول لتشبيه الكفر والأخذ ... الخ فيتغاير التشبيهان ولا يكون تأكيدا [٣] .

قال في الفرائد : هذا ليس بتكرير لأن معنى الأول حال هؤلاء كحال آل فرعون في الكفر فأخذهم وأتاهم العذاب ، ومعنى الثاني حال هؤلاء كحال آل فرعون في تغييرهم النعم وتغيير الله حالهم بسبب ذلك التغيير وهو أنه أغرقهم بدليل ماقبله .

وقيل إن النظم يأباه [٤] لأن وجه التشبيه في الأول كفرهم المترتب

---

(١) يعني على أن الدأب هنا هو نفس الدأب في الآية السابقة .

(٢) وهذا ما ذهب إليه الزمخشري ، الكشاف ٢/١٦٤ ، وفي الجمان : التكرير إنما هو تصريف للقول بالذم بماكانوا عليه من قبح الفعل ولأنه على نوعين مختلفين من العذاب ، والشهاب ارتضى الوجه الأول .

(٣) انظر البحر المحيط ٤/٥٠٧ .

(٤) يعني نظم الآيات يأبى أن يكون التشبيه الثاني تأكيداً للأول .

عليه العقاب فينبغى أن يكون وجهه فى الثانى كقوله كذبوا ... الخ لأنه مثله إذ كل منهما جملة مبتدأة بعد تشبيه صالحة لأن تكون وجه الشبه فتحمل عليه كقوله تعالى ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب[١]﴾ ، وأما قوله ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم﴾ فكا لتعليل لحلول النكال معترض بين التشبيهين غير مختص بقوم فجعله وجها للتشبيه بعيد عن الفصاحة ، وهذا وجه غريض فتأمل » حاشية الشهاب ٤/ ٢٨٥

فى قوله تعالى (وترهقهم ذلة)[٢] قال الشهاب : «قيل إنها مجاز[٣] عن سبب الذلة ﴿ كأنما أغشيت ﴾ البيضاوى : غطيت ﴿ وجوههم قطعا من الليل مظلما ﴾ لفرط سوادها وظلمتها .

قال الشهاب : قوله لفرط سوادها وظلمتها هو وجه الشبه[٤] حاشية الشهاب ٥/٢٣] .

فى قوله تعالى ﴿ ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود ﴾[٥] قال البيضاوى: شبههم بهم لأن عذابهم كان أيضا بالصيحة .

قال الشهاب : ناقدا لعبارته ـ فيه تسمح ، أى شبه هلاكهم بهلاكهم

---

(١) آل عمران ٥٩ .   (٢) يونس ٢٧ .

(٣) يعنى مجازا مرسلا بعلاقة المسببية .

(٤) المشبه ما ظهر من إرهاق الذلة وما بدا على وجوههم من الكآبة والمشبه به قطع الليل .

(٥) هود ٩٥ .

لاتحاد نوعه (١) حاشية الشهاب ٥/١٣٢ .

قال تعالى «هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل» (٢)

قال الشهاب : « شبه ائتمانه على هذا (٣) بائتمانه على ذلك (٤) »

حاشية الشهاب ٥/١٨٩

تشبيه مقلوب أو تشابه أو مشاكلة :

في قوله تعالى ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق ﴾ (٥) قال البيضاوي : وكان حق الكلام أفمن لا يخلق كمن يخلق ؟ لكنه عكس تنبيها على أنهم بالاشراك بالله سبحانه وتعالى جعلوه من جنس المخلوقات العجزة تشبيها بها ، والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله سبحانه وتعالى فغلب فيه أولوا العلم منهم ، أو الأصنام وأجراها مجرى أولى العلم لأنهم سموها آلهة ومن حق الإله أن يعلم ، أو للمشاكلة بينها وبين من يخلق ، أو للمبالغة وكأنه قيل : إن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولى العلم فكيف بما لا علم عنده؟

قال الشهاب : «قوله وكان حق الكلام أفمن لا يخلق كمن يخلق ، أي حقه هذا بحسب الظاهر في بادىء النظر لأن المقصود إلزام عبدة

---

(١) يعني ليس القصد إلى تشبيه القوم بالقوم .

(٢) يوسف ٦٤

(٣) يعني أخا يوسف .

(٤) وفي الكشاف : يريد إنكم قلتم في يوسف (وإنا له لحافظون) كما تقولونه في أخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمني من مثل ذلك ، الكشاف ٢/٣٣١

(٥) النحل ١٧ .

الأصنام ، وسموها آلهة تشبيها بالله وهم جعلوا غير الخالق مثله فكان حقه : أفمن لا يخلق كمن يخلق ؟

ووجه الجواب : أن توجه التشبيه إذا قرن بين المشبه والمشبه به رجع التشبيه إلى التشابه [1] فيقال : وجه الخليفة كالقمر ، والقمر كوجه الخليفة ، والمشركون لما عاملوا الأصنام معاملة الإله الخالق إذ سموها آلهة وعبدوها فلم يبق عندهم فرق بينها وبينه — تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا — فحصل التشابه فلذا عبروا بما ذكر .

أو هو من التشبيه المقلوب إذ من حق المشبه أن يكون أحط من المشبه به [2] فيما وقع فيه الشبه فإذا عكس كان فيه مزيد تقريع وتجهيل

---

(١) انظر بغية الإيضاح ٤٦/٣ ، وعقود الجمان للسيوطى ٢٦/٢ ، وشروح التلخيص ٤١٢/٣ .

(٢) وقال فى قوله تعالى (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) إن المشبه لا يلزم أن يكون أدون من المشبه به فى وجه الشبه ، وهذا الكلام ظاهره التناقض لكنه يقول ذلك بناء على الغرض المقصود من كل تشبيه كما هو معروف عند البلاغيين ، وقد وضح هذه القضية سعد الدين فى المطول رادا على كلام السكاكى (من أن المشبه به حقه أن يكون أعرف بجهة التشبيه وأخص وأقوى إلخ) فقال سعد الدين ليس الأمر كذلك بل بيان الإمكان يقتضى كون المشبه به بالوجه أشهر لكنه لا يقتضى كونه أتم ، وبيان الحال يقتضى الأشهرية وبيان المقدار لا يقتضى كونه أتم بل يقتضى كون المشبه على حد مقدار المشبه به فى الوجه ، وتقرير الحال يقتضى الأتمية والأشهرية ، ويناقش السيد هذه القضية فى حاشيته على المطول بإفاضة ، المفتاح ص ١٦٤ ، والمطول بحاشية السيد ص ٣٣٢ — ٢٣٥

وكلام المصنف يحتمل هذين الوجهين ، والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله ، لما كان الظاهر ما لا يخلق لأن الكلام فى الأصنام وهى لا تعقل دفعه بأنه ليس مخصوصا بها بل المراد كل ما عبد فيشمل الملائكة وعيسى من أولى العلم وأتى بمن تغليبا لذوى العلم على غيرهم .

قوله : أو الأصنام وأجراها ... الخ وفى نسخة وإجراؤها بصيغة المصدر ، إن المراد الأصنام ولما عبدوها والمعبود لا يكون إلا من ذوى العلم عبر به بناء على ما عندهم فهو حقيقة ، أو هو جار على نهج المشاكلة لمن يخلق. قوله : أو للمبالغة .. وكأنه قيل : إن من يخلق كمن لا يخلق .. الخ قال الزمخشرى فى تقرير هذا الوجه « أو يكون المعنى : أفمن يخلق من أولى العلم كمن لا يخلق منهم فكيف من غيرهم كقوله تعالى ﴿ ألهم أرجل يمشون بها ﴾[١] يعنى أن الآلهة حالهم منحطة عن حال هؤلاء الذين لهم أرجل وأيد وأعضاء سالمة لأن هؤلاء أحياء وهم أموات فكيف تصح لهم العبادة ؟ لأنها لو صحت هذه الأعضاء لصح أن يعبدوا »[٢] اهـ فقيل عليه[٣] « إنه يحوم على أن العباد يخلقون أفعالهم وأن المراد إظهار التفاوت بين من يخلق منهم ومن لا يخلق كالعاجزين والزمنى حتى يثبت التفاوت بين من يخلق منهم وبين من لا يخلق من الأصنام بالطريق الأولى ، ولقد تمكن منه الطمع حتى اعتقد أنه يثبت خلق العبد لأفعاله

---

(١) الأعراف ١٩٥ (٢) الكشاف ٢/٤٠٥

(٣) يعنى اعترض على الكشاف ، والمعترض هو صاحب الانصاف على الكشاف ، انظر المرجع السابق .

بتنزيله الآية على هذا التأويل وتمنى لو تم له ذلك وتبعه بعض الشراح » ورد (٤) : بأنه غلط وغفلة عن كلامه ، إذ المراد بمن لا يخلق جميع أولى العلم وهذا هو الوجه الذى عزاه صاحب المفتاح (٥) لنفسه إذ توهم ما توهموا وغفل ما غفلوا .

فقول المصنف للمبالغة معطوف على قوله للمشاكلة فيكون من فروع كون المراد بمن لا يخلق الأصنام على فرض أنها من أولى العلم ، يعنى لو كان من أولى العلم وهم ليسوا بخالقين لا يستحقون المساواة والشركة للعالم الخالق فكيف يشبه بهم ولا عقل فيهم ؟ أو هو معطوف بحسب المعنى على قوله والمراد بمن لا يخلق أى أو الكلام للمبالغة فالمراد بمن لا يخلق العالم القادر من الخلق دون الأصنام فلفظ (من) على حقيقته .

والمقصود : إنكار تشبيه الأصنام بالله على أبلغ وجه لأنه إذا لم يصح تشبيه الحى القادر به تعالى من الخلق فكيف بالجمادات ؟ وهذا هو الموافق لما فى الكشاف والمفتاح فإن حمل عليه كلام المصنف فبها وإلا

---

(١) يعنى رد كلام صاحب الانصاف .

(٢) قال السكاكى : « وعندى أن الذى تقتضيه البلاغة القرآنية هو أن يكون المراد بمن لا يخلق الحى العالم القادر من الخلق لا الأصنام وأن يكون الانكار موجها إلى توهم تشبيه الحى القادر من الخلق به تعالى تعريضا به عن أبلغ الانكار لتشبيه ماليس بحى قادر به تعالى ويكون قوله (أفلا تذكرون) تنبيه وتوبيخ على مكان التعريض ، فالسكاكى جعل مع التشبيه تعريضا لهم وتوبيخا ، المفتاح ص ١٦٢ .

فذاك وجه آخر لم يذكره المصنف، كذا قرره أرباب الحواشي فتدبر»[١] حاشية الشهاب ٥/٣٢٠-٣٢١ .

أو التي للتخيير تكثر في التشبيه مع نقد :

قال البيضاوي في قوله تعالى ﴿وما أمر الساعة﴾ وما أمر قيام الساعة في سهولته وسرعته ﴿إلا كلمح البصر﴾ إلا كرجع الطرف من أعلا الحدقة إلى أسفلها ﴿أو هو أقرب﴾[٢] أي أو أمرها أقرب منه بأن يكون في زمان نصف تلك الحركة ، وأو للتخيير أو بمعنى بل ، وقيل معناه : إن قيام الساعة وإن تراخى فهو عند الله كالشيء الذي يقولون فيه هو كلمح البصر أو هو أقرب مبالغة في استقرابه .

قال الشهاب : «قوله وما أمر قيام الساعة...فيه إشارة إلى تقدير مضاف ، والسرعة والسهولة عليه تعالى مأخوذة من تشبيهه بلمح البصر ، والطرف مصدر في الأصل ويطلق على الجفن الأعلى وهو المراد هنا ، وقوله أو أمرها ... بيان لأن ضمير هو راجع لأمر الساعة وضمير منه للمح البصر وهو بيان لأن متعلق أقرب محذوف للعلم به ، وتلك الحركة أي حركة الطرف ، وقوله كان في آن أي أي جزء من الزمان غير منقسم وهذا مما تبع في استعماله الحكماء والمولدين ، والمذكور في كتب اللغة والنحو أن الآن هو الزمان الذي تقع فيه الحركة والسكون قولا وفعلا ، وقد وقع آن في أول أحواله بالألف واللام معرفة وأنه ليس له نكرة

---

(١) يعني أن ما ذكره في الآية من توضيح أخذه من أصحاب الحواشي .
(٢) النحل ٧٧ ، والغرض من التشبيه فيها بيان التحقق .

ولا يقال آن منكرا ولذا بنى ، وفيه كلام طويل فى شرح أدب الكاتب.
قوله : وأو للتخيير [١] ... الخ هذا بناء على ماذهب إليه ابن مالك من أن التخيير مدلول أو وأنه غير مختص بالوقوع بعد الطلب بل يقع فى الخبر ويكثر فى التشبيه حتى خصه بعضهم به فى الخبر كقوله ﴿ فهى كالحجارة أو أشد قسوة ﴾ [٢] ، وفى شرح الهادى اعلم أن التخيير والإباحة مختصان بالأمر إذ لا معنى لها فى الخبر كما أن الشك والإبهام مختصان بالخبر ، وقد جاءت الإباحة فى غير الأمر كقوله ﴿ كمثل الذى استوقد نارا — إلى قوله — أو كصيب من السماء ﴾ [٣] أى بأى هذين شبهت فأنت مصيب وكذا إن شبهت بهما جميعا ومثله فى الشعر كثير .

فما قيل : إن التخيير إنما يكون فى المحظور كخذ من مالى دينارا أو درهما ، أو فى التكليفات كالكفارات غير وارد [٤] .

وكذلك ماتوهم أن المراد تخيير المخاطب بعدفرض الطلب والسؤال فلا حاجة إلى البناء على ماذكروا أنه مشكل من جهة أخرى وهو أن أحد الأمرين من كون قدره قدر لمح البصر أو أقرب غير مطابق للواقع فكيف يخير الله بين مالا يطابقه ؟

---

(١) قال ابن ناقيا : معنى أو البيان عن أنه احدى منزلتين : إما لمح البصر وإما أقرب ، وقيل هو لشك المخاطب ، الجمان فى تشبيهات القرآن ص ١٥٠ ، كما يقول : والتشبيه فى الآية أبلغ الأشياء فى وصف ما يخبر عنه بمثل هذه من الوحى والسرعة وقرب زمان الكون ، الجمان ص ١٥١ .

(٢) البقرة ٧٤ ، وانظر الكشاف ٢٩٠/١ .

(٣) البقرة ١٩ .

(٤) هذا رد على صاحب البحر المحيط لقوله بذلك ، ٥ / ٥٢١ .

وهذا كله من ضيق العطن فإن كون أحدهما بل كليهما غير واقع لاضير فيه فإنه مشبه به ولم يقل أحد بأن عدم الوقوع فيه لازم بل قد يستحسن فيه عدم الوقوع كما فى قوله :

أعـــلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد

والبعرة تدل على البعير ، وقد مر تحقيق هذا فى قوله ﴿ كالحجارة أو أشد قسوة ﴾

قوله : أو بمعنى بل .. هذا مروى عن الفراء ، وقد رده أبو حيان بأن الاضراب بقسميه لايصح هنا [(١)] ، أما الابطالى : فلان إبطال ماقبله من الإسناد يؤول إلى أنه إسناد غير مطابق ولايصح .

وأما الانتقالى فيلزمه التنافى بين الإخبار بكونه مثل لمح البصر وكونه أقرب منه فلا يمكن صدقهما معا .

وأجيب : باختيار الثانى [(٢)] ولاتنافى بين تشبيهه فى سرعة تحققه وسهولته بما هو غاية مايتعارفه الناس فى بابه وبين كون تحققه فى الواقع فيما هو أقرب منه وهذا بناء على أن الغرض من التشبيه بيان تحققه وسرعته لابيان مقدار زمان وقوعه وتحديده ؟

فلا يرد عليه : أن المعنى على تشبيه أمر قيام الساعة فى قدر زمانه لا فى حال آخر من أحواله فالمنافاة بحالها ؟

وأجيب بما يضجعه [(٣)] بشقيه ، وهو أنه ورد على عادة الناس ،

(١) أنظر البحر المحيط ٥ / ٥٢١ وقد أورد فى الآية كل الآراء التى أوردها الشهاب هنا بل أكثر منها .

(٢) يعنى كون الاضراب انتقاليا . (٣) يعنى بما يهدم هذا الاعتراض.

بمعنى أن أمرها إذا سئلتم عنه أن يقال فيه هو كلمح البصر ثم يضرب عنه إلى ماهو أقرب . هذا ماقرره فى الكشاف (١) وبينه المصنف بقوله الذى يقولون فيه ... إلخ ، وفى قوله أيضاً مبالغة مايشير إلى دفع السؤال رأساً فلا محذور .

وقال الزجاج أو الابهام ، يعنى أنه يستبهم على من يشاهد سرعتها هل هى كلمح البصر أو أقل (٢) .

فلا يقال : إنه لافائدة فى الإبهام هنا فتدبر ، واستقرابه عده قريبا وهو بعيد عند الناس » . حاشية الشهاب ٣٥٧/٥ .

فى قوله تعالى ﴿ وما أمرنا إلا واحدة ﴾ (٣) قال البيضاوى إلا فعلة واحدة وهو الإيجاد بلا معالجة ولا معاناة أو إلا كلمة واحدة وهو قوله (كن) « كلمح بالبصر » فى اليسر والسرعة ، وقيل معناه معنى قوله تعالى ﴿ وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب ﴾ .

قال الشهاب : قوله إلا فعلة واحدة ... فالأمر واحد الأمور بمعنى الشأن ، وقوله بلا معالجة ومعاناة .أى مشقة فى العمل من العناء ، والمراد أن الوحدة بمعنى أنه على وتيرة واحدة ونهج متحد ، أو الوحدة لصفة الإيجاد دون تعلقه و موجوداته .

وقوله : كلمة واحدة . الأمر مقابل النهى وواحد الأوامر ، وقوله

---

(١) الكشاف جـ ٢ ص ٤٢١

(٢) وهذا إنما يكون على سبيل الفرض لأنها لن تشاهد إلا فى وقتها إن شاء الله .

(٣) القمر ٥٠

في اليسر ... إلخ هو وجه الشبه وفيه وجه آخر مر في تفسير قوله ﴿وما أمر الساعة (١)﴾ فتذكره » حاشية الشهاب ١٢٩/٨

توجيه الكلام البيضاوي :

في قوله تعالى ﴿ ولقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ﴾(٢) قال البيضاوى : عراة لا شيء معكم من المال والولد لقوله ﴿ ولقد جئتمونا فرادى ﴾(٣) أو أحياء كخلقتكم الأولى لقوله ﴿ بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا ﴾ .

قال الشهاب : قوله عراة لاشيء معكم ... الخ جوز في قوله ﴿ كما خلقناكم ﴾ أن يكون حالا أى كائنين كما خلقناكم والتشبيه فيما ذكر من كونهم عراة وأن يكون صفة مصدر أى مجيئا كما كنتم ، وقدم هذا الوجه (٤) إما لمناسبته لما قبله من زوال الدنيا وفنائها أو لأن الثانى مرتبط بما بعده(٥) فأخره ليتبين ارتباطه به كما أشار اليه بقوله لقوله ولقد ... الآية فالمتقدم متعلق بما تقدم والمتأخر متعلق بما تأخر فالوضع على وفق الطبع ،

قوله أو أحياء كخلقتكم الأولى . هذا يحتمل الوجهين السابقين في إعرابه(٦) وإنما يخالفه في وجه التشبيه (٧) حاشية الشهاب ١٠٨/٦ .

---

(١) النحل ٧٧
(٢) الكهف ٤٨
(٣) الأنعام ٩٤
(٤) يعنى كونهم عراة
(٥) يعنى إنكارهم البعث
(٦) من كونه حالا أو صفة مصدر
(٧) لأن الوجه على هذا هو الإحياء وفى الأول عدم الحصول على شيء من متاع الدنيا .

نقد للآراء فى الآية :

فى قوله تعالى ﴿ يوم نطوى السماء ﴾ قال البيضاوى : المراد بالطى ضد النشر أو المحو من قولك اطو عنى هذا الحديث وذلك لأنها نشرت مظلة لبنى آدم فإذا انتقلوا قوضت عنهم ﴿ كطى السجل للكتاب ﴾ (١) طيا كطى الطومار للكتابة أو لما يكتب أو كتب فيه ، وقيل : السجل ملك يطوى كتب الأعمال إذا رفعت اليه أو كاتب كان للرسول صلى الله عليه وسلم .

قال الشهاب : قوله أو المحو . أى الإفناء والإزالة فالتشبيه باعتبار أنه بطيه يخفى مافيه أو لأنه يرفع بعد الطى (٢) .

فلا يرد : أنه لايصح التشبيه حينئذ ، وقوله : وقيل السجل ملك يطوى كتب الأعمال ... مرضه لغرابته وعدم حسن التشبيه فيه إذ ليس المشبه به أقوى ولا أشهر ، وقوله أو كاتب .. قول واهجدا لأنه لم يعرف أحد من الصحابة اسمه سجل ، وقيل : السجل بلغة الحبشة الرجل فلعله مراده وعلى كل حال فلا حسن للتشبيه لما مر » حاشية الشهاب ٦/٢٧٧

التشبيه بفعل ينبىء عن التشبيه

فى قوله تعالى ﴿ وترى الناس سكارى ﴾ (٣) قال البيضاوى : كأنهم سكارى

(١) الأنبياء ١٠٤

(٢) وقال ابن ناقيا : « الآية تتضمن ما فى تجديد الخلق من إفنائه ثم إعادته كما يطوى الكتاب على ما فيه ثم ينشر للعمل به . الجمان ص ١٦٤

(٣) الحج ٢

وقال الشهاب : « يعني أنه تشبيه كما صرح به الزمخشري[١] .

وقد قيل عليه : ترى بمعنى تظن أي تظن الناس سكارى فهو حقيقة لا تشبيه ؟

ورد : بأن الرؤيا بصرية وهو الظاهر كما صرحوا به وسكارى حال من المفعول فلابد من اعتبار التشبيه حتى يصح الكلام .

وهذا غريب منه فإن أهل المعاني صرحوا بأنه قد يذكر فعل ينبيء عن التشبيه كما في علمت زيدا أسدا إذا قرب التشبيه ، وحسبت وظننت ونحوه إذا بعد التشبيه ، فما ذكروه موافق لكلام القوم وإن كان فيه بحث للسعد[٢] مذكور مع جوابه في محله .

فالتشبيه لا يستلزم كونها بصرية كما زعمه » . حاشية الشهاب ٦/٢٨١ .

تشبيه الغرض منه تزيين المشبه :

وفي قوله تعالى ﴿ إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ﴾[٣] قال

(١) لأنه قال في الكشاف : « والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق ولكن مارهقهم من خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله » الكشاف ٣/٤

(٢) قال السعد — بعد ذكر الأفعال التي تنبيء عن التشبيه — « وفي كون هذا الفعل منبئا عن التشبيه نظر للقطع بأنه لا دلالة للعلم والحسبان على ذلك وإنما يدل عليه علمنا بأن اسدا لا يمكن حمله على زيد تحقيقا وأنه إنما يكون على تقدير أداة التشبيه سواء ذكر الفعل أو لم يذكر كما في قولنا : زيد أسد ، ولو قيل : إنه ينبيء عن حال التشبيه من القرب والبعد لكان أصوب » المطول ص ٣٣٠ ، وانظر عقود الجمان ٢/٢٢

(٣) الإنسان ١٩

البيضاوى : من صفاء ألوانهم وانبثاثهم فى مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم إلى بعض .

قال الشهاب : قوله وانبثاثهم فى مجالسهم ... أى تفرقهم كاللؤلؤ المنثور ، وانعكاس الشعاع ليس من لوازم اللآلىء المنثورة فكأنها إذا كان جرمها كبيرا جدا كانت مضيئة كذلك فتأمل.(١) حاشية الشهاب ٨/٢٩٠

موازنة بين آيتى العصا

قال تعالى ﴿ فلما رآها تهتز كأنها جان ﴾(٢) قال البيضاوى : فى الهيئة والجثة أو فى السرعة .

وقال الشهاب : « قوله فى الهيئة والجثة إشارة إلى أن لها أحوالا مختلفة تدق فيها وتغلظ ، ومابعده(٣) إشارة إلى أن التشبيه باعتبار سرعة حركتها وخفتها فلا ينافيه قوله(٤) فى بيان الجمل المطوية : فصارت ثعبانا واهتزت ، بناء على الثانى وعلى الأول أيضا بناء على أن الجان يطلق على ماعظم منها على أنه لم يقل فإذا هى جان(٥) حتى ينافيه كما توهم منه » حاشية الشهاب ٧/٧٣

---

(١) وقال الزمخشرى : « شبهوا فى حسنهم وصفاء ألوانهم وانبثاثهم باللؤلؤ المنثور ، وقيل : شبهوا باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه لأنه أحسن » الكشاف ج ٤ ص ١٩٩ .

(٢) النمل ١٠ (٣) يعنى قوله أو فى السرعة

(٤) يعنى قول البيضاوى

(٥) لأنها على هذا تكون جانا حقيقية لكنه ذكر أداة التشبيه .

ثم يوازن بين هذه الآية وبين الآية الثانية فى قوله تعالى ﴿ فألقاها فإذا هى حية تسعى ﴾[١] على النحو التالى :

قال البيضاوى : قيل لما ألقاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا إلى المبدأ وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية أخرى باعتبار الاسم الذى يعم الحالين ، وقيل : كانت فى ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك قال ﴿ كأنها جان ﴾[٢].

قال الشهاب : « قوله بغلظ العصا ثم تورمت.. الخ جواب عما بالخاطر من أنها سميت حية وتارة ثعبانا وتارة جانا وهى واحدة[٣]

والحية وإن عمت أصنافها لكن الثعبان من الحيات والجان الدقيق ليس منها فبينهما تناف فدفعه : بأنه باعتبار أطوارها وحالاتها فإنها فى ابتداء الانقلاب كانت دقيقة ثم تورمت وانتفخت فتزايد جرمها فى

---

(١) طه ٢٠ (٢) النمل ١٠

(٣) ووفق بينهما المرتضى بأنها كانت جانا فى ابتداء النبوة وثعبانا عند لقائه فرعون ، ثم ذكر جوابين آخرين وهما :

(أ) شبهها بالثعبان فى إحدى الآيتين لعظم خلقها وكبر جسمها ، وفى الآية الأخرى بالجان لسرعة حركتها فاجتمع لها نشاط الجان وسرعة حركته مع أنها فى جسم الثعبان وكبر خلقه وهذا أبهر فى الإعجاز .

(ب) أنه لم يرد بذكر الجان الحية ، وإنما أراد أحد الجن فكأنه خبر بأن العصا صارت ثعبانا فى الخلقة وعظم الجسم وكانت مع ذلك كأحد الجن فى هول المنظر ، وذكر وجها ثالثا هو نفس ما ذكره الشهاب فى الوجه الأول وكذلك الوجه الثانى عند الشهاب هو الوجه الأول عند المرتضى ، أمالى المرتضى ١/٢٥ ، ٢٧ وانظر الكشاف ٢/٥٣٤ ، والجمان ص ١٨١ ومنهاج البلغاء ص ١١٤

رأى العين فأريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها ، أو أن جرمها جرم ثعبان وهى فى خفتها وسرعة حركتها وقدرتها على الحركة والانتصاب كالجان فلذا أتى بأداة التشبيه فى آية أخرى فلا تنافى .

وقيل على قوله سماها جانا أنه لم يقع فى التنزيل إلا التشبيه به وهو ليس بتسمية ؟

وأجيب : بأن كل تشبيه يصح فيه الاستعارة وهى إطلاق وتسمية ولا يخفى تكلفه ، والأولى : أن التشبيه قد يكون فى الجنسية والنوعية فهو إطلاق فى الحقيقة كما يقال : هذا الثوب كذا أى فى كونه خزا مثلا كما فصل فى محله .

وقوله : فإنه .. تعليل لنهيه عن الخوف المقتضى لوجوده وقيل لقوله خذها » حاشية الشهاب ٦ / ١٩٦

تشبيه مبنى على تشبيه آخر :

فى قوله تعالى ﴿وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها﴾ (١) قال البيضاوى مشابها حاله حال من لم يسمعها ﴿كأن فى أذنيه وقراً﴾ مشابها من فى أذنه ثقل لا يقدر أن يسمع .

قال الشهاب : « قوله مشابها حاله حال من لم يسمعها . أى أشبهت حاله فى عدم الالتفات (٢) تكبرا حال من لم يسمعها ، وكأن المخففة ملغاة لا حاجة لتقدير ضمير شأن فيها كما فى الكشاف (٣) ، وفيه إشارة إلى أن جملة التشبيه حالية .

---

(١) لقمان ٧ (٢) هذا هو وجه الشبه

(٣) الكشاف ٣ / ٢٣٠

وقوله : مشابها من فى أذنه وفى نسخة أذنيه .. والتشبيه الثانى ترقى فى ذمه لأن فيه دلالة على عدم قدرته على السماع لعدم الانتفاع ، وأشار بقوله ثقل إلى أن أصل معنى الوقر الحمل الثقيل استعير للصمم ثم غلب حتى صار حقيقة فيه ، وتثقيل كأن فى الثانى كأنه لمناسبته للثقل فى معناه » . حاشية الشهاب ٧ / ١٣٣

مجىء الكاف للتشبيه أو التعليل :

فى قوله تعالى : ﴿ وأحسن كما أحسن الله إليك[1] ﴾ قال الشهاب : « الكاف للتشبيه أى أحسن للعباد مثل ما أحسن الله الخ أو ائت بشكر حسن مماثل للاحسان ، أو للتعليل[2] » حاشية الشهاب ٧ / ٨٦ .

فعل الله ليس كفعل العباد :

فى قوله تعالى : ﴿ وما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة[3] ﴾ قال البيضاوى : إلا كخلقها وبعثها .

قال الشهاب : « يعنى أنه على تقدير مضاف ، وأن المقصود تشبيه خلق المخلوقات كلها بخلق واحد بالنسبة لقدرته وكذا بعثها لأنه بتعلق الإرادة والقدرة وهى تتعلق بجميعها معاً وليس كفعل العباد المعجزة بآلة ومباشرة تقتضى التعاقب فيستوى عنده الواحد والكثير[4] » . حاشية الشهاب ٧/١٤٢

(١) القصص ٧٧

(٢) الوجهان الأولان مذكوران فى الكشاف وعلى كون الكاف للتعليل لا يكون فى الكلام تشبيه ، لأن المعنى حينئذ : أحسن لأن الله أحسن إليك

(٣) لقمان ٢٨ (٤) انظر الجمان ص ٩٣

تشبيه الغرض منه تقبيح المشبه :

فى قوله تعالى ﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ﴾[1] قال البيضاوى أى حريصين غافلين عن العاقبة .

قال الشهاب : « قوله حريصين هو وجه الشبه »[2] حاشية الشهاب ٨/٤٤

تشبيه الغرض منه بيان صفة المشبه :

فى قوله تعالى : ﴿ تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر[3] ﴾ قال البيضاوى أصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الأرض ، وقيل شبهوا بالأعجاز لأن الريح طيرت رؤوسهم وطرحت أجسادهم .

قال الشهاب : « قوله منقلع . . تفسير منقعر لأنه بمعنى انخرج من القعر ، وقوله : وقيل .. الخ الفرق بين الوجهين أنه على هذا أشبهوا جثثا بلا رؤوس وفى الأول لم ينظر له[4] » حاشية الشهاب ٨/١٢٤

---

(١) محمد ١٢ ، والطرفان حسيان

(٢) وفى الكشاف : يأكلون كما تأكل الأنعام فى مسارحها ومعالفها غافلة عما هى بصدده من النحر ، وفى الجمان : معنى تشبيههم بالأنعام فى الأكل التخسيس لهم والازراء بهم فى هذه الحال ووصفهم بالجهل والدناءة وأنهم يأكلون للشره والنهم كالبهائم ، والعرب تمدح بقلة الأكل كما تذم بالرغب والشره ، الكشاف ٣/٥٣٢ ، والجمان ص ٢٤٦

(٣) القمر ٢٠ والطرفان محسان ، وهى من اخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة ، الصناعتين ص ٢٤٧ .

(٤) انظر . إعجاز القرآن للباقلانى ص ٢٦٤ ، والجمان ص ٢٨١

فى قوله تعالى : ﴿ إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر [١] ﴾ .

قال الشهاب : « هذا تشبيه لإهلاكهم وإفنائهم ، والحظيرة زريبة الغنم ونحوها ، وقوله كهشيم الحظيرة فهو على الفتح اسم مكان [٢] ، والمراد به الحظيرة نفسها ، أو التقدير كهشيم الحائط المحتظر فهو اسم مفعول ، أو لا يقدر له موصوف والمحتظر الزرب نفسه [٣] » حاشية الشهاب ٨ / ١٢٦ .

فى قوله تعالى : ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان [٤] ﴾ قال البيضاوى : أى فى حمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائهما .

قال الشهاب : « أى صفاء الوجنة والبشرة وهذا بناء على أن المرجان صغار اللؤلؤ فتخصيصه بالتشبيه لأنه — كما فى الكشاف [٥] — أنصع لوناً وبياضاً من كباره .

قيل : ولا يخالفه قوله : ﴿ كأنهن بيض مكنون [٦] ﴾ لأن بياضه

(١) القمر ٣١ ، والغرض من التشبيه بيان صفة المشبه .

(٢) وهذا ما فى الكشاف ونسب قراءة الفتح إلى الحسن الكشاف ٤/ ٤٠

(٣) انظر الجمان ص ٢٨٣

(٤) الرحمن ٥٨ ، والغرض تزيين المشبه .

(٥) الكشاف ج ٤ ص ٤٩ ، هذا وفى الصناعتين « إنه من تشبيه الشىء بالشىء لونا وحسنا » الصناعتين ص ٢٥٢ ، وقال ابن ناقيا « أى هن فى صفاء الياقوت وحسنه » الجمان ص ٢٩٤ . وقال ابن قتيبه : « لهن صفاء الياقوت وبياض المرجان » تأويل مشكل القرآن ص ٨١ .

(٦) الصافات ٤٩

مخالط لقليل من الصفرة وهو أحسن ألوان الأبدان كما قالوه ثمة لجواز كون المشبهات بالمرجان غير المشبهات بالبيض ، وفيه نظر(١) » حاشية الشهاب ٨ / ١٣٨ .

فى قوله تعالى : ﴿ كأمثال اللؤلؤ المكنون(٢) ﴾ قال البيضاوى : المصون عما يضر به فى الصفاء والنقاء .

قال الشهاب : « فى الصفاء والنقاء متعلق بيضر ولا حاجة لتعلقه بأمثال كما قيل إذ لم يعهد التشبيه باللؤلؤ فى النقاء(٣) » حاشية الشهاب ٨ / ١٤٣ .

فى قوله تعالى : ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفًا كأنهم بنيان مرصوص(٤) ﴾ .

قال البيضاوى : مصطفين مصدر وصف به ، ومعنى ﴿ كأنهم بنيان مرصوص ﴾ فى تراصهم من غير فرجة ، حال من الحال الأولى ، والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه .

قال الشهاب : « قوله مصطفين .. إشارة إلى أنه حال مؤول

---

(١) النظر يرجع إلى أن الآيتين فى تشبيه نساء الجنة فكيف يمكن أن يقال بتغايرهما ؟

(٢) الواقعة ٢٣ ، والغرض فيها أيضا تزيين المشبه .

(٣) وجعل ابن ناقيا وجه التشبيه الصفاء والتلألؤ حيث قال : « كأمثال الدر يخرج من صدفه ولكنه لم يغيره الزمان واختلاف أحوال الاستعمال وإنما عنى بقوله كأمثال اللؤلؤ أى أن صفاءهن وتلألؤهن كصفاء الدر وتلألئه » الجمان ص ٢٩٦ .

(٤) الصف ٤ .

بالمشتق ، وقوله : فى تراصهم . . الخ بيان لوجه التشبيه بالبنيان المرصوص ، ويفهم أنهم يقاتلون مشاة لأن التراص ظاهر فيهم كما قيل .

قوله : حال . . الخ أى من المتمكن فى الحال الأولى وهو صفاً لتأويله بالمشتق وهذا بيان لقوله فى الكشاف : صفاً كأنهم بنيان الخ حالان متداخلتان كما فى الإنصاف(١) ولم يرتض قوله فى الإنصاف إن معنى التداخل أن الحال الأولى مشتملة على الحال الثانية فإن هيئة التصاف هى هيئة الارتصاص فانه خلاف المعروف من التداخل فى اصطلاح أهل العربية ، وكون التصاف مشبها بالتراص لا يأباه كما توهمه الطيبى » حاشية الشهاب ١٩٢/٨ .

فى قوله تعالى ﴿ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون * فأصبحت كالصريم ﴾(٢) قال البيضاوى كالبستان الذى صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شيء ، أو كالليل باحتراقها واسودادها . أو كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس ، سميا بالصريم لأن كلا منهما ينصرم عن صاحبه ، أو كالرمال .

قال الشهاب : « قوله صرم ثماره . . الخ أى قطع ، وقوله باحتراقها واسودادها ليس عطفا تفسيريا كما توهم .

نعم وجه الشبه بين الليل والمحترق الأسوداد ، وقوله سميا . أى الليل والنهار ، وقوله كالرمال . لأنها تسمى صريما أيضا إذا كانت

---

(١) انظره مع الكشاف جـ ٤ ص ٩٧ .   (٢) القلم ٢٠ .

منقطعة عن غيرها[1] » حاشية الشهاب ٨/٢٣٠ .

فى قوله تعالى ﴿ ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم ﴾ [2] قال البيضاوى أى مملوء غيظا فى الضجر فتبتلى ببلائه .

قال الشهاب : « قوله فى الضجر هو وجه الشبه فهو متعلق بالتشبيه ويجوز تعلقه بما قبله »[3] حاشية الشهاب ٨/٢٣٣ .

فى قوله تعالى ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾[4] قال البيضاوى : المذاب فى مهل كالفلزات أو دردى الزيت .

قال الشهاب : « قوله المذاب فى مهل ... أى ماتقع إذابته فى زمان ممتد لامايذاب بسرعة كالسمن ، والفلزات : جمع فلز وهو نوع من المعادن أشهر الأقوال فيه أنه مايقبل السبك والدق بالمطارق ، وقيل ماينفيه الكير ، والدردى بضم الدال وتشديد الياء مايتجمد فى قعره » [5] حاشية الشهاب ٨/٢٤٣

فى قوله تعالى ﴿ وتكون الجبال كالعهن ﴾ [6] قال البيضاوى : كالصوف المصبوغ ألوانا لأن الجبال مختلفة الألوان فإذا بست وطيرت فى الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح .

قال الشهاب : « قوله فإذا بست ... أى فتتت وطيرت فى الهواء ،

---

(١) هذا وانظر الجمان ص ٣٠٥ . (٢) القلم ٤٨ .
(٣) يعنى بقوله « فاصبر لحكم ربك » . (٤) المعارج ٨ .
(٥) وقال فى الكشاف : وعن ابن مسعود كالفضة المذابة فى تلوينها . الكشاف ٤ / ١٥٧ . (٦) المعارج ٩ .

ومشابهة العهن فى التطير واختلاف الألوان»[1] حاشية الشهاب ٨/٢٤٣

فى قوله تعالى ﴿ كأنهم حمر مستنفرة ﴾[2] قال البيضاوى : شبههم فى إعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة ﴿ فرت من قسورة ﴾ أى أسد فعولة من القسر وهو القهر .

قال الشهاب : « قوله بحمر ... جمع حمار ، والمراد حمار الوحش لأنه موصوف بالنفار وشدة الفرار لاسيما من الأسد ، وقوله : وهو القهر ... لغيره لشدة افتراسه ، وقوله نافرة ... بيان لحاصل معناه ، وقيل : فُعُل بمعنى استفعل كعجب واستعجب ، والأحسن أنه للمبالغة كأنها لشدة العدو تطلب النفار من نفسها كما فى الكشاف »[3] حاشية الشهاب ٨/٢٨٠

تشبيه الجمع بالجمع :

فى قوله تعالى ﴿ إنها ترمى بشرر كالقصر ﴾[4] قال البيضاوى : أى كل شررة كالقصر فى عظمها ويؤيده أنه قرىء بشرار ، وقيل : هو جمع

---

(١) وهذان الوجهان ذكرهما ابن ناقيا فى وجه الشبه فى الآية ، الجمان ٣١٨ .

(٢) المدثر ٥٠ .

(٣) الكشاف ج ٤ ص ١٨٨ ، هذا وقال ابن ناقيا : « التشبيه فى الآية واقع أحسن مواقعه وأنفس مواضعه ، والعبارة عنه بارعة البيان دالة ببلاغتها على القسورة الأسد ، وقيل : الرماة الذين يصيدونها ، عند ماهربوا من سماع الوحى ضرب الله لهم المثل بهذا التشبيه فهم يشبهون الحمر التى فرت من الرماة » ، الجمان ص ٣٣٠ .

(٤) المرسلات ٣٢ .

قصرة وهى الشجرة الغليظة ، وقرىء كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهون وكالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج ، والهاء للشعب .

قال الشهاب : « قوله كل شررة كالقصر — إشارة إلى أن شرر اسم منه كالقصر وحمله على ذلك لدلالة ما بعده عليه ولأنه أبلغ وأنسب بالمقام .

وقوله : ويؤيده ... الظاهر أنه بفتح الشين جمع لا مفرد، وهى قراءة عيسى لأنها تدل على أن المشبه بالقصر واحده كما فى القراءة المشهورة ، ويحتمل أنه بكسر الشين كما قرأه ابن عباس فإنه جمع أيضا الشررة كرقبة ورقاب وإن احتمل جمع شر أيضا كما ذكره المعرب ، ومن قال : إن هذا متعين فقد ادعى مالم يقم عليه دليلا ، وقيل هو جمع قصرة فهو كتمر وتمرة ، فهو حينئذ من تشبيه الجمع بالجمع من غير احتياج للتأويل بما مر [1] » حاشية الشهاب ٨/٢٩٩

(١) قال ابن ناقيا « شبه الشرر بالقصر فى العظم ثم قال (كأنه جمالات صفر) أى سود فشبهه فى اللون وفى العظم ، والعرب تشبه الإبل بالقصور ذهابا إلى تمام خلقها وحسن صورتها ، وقرىء بفتح الصاد جمع قصرة أى كأنها أعناق الإبل . وهو تشبيه حسن أيضا أو هى كأصول الشجر » الجمان ص ٣٣٨ ، وفى مشكل القرآن قراءة فتح الصاد على التشبيه بأعناق النخل ، ص ٣٢٠ ، وفى الكشاف : « فى التشبيه بالقصر — وهو الحصن — تشبيها من جهتين : من جهة العظم ومن جهة الطول فى الهواء ، وفى التشبيه بالجمالات — وهى القلوس — من ثلاث جهات : من جهة العظم والطول والصفرة » الكشاف ج ٤ ص ٢٠٥ .

فى قوله تعالى ﴿ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ﴾ [١] قال البيضاوى فى كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم .

قال الشهاب : «قوله فى كثرتهم ... هذا بناء على أن الفراش بمعنى الجراد كما ذكر فى التأويلات ، وفى الدر المصون : أنه قيل إنه الهمج من البعوض والقراد وغيرها ومثله معروف بالكثرة .

فما قيل عليه : من أن الفراش لا يعرف بالكثرة حتى تشبه بها فيها إلا أن يفسر بصغار الجراد لا وجه له ، فكأنه لم يسمع تفسيره به حتى تبرع به من عنده .

قوله : وذلتهم ... لأنه يضرب به المثل فى الذلة فيقال : أذل وأضعف من فراشة وقوله : وانتشارهم ... هذا أيضا بناء على أنه بمعنى الجراد لأنه المعروف به لقوله ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾ » [٢] حاشية الشهاب ٣٩٢/٨ .

فى قوله تعالى ﴿ وتكون الجبال كالعهن [٣] ﴾ قال البيضاوى : كالصوف ذى الألوان (المنفوش) المندوف لتفرق أجزائها وتطايرها فى الجو .

قال الشهاب « قوله كالصوف ... مر فى المعارج [٤] ، وقوله لتفرق أجزائها بيان لوجه الشبه » [٥] حاشية الشهاب ٣٩٣/٨

(١) القارعة ٤ . (٢) القمر ٧ . هذا وفى الكشاف وجه الشبه هو الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير إلى الداعى من كل جانب ، الكشاف جـ ٤ ص ٢٧٩ .

(٣) القارعة ٥ . (٤) فى قوله تعالى (وتكون الجبال كالعهن) .

(٥) ووجه الشبه عند الزمخشرى هو اللون وتفرق الأجزاء ، الكشاف جـ ٤ ص ٢١٩ .

فى قوله تعالى ﴿ فجعلهم كعصف مأكول ﴾ (١) قال البيضاوى : كورق زرع وقع فيه الأكال وهو أن يأكله الدود ، أو أكل حبه فبقى صفرا منه ، أو كتبن أكلته الدواب وراثته .

قال الشهاب : قوله أو أكل حبه ... بتقدير مضاف أو بالاسناد المجازى (٢) فالتشبيه به لذهاب أرواحهم وبقاء أجسادهم ، أو لأن الحجر بحرارته يحرق أجوافهم .

قوله : أو كتبن ... معطوف على قوله كورق ، وقوله :وراثته .. جعل الروث مأكولا باعتبار ما كان (٣) ، ولم يذكر الروث لهجنته فجاء على الآداب القرآنية (٤) فشبه تقطع أوصالهم بتفرق أجزاء الروث ففيه إظهار تشويه حالهم .

ولما فى القصة من هدم الكعبة ناسب إهلاكهم بالحجارة » حاشية الشهاب ٨/٣٩٩ .

تشبيه تخييلى

فى قوله تعالى ﴿ طلعها كأنه رؤس الشياطين ﴾ (٥) قال البيضاوى: أى فى تناهى القبح والهول ، وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق فى الحسن بالملك ، وقيل : الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها أعراف ولعلها سميت بها لذلك .

---

(١) الفيل ٥ .

(٢) يعنى على طريقة المجاز العقلى . (٣) يعنى على أنه مجاز مرسل .

(٤) وهذه عبارة الكشاف انظر ج ٤ ص ٢٨٦ ، هذا والتشبيه فى الآية من تشبيه المحس بالمحس . (٥) الصافات ٦٥ .

قال الشهاب « قوله تشبيه بالمتخيل ... رد على بعض الملاحدة — إذ طعن فيه بأنه تشبيه بما لا يعرف — بأنه لا يشترط بأن يكون معروفاً فى الخارج بل يكفى كونه مركوزا فى الذهن والخيال ألا ترى امرأ القيس وهو ملك الشعراء يقول :

* ومسنونة زرق كأنياب أغـــوال *

وهو لم ير الغول ، والغول نوع من الشياطين لأنه فى خيال كل أحد مرتسم بصورة قبيحة وإن كان قابلا للتشكل كما أنهم إذا استحسنوا شيئا قالوا ماهو إلا ملك كما قرره أهل المعانى(1) والأعراف

---

(١) قال ابن القيم : «إن الأشياء المعقولة لتقررها فى الذهن وتخيلها فى العقل صارت بمنزلة المحسوسات فلما نزلت منزلة المحسوسات صح التشبيه وقويت وصار المعقول للمبالغة أصلا يشبه به ، ثم قال والصحيح أن المحسوس أعرف من التشبيه بالوصف المعقول لثلاثة أوجه .. الخ الفوائد المشوق إلى علوم القرآن ص ٥٩.

وقال ابن سنان : « والأصل فى حسن التشبيه أن يمثل الغائب الخفى بالظاهر المحسوس ، فان قيل : ماتقولون فى قوله تعالى (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) ورؤوس الشياطين غير مشاهدة ؟ قيل : إن الزقوم غير مشاهد ورؤوس الشياطين غير مشاهدة إلا أنه قد استقر فى النفوس من قبح الشياطين ما صار بمنزلة المشاهد كما استقر فيها من حسن الحور العين ما صار بمنزلة المشاهد حتى إنهم إذا شبهوا وجها بوجه الحور كان تشبيها صحيحا وإن كانت الحور لم تشاهد ، ولم يستقر فى نفوسهم قبح طلع الزقوم كما استقر فى نفوسهم قبح رؤوس الشياطين فكأن المشبه به أوضح ، وفى رؤوس الشياطين أيضا من المبالغة فى القبح ماليس فى طلع الزقوم ، وقد قيل فى بعض التفاسير أن الشياطين هنا الحيات وعلى هذا يسقط السؤال لأن الحيات مشاهدة » سر الفصاحة ص ٣٠٠ .

جمع عرف وهو بضم فسكون شعر على ما تحت الرأس، وقوله لعلها سميت بها لذلك — أى لقبح منظرها سميت به على طريق التخييل أيضا لكن المشبه به على الثانى متحقق لكنه لم يرتضه لكونه غير معروف فى الخارج ولا فى الذهن (حاشية الشهاب ٧/٢٧٣

حكم دخول النفى على التشبيه

فى قوله تعالى ﴿ وليس الذكر كالأنثى ﴾ [١] قال البيضاوى : بيان لقوله (والله أعلم) أى وليس الذكر الذى طلبت كالأنثى التى وهبت ، واللام فيهما للعهد ويجوز أن يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والأنثى سيان فيما نذرت فتكون اللام للجنس .

قال الشهاب : « قال فى الإنصاف أورد على هذ الوجه [٢] أن قياس كونه من قولها أن يقال : وليست الأنثى كالذكر ، فإن مقصودها تنقيص الأنثى بالنسبة إلى الذكر والعادة فى مثله أن ينفى عن الناقص شبهه بالكامل لا العكس [٣] ، وقد وجدت الأمر فى ذلك ولم يتبين لى تعين ماقالوه ، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿ لستن كأحد النساء [٤] ﴾ فنفى عن الكامل شبه الناقص لأن الكمال لأزواج النبى صلى الله عليه وسلم ثابت

← وذكر الرازى ثلاثة أجوبة على الاعتراض وأيد صحة الوجه الأول الذى ذكره الشهاب هنا انظر التفسير الكبير ١٤٢/٢٦ ، وتأويل مشكل القرآن ٣٨٨ والجمان ٢٤٠ ، وقد تناول توضيح صحة تشبيه العقلى بالحسى د. عبدالفتاح لاشين فى كتابه البيان فى ضوء أساليب القرآن ص٤٦ — ٥٣ . وانظر شروح التلخيص ٣١٢/٣ .

(١) آل عمران ٣٦ (٢) يعنى كونه من قولها

(٣) الانصاف مع الكشاف ١ / ٤٢٦ (٤) الأحزاب ٣٢

بالنسبة إلى عموم النساء وعلى ذلك جاءت عبارة امرأة عمران ، ومنه أيضا (أفمن يخلق كمن لايخلق ﴾ (١) أ . هـ

قلت : إذا دخل النفى بلا أو غيرها أو مافى معناه على تشبيه مصرح بأركانه أو ببعضها احتمل معنيين :

(أ) تفضيل المشبه بأن يكون المعنى : إنه لايشبه بكذا لأن وجه الشبه فيه أولى وأقوى كقولك : ليس زيد كحاتم فى الجود .

(ب) ويحتمل عكسه بأن يكون المعنى : إنه لا يشبه به لبعد المسافة بينهما كقول العرب ماء ولا كصداء (٢) ، مرعى ولا كالسعدان ، فتى ولا كمالك ، وقوله : * طرق الخيال ولا كليلة مدلج *

ووقع فى شرح المقامات وغيرها أن العرب لم تستعمل النفى بلا على هذا الوجه إلا المعنى الثانى (٣) وأن استعماله لتفضيل المشبه من كلام المولدين حتى اعترضوا على الحريرى فى قوله فى مقاماته (غدوت ولا اغتداء الغراب (٤)) وأراد أن اغتداءه كان قبل اغتداء الغراب الذى هو أكثر الطيور بكورا ، وهذا وأمثاله فى هذا الكتاب معناه أن المشبه أقوى من المشبه به ولم يأت هذا عن العرب كما مر مثاله .

وليس مذهبهم فى ذكر (لا) بين المشبهين وإنما هو من كلام المولدين ووقع مثله فى مقامات البديع ، وما نقله المحشى (٥) مبنى على هذا

(١) النحل ١٧

(٢) الصداء كـكتان ركية — بتشديد الياء أو عين ما عندهم أعذب منها القاموس المحيط جـ ٢ ص ٢١ (٣) يعنى على أنه لا يشبه به لبعد المسافة .

(٤) شرح مقامات الحريرى ٦٨/١ (٥) يقصد به صاحب الإنصاف

فأشار إلى أنه ليس بلازم كما ورد فى الآيات المذكورة .

ومما أورده الثعالبى من خلافه فى كتاب المنتخب فلان حسن ولا القمر، وجواد ولا المطر ، على أنه لو سلم ما ذكروه فالمعانى لا حجر فيها على أن ما ورد فى النفى بلا المعترضة بين الطرفين لا فى كل نفى .

وهذا من نفائس المعانى التى ينبغى حفظها ، ولم أر من صرح به حتى وقع فى حواشى التلويح خبط لعدم الضبط .

وقيل : قول المصنف ليس الذكر والأنثى سيان .. إشارة إلى أن التشبيه ليس لإلحاق الناقص بالكامل وإلا ينبغى أن يقال : وليس الأنثى كالذكر بل للتشابه والمراد نفى المساواة . حاشية الشهاب ٣/٢٢

الفرق بين كأن وهكذا فى التشبيه :

فى قوله ﴿ فلما جاءت قيل أهكذا عرشك[١] ﴾ قال البيضاوى تشبيها عليها زيادة فى امتحان عقلها إذ ذكرت عنده بسخافة عقلها ﴿ قالت كأنه هو ﴾ ولم تقل هو لاحتمال أن يكون مثله وذلك من كمال عقلها .

قال الشهاب : « قوله تشبيها عليها .. تعليل لقوله (قيل) أى لم يقل أهذا عرشك ؟ لئلا يكون تلقينا للجواب بل قيل : أعرشك مشابه لهذا ؟ ليختفى حاله عنها لأنها ربما ظنته عرشا مثله إذا لم يكن لها فطنة فهو[٢] إما بمعناه المعروف وضمن معنى التلبيس ، أى لبس عليها الأمر للتشبيه وترك التصريح لأنها كانت جنية كما قيل فخافت الجن من أن يتزوجها فيرزق منها ولدا يحوز فطنة الإنس وخفة الجن فيضبطهم ضبطا

---

(١) النمل ٤٢ (٢) يعنى قوله تشبيها

قويا فرموها عقده بالجنون وإن رجليها كحوافر البهائم فلذا اختبرها بهذا وبما يكون سببا للكشف عن ساقيها (١) أو هو تفعيل من الشبهة وهى أن لا يميز أحد الشيئين عن الآخر لما بينهما من شدة التشابه عينا أو معنى، والمراد إلقاء الشبهة عليها لما ذكر، وأما تلقين التشبيه فلا يفوت زيادة الامتحان كما قيل.

وقوله: ولم تقل هو .. أى هو هو لاحتمال أن لا يكون عينه فأتت بكأن الدالة على غلبة الظن فى اتحاده معه مع الشك فى خلافه، ولم تقل أظنه هو ليطابق الجواب السؤال، وهذا إشارة إلى أن كأن ليس المراد بها هنا التشبيه بل الشك وهو مشهور فيها وهذا دليل على كيسها وفطنتها.

والفرق بين كأن وهكذا فى التشبيه - كما أفاده صاحب الإنصاف - أن كأن تفيد قوة الشبه حتى كأن المتكلم شكك نفسه فى تغايرهما وهكذا تفيد الجزم بتغايرهما والحكم بوقوع التشبيه بينهما فلذا عدلت عنها» (٢)
حاشية الشهاب ٧/٤٨

يكفى فى وجه الشبه كونه أشهر (٣)

فى قوله تعالى ﴿ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم (٤) ﴾ قال البيضاوى:

---

(١) هذا مأخوذ من عبارة الكشاف ٣/١٥٠

(٢) الإنصاف مع الكشاف ٣/١٥٠، هذا وفى الكشاف: أن أهكذا ثلاث كلمات. حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الإشارة

(٣) سبق بيان ذلك فى قوله تعالى «أفمن يخلق كمن لا يخلق» وانظر شروح التلخيص ٣/٣٩٩

(٤) البقرة ١٤٦

إن الضمير فيه للنبى [1] ﷺ ، أى يعرفونه بأوصافه كمعرفتهم أبناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم ، ويشهد لذلك أن عمر رضى الله عنه : سأل عبدالله بن سلام عن رسول الله ﷺ فقال : أنا أعلم به منى بابنى ، قال ولم ؟ قال : لأننى لست أشك فى محمد أنه نبى فأما ولدى فلعل والدته قد خانت .

قال الشهاب معقبا على ذلك :

فان قلت : ما ذكره عن ابن سلام يقتضى أن معرفة الابن دونه لما فيها من الاحتمال والمشبه به أقوى فى وجه الشبه ؟ [2]

قلت : هذا ليس بشرط بل يكفى كونه أشهر كما هنا ، فان معرفة الأبناء أشهر من غيرها ، أو أن معرفة ذات الابن وشخصه أقوى فى نفسها ، والاحتمال فى كونه حاصلا منه فى الواقع لا ينافى ذلك وإليه أشار المصنف بقوله لا يلتبسون .. الخ » حاشية الشهاب ٢/٢٥٥

معنى المماثل المطلوب الاتيان به فى التحدى

فى قوله تعالى ﴿ فأتوا بسورة من مثله [3] ﴾ يستعرض الشهاب الآراء التى ذكرت ثم يوضح وجهة نظره فى ذلك قائلا : « ثم إنه سنح لى هنا أن المراد التحدى وتعجيز بلغاء العرب المرتابين فيه عن الإتيان

---

(١) وفى الكشاف : بعد أن ذكر أن الضمير قد يكون للعلم أو للقرآن أو تحويل القبلة لكنه اختار كونه للنبى ﷺ ، الكشاف جـ ١ ص ٣٢١

(٢) يعنى أن المشبه به على قول ابن سلام يكون أقل شهرة من المشبه فكان الأولى أن يكون النبى ﷺ مشبها به ومعرفة أولادهم مشبها فيقال مثلا يعرفون أبناءهم كمعرفته .

(٣) البقرة ٢٣

بما يضاهيه ، فمقتضى المقام أن يقال لهم معاشر فصحاء العرب المرتابين في أن القرآن من عند الله ائتوا بمقدار أقصر سورة من كلام البشر محلاة بطراز الإعجاز ونظمه ، وما ذكر يدل على هذا إذا كان ﴿ من مثله ﴾ صفة لسورة سواء كان الضمير لما أو للعبد لأن معناه ائتوا بمقدار سورة تماثله في البلاغة كائنة من كلام أحد مثل هذا العبد في البشرية فهو معجز للبشر عن الإتيان بمثله .

أو ائتوا بمقدار سورة من كلام هو مثل هذا المنزل ، ومثل الشيء غيره فهو من كلام البشر أيضا فاذا تعلق بائتوا ورجع الضمير للعبد فمعناه أيضا ائتوا من مثل هذا العبد في البشرية بمقدار سورة تماثله فيفيد ما ذكرناه من المقصود ولو رجع على هذا لما كان معناه ائتوا من مثل هذا المنزل بسورة ؟

ولا شك أن ﴿ من ﴾ فيه ليست بيانية لأنها لا تكون لغوا ولا تبعيضية لأن المعنى ليس عليه فهي ابتدائية كما ذكره الشيخان[1] » حاشية الشهاب ٢/٣٧

ما جاء والأداة فيه الكاف مع اسم الإشارة[2]

في قوله تعالى ﴿ كذلك ﴾ قال البيضاوي : مثل ذلك ﴿ قال الذين لا يعلمون مثل قولهم ﴾[3] كعبدة الأصنام والمعطلة ، وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال .

---

(١) يقصد البيضاوي والزمخشري انظر الكشاف جـ ١ ص ٢٤٢
(٢) أكثر ما جاء على هذا جعل اللفظ مشبها ومشبها به باعتبارين .
(٣) البقرة ١١٣

قال الشهاب : « قوله مثل ذلك .. قيل : يعني أن كذلك مفعول قال ومثل قولهم مفعول مطلق .

والمقصود تشبيه المقول بالمقول في المؤدى والحصول وتشبيه القول بالقول في الصدور عن مجرد التشهي والهوى والعصبية فظهر الفرق بين التشبيهين [(١)] ودفع لما يتوهم من اللغوية في أحدهما .

والمعطلة طائفة نفوا الصانع ، وجعل قولهم مشبها به أقوى لأنه أقبح إذ الباطل من العالم أقبح منه في الجاهل[(٢)] » حاشية الشهاب ٢/٢٢٥

في قوله تعالى ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾[(٣)] قال الشهاب : « المشبه به كونهم مهديين إلى الصراط المستقيم أو جعل قبلتهم أفضل القبل ، والمشبه جعلهم خيارا .

وقيل : وفي فهم أفضلية قبلتنا من الآية المتقدمة[(٤)] تأمل ، أو مثلية الحكم الناسخ جائزة.

ويعقب الشهاب على هذا بقوله : ولا يخفى أنه مفهوم من التشبيه لأن معناه : جعلناكم خيارا مفضلين كقبلتكم وهو يقتضي ذلك بالفحوى فتأمل » حاشية الشهاب ٢/٢٥٠

---

(١) التشبيه الأول في (كذلك) والثاني في قوله مثل قولهم .

(٢) وفي الكشاف : إنهم وبخوا حيث نظموا أنفسهم في سلك من لا يعلم ١/٣٠٦ .

(٣) البقرة ١٤٣ .

(٤) يعني قوله تعالى (فلنولينك قبلة ترضاها) .

جعل اللفظ مشبها ومشبها به باعتبارين :

فى قوله تعالى ﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض﴾ [١] قال البيضاوى ومثل هذا التبصير نبصره .

قال الشهاب : هذا إشارة أن الإشارة إلى مصدر الفعل الذى بعده [٢] والإشارة قد تكون إلى متأخر .

قيل : ولك أن تجعل المشبه التبصير من حيث إنه واقع والمشبه به التبصير من حيث إنه مدلول اللفظ ، ونظيره وصف النسبة بالمطابقة للواقع وهى عين الواقع ، وليس أبا عذرته [٣] فانه سبق ما هو قريب فى كلام الطيبى .

ويجوز أن يكون المشار إليه ما أنذر به أباه [٤] وضلال قومه ، من المعرفة والبصارة فيكون قوله ﴿فلما جن عليه الليل﴾ [٥] تفصيلا وبيانا لمعنى المثل . وأشار بقوله : التبصير إلى أن رأى بصرية لاعلمية ، والزمخشرى [٦] جعلها بصرية لكن ذكر أنها استعارة للمعرفة [٧] كما بينه شراحه ، وكذا قال ابن عطيه .

---

(١) الأنعام ٧٥ . (٢) يعنى نرى .

(٣) يعنى ليس هو أول من قال ذلك وإنما سبقه الطيبى فى ذلك فى قوله تعالى (وكذلك زينا ... الآيه)

(٤) يعنى قوله وإذ قال إبراهيم لأبيه أتتخذ أصناما آلهة .

(٥) الأنعام ٧٦ (٦) الكشاف ٣٠/٢ (٧) لأنه قال « ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف إبراهيم » المرجع السابق .

ورده أبو حيان بأنه يحتاج إلى نقل عن العرب أن رأى بمعنى عرف تتعدى إلى مفعولين [١] .

قلت : إذا كانت بصرية استعيرت للمعرفة استعارة لغوية من اطلاق السبب على المسبب [٢] فلا يرد ماذكره وهذا ماجنح إليه الزمخشرى ولولا هذا لكان ادعاء الاستعارة لغوا » حاشية الشهاب ٤/ ٨٥

فى قوله تعالى ﴿ وكذلك نجزى المحسنين ﴾ [٣] قال البيضاوى : أى ونجزى المحسنين جزاء مثل جزاء إبراهيم برفع درجاته وكثرة أولاده والنبوة فيهم .

قال الشهاب : « قوله جزاء مثل ماجزينا .. قيل عليه : إن مجموع الأمور الثلاثة من رفع الدرجة وكثرة الأولاد والنبوة فيهم ليست موجودة فى غير إبراهيم صلى الله عليه وسلم .

ورد الشهاب على هذا الاعتراض بقوله — والمراد بمماثلة جزائهم لجزائه مطلق المشابهة فى مقابلة الإحسان بالإحسان والمكافأة بالمكافأة بين الأعمال والأجزية من غير بخس لا المماثلة من كل وجه [٤] ، لأن اختصاص إبراهيم بكثرة النبوة فى عقبه مشهور فلا يرد عليه ماتوهم » . حاشية الشهاب ٤ /٩١ .

فى قوله تعالى ﴿ كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴾ [٥]

---

(١) أنظر البحر المحيط لأبى حيان ٤/١٦٥ .

(٢) فتكون مجازا مرسلا بعلاقة السببية (٣) الأنعام ٨٤

(٤) لو كانت المماثلة من كل وجه لما كان تشبيها بالمعنى الاصطلاحى .

(٥) الأنعام ١٢٥

قال البيضاوى : أى كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس

قال الشهاب : « يجوز فيه التشبيه كما ذكره [١] وأن يكون إشارة إلى الجعل المذكور » [٢] حاشية الشهاب ٤/١٢١ .

فى قوله تعالى ﴿ وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا ﴾ [٣] قال البيضاوى : نكل بعضهم إلى بعض ، أو نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم ، أو أولياء بعض وقرناءهم فى العذاب كما كانوا فى الدنيا .

قال الشهاب : كما كانوا فى الدنيا .. إشارة إلى معنى التشبيه فى هذا الوجه وأما على الأول [٤] فيجوز أن يكون تشبيها وأن يكون من قبيل ضربته كذلك [٥] حاشية الشهاب ٤/١٢٦

رد على القائلين بالمعاد الجسمانى :

فى قوله تعالى ﴿ فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى ﴾ [٦]
قال البيضاوى: الإشارة فيه إلى إخراج الثمرات أو إلى إحياء البلد الميت، أى كما نحييه بإحداث القوة النامية فيه وتطريتها بأنواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الأحداث ونحييها برد النفوس إلى مواد أبدانها بعد جمعها.

---

(١) فيكون المشبه به ضيق الصدر وتبعيد القلب والمشبه جعل الله الرجس على الكافر .

(٢) وفى الكشاف : الرجس يعنى الخذلان ومنع التوفيق ، أو أراد الفعل المؤدى إلى الرجس وهو العذاب ٢/٤٩

(٣) الأنعام ١٢٩ (٤) يعنى على أنه بمعنى نكل بعضهم إلى بعض

(٥) الوجهان مذكوران فى الكشاف ، انظره ٢/٥٠

(٦) الأعراف ٥٧

قال الشهاب « قوله الإشارة فيه إلى إخراج الثمرات ...

قيل : فيه إشارة إلى طريقى القائلين بالمعاد الجسمانى فى إيجاد البدن ثم إحيائه بعد انعدامه أو ضم بعض أجزائه إلى بعضها على النمط السابق بعد تفرقها ثم إحيائه ففيه رد على منكريه ؟ .

والأول (١) أظهر لأن المتبادر من الآية كون التشبيه بين الإخراجين من كم العدم ، والثانى يحتاج إلى تمحل تقدير الأحياء واعتبار جمع الأجزاء مع أنه غير معتبر فى جانب المشبه به ؟

قلت : قوله برد النفوس إلى مواد أبدانها بعد جمعها يأبى حمله على الأول وهو المذهب الحق الذى اختاره المصنف » حاشية الشهاب ٤/١٧٧

فى قوله تعالى ﴿ كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين ﴾ (٢) قال الشهاب « هذا بيان لعدم صلاحهم للايمان ، ويصح فيه التشبيه والتعظيم للطبع كما فى قوله ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ (٣) »حاشية الشهاب ٤/١٩٩ .

---

(١) هو أن الإشارة إلى إخراج الثمرات ، وهذا ما فى الكشاف حيث قال : مثل ذلك الإخراج وهو إخراج الثمرات نخرج الموتى لعلكم تذكرون فيؤديكم التذكر إلى أنه لا فرق بين الإخراجين إذ كل منهما اعادة للشىء بعد إنشائه ، ٢/٨٤ ، وقال ابن ناقيا مثل ذلك أنظر الجمان ص١١٠ومن نظائر هذه الآية الآية ١١ سورة الزخرف . والآية ٢٩ سورة الأعراف .

(٢) الأعراف ١٠١

(٣) البقرة ١٤٢ والتعظيم هنا جاء على طريقة الزمخشرى لأنه يجعل ما كانت أداته الكاف مع اسم الاشارة مفيدا للتعظيم مع التشبيه وقد قال هنا : ومثل ذلك الطبع الشديد نطبع ، انظر ٢ / ١٠٠ من الكشاف .

فى قوله تعالى ﴿ كذلك ﴾ قال البيضاوى مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل وإصرارهم عليه بحيث تحقق أنه لا فائدة فى إمهالهم ﴿ نجزى القوم المجرمين ﴾ [١] نجزى كل مجرم ، أو نجزيكم فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على كمال جرمهم وأنهم أعلام فيه .

قال الشهاب : « قوله نجزى كل مجرم أو نجزيكم . . إلخ يعنى المجرمين إما عام شامل لهم ولمن قبلهم من القرون أو خاص بالمخاطبين [٢] وذكر القوم إشارة إلى أنه عذاب استئصال .

والتشبيه على الثانى على ظاهره ، أى نجزيكم مثل جزاء من قبلكم وعلى الأول [٣] هو عبارة عن عظم هذا الجزاء [٤] والتشبيه فيه على منوال ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ حاشية الشهاب ٥/١٣ .

فى قوله تعالى ﴿ وكذلك ﴾ قال البيضاوى : ومثل ذلك الأخذ ﴿ أخذ ربك ﴾ [٥] .

قال الشهاب : « كلامه محتمل لأن يكون المشار إليه الأخذ المذكور بعده [٦] كما مر تحقيقه فى قوله ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ فى

---

(١) يونس ١٣ .
(٢) وهو ماذهب إليه الزمخشرى حيث جعل الخطاب لأهل مكة .
(٣) يعنى على أن المجرمين عام .
(٤) بناء على أن كل تشبيه فيه (كذلك) يفيد مع التشبيه التعظيم .
(٥) هود ١٠٢ .
(٦) يعنى قوله (إذا أخذ القرى وهى ظالمة) .

البقرة ، وأن يكون لأخذ القرى السابقة[١] وكلامه صريح في الثاني[٢] حاشية الشهاب ٥/ ١٣٥ .

في قوله تعالى ﴿ وكذلك ﴾[٣] قال البيضاوى أى وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس ﴿ يجتبيك ربك ﴾ للنبوة والملك أو الأمور العظام ، قال الشهاب : هذا جرى على ماسلف من تغاير المشبه والمشبه به ، والزمخشرى[٤] يجعل المشبه والمشبه به مصدر الفعل المذكور[٥] .

وفي قوله تعالى ﴿ ويعلمك من تأويل الأحاديث ﴾ قال البيضاوى : هذا كلام مبتدأ خارج عن التشبيه .

وقال الشهاب : « قيل لأن الظاهر أن يشبه الاجتباء بالاجتباء والتعليم غير الاجتباء فلا يشبه به ؟ .

وفيه نظر : لأن التعليم نوع من الاجتباء والنوع يشبه بالنوع ، وقيل : إنه يصير المعنى : ويعلمك تعليما مثل الاجتباء بمثل هذه الرؤيا ولا يخفى سماجته ، فإن الاجتباء وجه الشبه ولم يلاحظ في التعليم ذلك

ويعقب الشهاب قائلا : « قلت ولا مانع من جعله[٦] داخلا فيه على أن المعنى بذلك الإكرام بتلك الرؤيا ، أى كما أكرمك بهذه

---

(١) يعنى ماحل بقوم صالح ولوط وشعيب .
(٢) وهو أن هذا الأخذ مشبه بأخذ القرى السابقة .
(٣) يوسف ٦ .
(٤) الكشاف ج ٢ ص ٣٠٣ .
(٥) يعنى الاجتباء .
(٦) يعنى التعليم .

المبشرات يكرمك بالاجتباء والتعليم ولا تكلف فيه بجعله تشبيها.(١) وتقدير كذلك » حاشية الشهاب ٥/١٥٦ .

في قوله تعالى ﴿ وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك ﴾ (٢)

قال البيضاوي : أي كإتمام هذه النعم التي تقدمت ﴿ يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴾ أي تنظرون في نعمه فتؤمنون به أو تنقادون لحكمه ،

قال الشهاب : « قوله كذلك .. لتشبيه إتمام النعم في الماضي بإتمامها في المستقبل .

كما أحسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقى

أو هو تشبيه لهذا الإتمام به كما مر غير مرة » (٣) حاشية الشهاب ٥/٣٦٠ .

في قوله تعالى ﴿ وكذلك بعثناهم ﴾(٤) قال البيضاوي : وكما أنمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا .

قال الشهاب : «أي كما أنمناهم هذه النومة الطويلة أيقظناهم، فالمشبه الايقاظ ، والمشبه به الإنامة المفهومة من قوله ﴿ وهم رقود ﴾ (٥) ووجه

---

(١) يعنى يجعل قوله (ويعلمك) تشبيها مستقلا عن الأول ويقدر فيه (كذلك) .

(٢) النحل ٨١ .

(٣) بأن يجعل اللفظ مشبها ومشبها به باعتبارين والتقدير هنا : أن يشبه اتمام النعم الحاضرة باتمام النعم فيما مضى .

(٤) الكهف ١٩ . (٥) الكهف ١٨ .

الشبه : كون كل منهما آية على قدرته الباهرة [1] » حاشية الشهاب ٨٤/٦ .

وقوع التشبيه مقدما :

فى قوله تعالى ﴿ كذلك ﴾ [2] قال البيضاوى : الأمر كذلك ، ويجوز أن تكون الكاف منصوبة بقال فى ﴿ قال ربك ﴾ وذلك إشارة إلى مبهم يفسره ﴿ هو على هين ﴾ أى الأمر كما قلت أو كما وعدت ، وهو على ذلك يهون على أو كما وعدت .

قال الشهاب : « قوله ويجوز أن تكون الكاف منصوبة بقال فى ﴿ قال ربك ﴾ وذلك إشارة إلى مبهم يفسره ﴿ وهو على هين ﴾ وكذلك منصوب بالقول الثانى فى موقع مصدر له هو صفته ، أى قال لزكريا قال ربك هو على هين قولا مثل ، ولفظ ذلك فيه حينئذ إشارة إلى أمر مبهم مفسر بما بعده وكان فيما قبله إشارة إلى قول وعدوزكريا تصديقا له .

قال فى الكشف : « الوجه الثانى المجهول فيه اسم الإشارة مبهما يفسره مابعده مقدر فيه نصب الكاف بقال الثانى لا الأول وإلا لكان قال ثانيا تأكيداً لفظيا لئلا يقع الفصل بين المفسر والمفسر بأجنبى وهو ممتنع إذ لا ينتظم أن يقال : قال رب زكريا قال ربك ويكون الخطاب لزكريا والمخاطب غيره كيف ؟

---

(١) ماذكره مأخوذ من عبارة الكشاف ، انظر ٢ / ٤٧٦ .

(٢) مريم ٩ .

وهذا النوع من الكلام يقع فيه التشبيه متقدما لا سيما فى التنزيل من نحو ﴿ وكذلك جعلناكم أمة[١] — كذلك الله يفعل مايشاء[٢] ﴾ والتقدير : قال رب زكريا قال ربك قولا مثل ذلك القول الغريب وهو على هين على أن قال الثانى مع مافى صلته مقول القول الأول وإقحام القول الثانى لما سلف ، وقد حقق أن الكاف فى مثله مقحمة للتأكيد » اهـ .

قلت[٣] : هذا من دقائق الكشاف[٤] وشروحه التى لا توجد فى غيره ، وقد مر فيه كلام فى سورة البقرة وقد فصله فى الكشاف وشروحه هنا ، فقال : إن الإشارة إلى مبهم مفسر بما بعده كما فى قوله ﴿ وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع[٥] ﴾ والتشبيه يقع فيه مقدما وأنه لمطرد فى التنزيل ، وقد حققه الوزير المغربى فى شرح قول زهير :

كذلك خيمهم ولكل قوم　　إذا مستهم الضراء خيم[٦]

فقال : قال الجرجانى هى تثبيت المتأخر وهى نقيض كلا فانها للنفى .

والحاصل : أنها متعلقة بما بعدها كضمير الشأن وتستعمل فى الأمر الغريب العجيب لتثبيته ، والظاهر أنه كناية لأن مآله مثل ما يكون ثابتا محققاً لكنه قطع النظر فيها عن التشبيه فلذا قالوا إن الكاف فيه

(١) البقرة ١٤٣ .　　(٢) آل عمران ٤٠ .
(٣) هذا تعقيب الشهاب على كلام صاحب الكشف وهو مرجح له .
(٤) الكشاف جـ ٢ ص ٥٠٤ .　　(٥) الحجر ٦٦ .

مقحمة فإن نظر إلى أصله كان فيه تشبيه فلذا قيل : إنه من تشبيه الشيء بنفسه فتدبر » حاشية الشهاب ٦/١٤٧ .

في قوله تعالى ﴿ كذلك(١) ﴾ قال البيضاوي أي مثل ذلك الاقتصاص يعني اقتصاص قصة موسى عليه السلام ﴿ نقص عليك من أنباء ما قد سبق ﴾ أي من أخبار الأمور الماضية .

قال الشهاب : « قوله مثل ذلك الاقتصاص . . فالمشبه قصص بقية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بقصة موسى صلى الله عليه وسلم في كونه إخباراً بالغيب معجزاً(٢) .

ويصح أن يكون المشار إليه تصدر الفعل المذكور بعده(٣) كما مر في سورة البقرة(٤) » حاشية الشهاب ٦ / ٢٢٤ .

تشبيه الكل بالجزء

في قوله تعالى ﴿ وكذلك(٥) ﴾ قال البيضاوي : عطف على ﴿ كذلك نقص ﴾ أي مثل ذلك الإنزال ، أو مثل إنزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد ﴿ أنزلناه قرآنا عربيا ﴾ كله على هذه الوتيرة .

قال الشهاب : « قوله مثل ذلك الإنزال . . أي إنزال ما مر من القصص المشتمل على قصص الأولين والوعد والوعيد .

---

(١) طه ٩٩ (٢) وهذا هو وجه الشبه .

(٣) وعلى ذلك يكون المشبه قصة موسى عليه السلام والمشبه به قصص بقية الأنبياء .

(٤) في قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) . (٥) طه ١١٢

وعلى ما بعده[1] هو تشبيه للكل بالجزء[2] .

والمراد : أنه على نمط واحد ، والوتيرة : الطريقة ، والمراد طريقته في الإعجاز والإخبار بالمغيبات » ، حاشية الشهاب ٦ / ٢٢٩ .

في قوله تعالى : ﴿ كذلك وأورثناها بني إسرائيل[3] ﴾ قال البيضاوي : مثل ذلك الإخراج[4] أخرجناهم فهو مصدر ، أو مثل ذلك المقام الذي كان لهم[5] .

قال الشهاب « قوله : مثل ذلك الإخراج .. لا يرد عليه وعلى ما بعده أنه يلزمه تشبيه الشيء بنفسه كما مر تحقيقه في سورة البقرة[2] حاشية الشهاب ٧ / ١٥ .

تشبيه عده الشهاب تشابها

في قوله تعالى : ﴿ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك ﴾ أي مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق ﴿ كانوا يؤفكون ﴾[6] يصرفون في الدنيا .

---

(١) يعني على قوله أو مثل إنزال هذه الآيات .

(٢) فيكون المشبه كل القرآن والمشبه به الآيات المتضمنة للقصص والوعيد

(٣) الشعراء ٥٩

(٤) يعني قوله (فأخرجناهم من جنات وعيون) .

(٥) يعني قوله تعالى (ومقام كريم) .

(٦) هذا ، وقد ذكر مصحح الحاشية تحقيق هذا بقوله : « تنويره ما في حاشية السيوطي ، وقوله : مثل ذلك الإخراج أخرجناهم فهو مصدر قال أبو حيان هذا الوجه لا يسوغ لأنه يؤول إلى تسمية الشيء بنفسه ، وكذا قوله ←

قال الشهاب : « أى يصرفهم الشيطان والهوى عن الحق وما يطابق الواقع ، والمراد : تشابه(١) حاليهم فى الكذب وعدم الرجوع إلى مقتضى العلم لأن مدار أمرهم على الجهل والباطل .

والغرض من سوق الآية : وصف المجرمين بالتمادى فى الباطل والكذب الذى ألفوه(٢) » . حاشية الشهاب جـ ٧ ص ١٣٠ .

فى قوله تعالى : ﴿ كذلك الخروج(٣) ﴾ قال البيضاوى : كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم أحياء بعد موتكم .

قال الشهاب : يعنى المراد بالخروج خروجهم أحياء من القبور ، فشبه بعث الأموات ونشرهم بقدرته تعالى بإخراج النبات من الأرض بعد

← أو مثل ذلك المقام الذى كان لهم لأن المقام الذى كان لهم هو المقام الكريم ولا يشبه الشىء بنفسه .

وقال الحلبى : ليس فى ذلك تشبيه الشىء بنفسه لأن المراد فى الأول : أخرجناهم إخراجا مثل الإخراج المعروف المشهور وكذا الثانى ا . هـ مصححه

وعلى قول الحلبى يغاير الإخراج الأول الثانى وكذا المقام الأول والثانى ، هذا وأنظر البحر المحيط ١٩/٧

(١) الروم ٥٥

(٢) وذلك لأن حالهم فى الكذب سواء والبلاغيون على أنه إذا أريد الجمع بين شيئين فى أمر من غير قصد إلى كون أحدهما ناقصا فى ذلك والآخر زائداً فالأحسن ترك التشبيه إلى الحكم بالتشابه ليكون كل واحد من الشيئين مشبها ومشبها به احترازا من ترجيح أحد المتساويين فى وجه الشبه ، المطول ص ٣٣٥

(٣) أنظر الكشاف ٢٢٧/٣ (٤) ق ١١

وقوع المطر فكذلك خبر الخروج ، أو مبتدأ فالكاف بمعنى مثل[١] »
حاشية الشهاب ٨ / ٨٦ .

في قوله : ﴿ كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء[٢] ﴾ .
قال البيضاوى : مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى يضل الكافرين ويهدى المؤمنين .

قال الشهاب : « قوله مثل ذلك المذكور .. يعنى أن المقصود تشبيه مامر[٣] من الإضلال بهذا فى طريقته العجيبة ، وقس عليه الهدى[٤] .

ويجوز أن تكون الإشارة إلى ما بعده[٥] كما فى قوله ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ . حاشية الشهاب ٨ / ٢٧٧ .

---

(١) ماذكره فى الآية مأخوذ من الكشاف ٤/٤
(٢) المدثر ٣١
(٣) يعنى فى قوله تعالى « وليقول الذين فى قلوبهم مرض ... »
(٤) يعنى تشبيه ما مر من الهدى فى قوله تعالى « ويزداد الذين آمنوا إيمانا » بهذا فى طريقته .
(٥) يعنى مابعد اسم الإشارة وهو يضل من يشاء ... الآية وعلى هذا الرأى يكون مابعد كذلك هو المشبه وما قبله مشبها به .

الفصل الثاني

التشبيهات التي لم يذكر معها أداة التشبيه

تمهيد :

قال الشهاب عن الآيات التي لم يذكر فيها أداة التشبيه إنها من التشبيه البليغ ، وهو لا يعني بذلك أن تشبيهات القرآن فيها ما هو بليغ وما هو دون ذلك ؛ وإنما يقصد أن هذه الآيات التي حذفت منها أدوات التشبيه جاءت على طريقة ما يسميه البلاغيون تشبيها بليغا لأن القرآن كله — كما هو معروف — في درجة واحدة من البلاغة والفصاحة ، هذا :
وقد اتضح أن التشبيه البليغ عنده ما حذف منه الأداة والوجه كما سنرى في عرض الآيات التي جاءت على هذا ، وهو بهذا يتفق مع معظم علماء البلاغة الذين يعدون مضمر الأداة والوجه تشبيها بليغا ومنهم :

أبو هلال العسكري حيث قال : « وقد يكون التشبيه بغير أداة ، وهو من بديع التشبيه »(١) .

والعلوي : لقوله « إن ما حذفت أداته هو الأبلغ والأوجز ، أما كونه أبلغ فلأنك إذا قلت . زيد الأسد فقد جعلته نفس هذه الحقيقة من غير واسطة بخلاف زيد كالأسد فليس يفيد إلا مطلق المشابهة ، وأما كونه أوجز ؛ فلأن أداة التشبيه محذوفة »(٢) .

---

(١) الصناعتين ص ٢٥٥ (٢) الطراز ١/٣١٥

وابن الأثير يقول « إن التشبيه الأبلغ هو التشبيه المضمر الأداة »(١) والسكاكى يجعل أقوى مراتب التشبيه ماترك فيه كلمة التشبيه ووجه الشبه(٢).

أما سعد الدين فى المطول فإنه يذكر أن ماحذف منه الأداة يسمى مؤكدا وما حذف منه الوجه يسمى مجملا ، وكذا الخطيب فى الايضاح ، والمفهوم من عبارة المطول أن التشبيه البليغ هو ما كان بعيدا مشتملا على كثرة تفصيل أو غرابة ، وذلك لقوله — عقب ذكر التشبيه البعيد الغريب — والتشبيه البليغ ما كان من هذا الضرب ، أى من البعيد الغريب دون القريب المبتذل لغرابته أى لكون هذا الضرب غريبا غير مبتذل للأسماع ولا منسوجة عليه العناكب ، ولايخفى أن المعانى الغريبة أبلغ وأحسن من المعانى المبتذلة، ولأن نيل الشىء بعد طلبه ألذ، وموقعه فى النفس ألطف ، وبالمسرة أولى ، ولهذا ضرب المثل لكل مالطف موقعه ببرد الماء على الظمأ، ونعنى بعدم الظهور فى بادىء الرأى مايكون سببه لطف المعنى ودقته أو ترتيب بعض المعانى على بعض »(٣) الخ

وفى الإيضاح : « والبليغ من التشبيه ما كان من هذا النوع أعنى البعيد لغرابته »(٤).

---

(١) المثل السائر ١١٦/٢

(٢) مفتاح العلوم ص١٦٨ ، هذا وفى مواهب الفتاح : إن التشبيه البليغ هو ماحذفت أداته وهو مذهب المحققين ، شروح التلخيص ٢٩٨/٣

(٣) المطول ص٣٤٣ ، ٣٤٥ ، وأنظر شروح التلخيص ٢٩٨/٣ وأسرار البلاغة ص١١٠ (٤) بغية الايضاح ٧٢/٣

أما عند الرمانى : فالتشبيه البليغ يرجع إلى إخراج الأغمض إلى الأظهر بأداة التشبيه مع حسن التأليف[1] .

ومن ذلك يتضح لنا أن الشهاب عندما يجعل ماحذف منه الوجه والأداة تشبيها بليغا فإنه يوافق بهذا ماهو مشهور عند البلاغيين مخالفا بذلك ماذهب إليه الخطيب وسعد الدين .

أمثلة ماجاء على طريقة التشبيه البليغ :

فى قوله تعالى ﴿ فقلنا لهم كونوا قردة ﴾[2] قال البيضاوى : قال مجاهد مامسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار فى قوله تعالى ﴿ كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾[3]

قال الشهاب : « المقصود من قول مجاهد تشبيههم بالقردة والخنازير كقوله :

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى
فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا

كما يقال : أنت لا تقبل التعلم فكن حمارا ، أى اذهب وكن شبيه حمار .

، قال ابن جرير[4] وغيره إن قول مجاهد خلاف الصحيح المشهور

---

(١) النكت فى إعجاز القرآن
(٢) البقرة ٦٥ (٣) الجمعة ٥
(٤) يقصد الطبرى ، أنظر تفسير الطبرى ٦٥/٢

عن المفسرين من أنه مسخ حقيقي [١] » حاشية الشهاب ٢/١٧٥

فى قوله تعالى ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم [٢] ﴾ قال البيضاوى : شاق عليكم مكروه طبعا ، وهو مصدر نعت به للمبالغة ، أو فعل بمعنى مفعول كالخبز ، وقرىء بالفتح ، أو بمعنى الإكراه على المجاز كأنهم أكرهوا عليه لشدته كقوله تعالى ﴿ حملته أمه كرها ﴾ [٣]

قال الشهاب : « إذا كان بمعنى الإكراه وحمل على المكره عليه فهو على التشبيه البليغ كما أشار إليه بقوله : كأنهم اكرهوا عليه [٤] وقوله على المجاز .. بناء على أن التشبيه البليغ مجاز كما ذهب إليه كثير من أهل المعانى [٥] » حاشية الشهاب ٢/٣٠١

استقلال الشهاب برأى فى الآية مع نقده للآراء الأخرى

فى قوله تعالى ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين [٦] ﴾ ذكر البيضاوى عدة وجوه فى الآية منها قوله : وقيل المراد أولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو إسرائيل أو سماهم نبيين تهكما بهم .

---

(١) وفى الكشاف : أى كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد ، ١/٢٨٦ (٢) البقرة ٢١٦ (٣) الأحقاف ١٥

(٤) فيكون المعنى : القتال كالشيء المكره عليه .

(٥) يعنى بالمجاز هنا الاستعارة لأن قلة من البلاغيين يعدون مثل زيد أسد من الاستعارة بدعوى أن المثال يفيد من المبالغة ما تفيده الاستعارة ، أنظر بغية الايضاح ٣/١٠٨ والمطول ص ٣٥٨ وشروح التلخيص ٣/٤٦٤ وأسرار البلاغة ص٢٦٢ (٦) آل عمران ٨١

قال الشهاب : « وأما أنه سمى بنى إسرائيل نبيين تهكما بهم فلا قرينة عليه ولذا أخره المصنف لبعده ، ثم يقول : أو المراد أخذ الله ميثاقا مثل ميثاق النبيين، أى ميثاقا غليظا ثم جعل ميثاقهم نفس ميثاقهم بحذف أداة التشبيه مبالغة.

ومن الغريب ما قيل : أن الإضافة للتقليل لأدنى ملابسة كأنه قيل وإذ أخذ الله الميثاق على الناس لأجل النبيين ثم بينه بقوله ﴿ لما آتيتكم من كتاب وحكمة ﴾ ولم نر من ذكر أن الإضافة تفيد التعليل فى غير كلامه » حاشية الشهاب ٣/٤١

فى قوله تعالى ﴿ إنما ذلكم الشيطان ﴾(١) قال البيضاوى : يريد به المثبط نعيما أو أبا سفيان ، والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان له لشيطنته أو صفته وما بعده خبر.

قال الشهاب : « قوله يريد به المثبط ... إشارة إلى المثبط المعوق بقوله ﴿ إن الناس قد جمعوا لكم (٢) ﴾ بالذات وهو نعيم أو بالواسطة كأبى سفيان .

والشيطان بمعنى إبليس خبره على التشبيه البليغ ، أو الشيطان صفته على التشبيه أيضا(٣) .

ويحتمل أن يكون مجازا (٤) حيث جعله هو » حاشية الشهاب ٣/٨٢

---

(١) آل عمران ١٧٥

(٢) آل عمران ١٧٣ (٣) أنظر الكشاف ١/٤٨١

(٤) فيكون الشيطان مستعارا للمثبط .

فى قوله تعالى ﴿ وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو[1] ﴾ قال البيضاوى أى وما أعمالها إلا لعب ولهو .

قال الشهاب : « أى ليست الأعمال المختصة إلا كاللعب واللهو فى عدم النفع والثبات فخرج ما فيها من الأعمال الصالحة كالعبادة . وما كان لضرورة المعايش ، والكلام من التشبيه البليغ .

« ولو لم يقدر مضاف وجعلت الدنيا نفسها لهوا ولعبا مبالغة صح » حاشية الشهاب ٤٩/٤

فى قوله تعالى ﴿ هم درجات عند الله [2] ﴾ .قال البيضاوى : شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت فى الثواب والعقاب ، أو هم ذوو درجات .

قال الشهاب : « أى هو تشبيه بليغ بحذف الأداة والضمير لمن اتبع رضوان الله[3] ومن باء بسخطه من الله جميعا .

شبههم بالدرج فى تفاوتهم علوا وسفلا .

وعلى تقدير : ذوو درجات ... لا تشبيه ، والمراد : ذوو درجات أى منازل أو أحوال متفاوتة ، وفيه نظر [4] » حاشية الشهاب ٧٧/٣

---

(١) الأنعام ٣٢ (٢) آل عمران ١٦٢

(٣) يعنى قوله « أفمن اتبع رضوان الله ... » الآية .

(٤) النظر الذى يقصده : أن المشبه والمشبه به مذكوران ، وإذا كان الضمير ، كما ذكر للجميع فلا ينطبق تقدير ذوو درجات على من باء بسخط من الله لأن الجنة درجات والنار دركات ، وفى الكشاف : قيل ذوو درجات والمعنى : تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين والتفاوت بين الثواب والعقاب ، الكشاف ٤٧٦/١

ما حذف فيه الوجه والأداة وليس استعارة عنده :

فى قوله تعالى ﴿ والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم [1] ﴾ قال البيضاوى لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم .

قال الشهاب : « قوله لا يسمعون .. الخ إشارة إلى أنه تشبيه بليغ على القول الأصح [2] فى أمثاله ، ووجه الشبه عدم الانتفاع بما يقال » حاشية الشهاب ٥٧/٤

وقوع المشبه به فى حكم المستثنى :

فى قوله تعالى ﴿ وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ﴾ [3]

قال الشهاب : « فان قلت كيف يصح القصد إلى العموم الذى يفيده الوصف مع وجوب خروج المشبه به عنه ؟

قلت : القصد أولا إلى العام والمشبه به فى حكم المستثنى بقرينة التشبيه ، كأنه قيل : ما من واحد من أفراد هذين الجنسين بعمومها سواكم إلا أمم أمثالكم .

ولك أن تدعى دخوله بوجه يظهر بالتأمل [4] » حاشية الشهاب ٥٥/٤

فى قوله تعالى ﴿ ومن الأنعام حمولة وفرشا ﴾ [5] قال البيضاوى فى

(١) الأنعام ٢٩ (٢) على رأى جمهور البلاغيين .

(٣) الأنعام ٣٨

(٤) بأن يقدر أن جميع من فى الارض أمم أمثالنا ، هذا وأنظر الكشاف ١٧/٢ (٥) الأنعام ١٤٢

أحد الوجوه فى الآية ، وقيل : الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الأرض مثل الفرش المفروش .

قال الشهاب : « فهو على هذا تشبيه » حاشية الشهاب ٤/١٣١

وقوع من التبعيضية طرفا فى التشبيه :

فى قوله تعالى : ﴿ فمن تبعنى فإنه منى ﴾[1] قال البيضاوى فمن تبعنى على دينى فانه منى أى بعضى لا ينفك عنى فى أمر الدين .

قال الشهاب : « يعنى أن من تبعيضية على التشبيه ، أى كبعضى فى عدم الانفكاك .

ويجوز حملها على الاتصالية[2] ولا ينافيه التصريح بالبعضية كقوله ﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ﴾[3] وبه جزم الطيبى رحمه الله» حاشية الشهاب ٥/٢٧١

شبه الغشى فى نزول الوحى ليس جنونا :

فى قوله تعالى : ﴿ وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾[4] قال البيضاوى والمعنى : إنك لتقول قول المجانين حين تدعى أن الله نزل عليك الذكر .

قال الشهاب : « هذا إشارة إلى أن تشبيهه بما ذكر لأجل قوله

---

(١) إبراهيم ٣٦

(٢) وهى تبعيضية عند الزمخشرى ، الكشاف ٢/٣٨٠

(٣) التوبة ٦٧ (٤) الحجر ٦

المذكور لا لما يظهر عليه من شبه الغشى حين تنزل عليه الوحى لأن هذا هو المناسب المقام » حاشية الشهاب ٥ / ٣٨٤ .

فى قوله تعالى :﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾(٢) قال البيضاوى: حوامل، شبه الريح التى جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم ، أو ملقحات ، أو السحاب .

قال الشهاب : « قوله حوامل، شبه الريح .. الخ يعنى أنه جمع لاقح بمعنى حامل ، يقال ناقة لاقح بمعنى حامل فهو من التشبيه البليغ ، شبهت الريح التى تأتى بالسحب الماطرة بالناقة الحامل لأنها حاملة للسحاب الماطر أو للماء الذى فيه .

وقال الفراء : « إنها جمع لاقح على النسب كلابن وتامر (٣) ، أى ذات لقاح وحمل وهى التى تجىء بالسحب المطرة ويقال لضدها ريح عقيم وقوله : أو ملقحات للشجر أو السحاب... عطف على قوله حوامل وهو من ألقح الفحل الناقة إذا ألقى ماءه فيها لتحمل فاستعير لصب المطر فى السحاب أو الشجر وإسناده إليها على الأول حقيقة وعلى الثانى مجاز(٤) إذ الملقى فى الشجر السحاب لا الريح وهو حينئذ جمع ملقح بحذف الزوائد كالصوائح (٥) أو هو جمع لاقح على النسب أو هو مجاز و كلام المصنف صريح فى الأول ، ولقح الشجر تنميته لينمو ويزهو أو أن يجرى الماء فيه حاشية الشهاب ٥/٢٨٩

---

(٢) الحجر ٢٢
(٣) معانى القرآن ٢/٨٧
(٤) يعنى مجازا عقليا .
(٥) هذا أحد وجهين مذكورين فى الكشاف انظر ٢/٣٨٩

فى قوله تعالى ﴿ وجعلنا جهنم للـكافرين حصيراً ﴾[1] قال البيضاوى محبسا لا يقدرون على الخروج منها ، وقيل بساطا كما يبسط الحصير .

قال الشهاب : « قوله كما يبسط الحصير ... كقوله ﴿ لهم من جهنم مهاد ﴾[2] فهو تشبيه بليغ ، والحصير بهذا المعنى بمعنى محصور لحصر بعض طاقاته على بعض » حاشية الشهاب ٦ /١٣

وقوع المصدر طرفا فى التشبيه [3]

فى قوله تعالى ﴿ ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير ﴾[4] قال البيضاوى : مثل دعائه بالخير.

قال الشهاب: « يعنى أن دعاءه مصدر تشبيهى وأصله دعاء كدعائه[5] فحذف الموصوف وحرف التشبيه وليس المراد أن فيه مضافا مقدرا ، أى مثل » حاشية الشهاب ٦ / ١٣

فى قوله تعالى : ﴿ ولا تبرجن ﴾ قال البيضاوى : ولا تتبخترن فى مشيك (تبرج الجاهلية الأولى[6]) تبرجا مثل تبرج النساء فى أيام الجاهلية القديمة .

---

(١) الاسراء ٨ (٢) الأعراف ٤١

(٣) يقول ابن الأثير : « واعلم أن من محاسن التشبيه أن يجىء مصدريا كقولنا : أقدم اقدام الأسد ، والتشبيه لا يعمد إليه إلا الضرب من المبالغة وهو أحسن ما استعمل فى باب التشبيه » المثل السائر ٢/١٢٥

(٤) الاسراء ١١

(٥) وفى الكشاف أيضا « أنه قد يراد بالإنسان الكافر وإنه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير إذا مسته الشدة » ٢/ ٤٤٠

(٦) الأحزاب ٣٣

قال الشهاب : « قوله مثل تبرج النساء ... إشارة إلى أن المصدر تشبيهى — مثل : له صوت صوت حمار — وبيان لحاصل المعنى .

وقيل : إنه لبيان أنه فيه إضمار مضافين أى تبرج نساء أيام الجاهلية حاشية الشهاب ١٧١/٧

فى قوله تعالى ﴿ سنة الله ﴾ قال البيضاوى . سن ذلك سنة ﴿ فى الذين خلوا من قبل (١) ﴾ من الأنبياء وهو نفى الحرج عنهم فيما أباح لهم .

قال الشهاب : « قوله سنة فى الذين ... الخ مصدر تشبيهى ،وقوله وهى .. أى سنته فيهم تفسير للمشبه به ولذا وقع فى نسخة هى بضمير المؤنث » حاشية الشهاب ١٤٧/٧

وفى قوله تعالى ﴿ قال انفخوا حتى إذا جعله نارا ﴾(٢) قال البيضاوى جعل المنفوخ فيه كالنار بالإحماء .

قال الشهاب : « هذا إشارة إلى أنه تشبيه بليغ » حاشية الشهاب ١٣٦/٦

فى قوله تعالى ﴿ الذى جعل لكم الأرض مهدا ﴾(٣) قال البيضاوى أى كالمهد تتمهدونها .

قال الشهاب : « فهو تشبيه بليغ وتقدم له بسط فى سورة البقرة » حاشية الشهاب ٢٠٨/٦

فى قوله تعالى ﴿ فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا ﴾ (٤) قال البيضاوى : مثل الحصيد ،وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع .

(١) الأحزاب ٣٨ (٢) الكهف ٩٦
(٣) طه ٥٣ (٤) الأنبياء ١٥

قال الشهاب : « يشير إلى أنه تشبيه بليغ مقدر فيه هذا المضاف الذى يطلق على الواحد وغيره لأنه مصدر فى الأصل فلذا أفرد الحصيد لأنه ليس هو الخبر فى الحقيقة حتى يلزم مطابقته فافراده دال على هذا التقدير كما قيل . . ولا وجه له فانه هو المحمول فى التشبيه البليغ ويلزم مطابقته فتقول : الرجل أسد ، والرجال أسود ؛ بل المراد أن فعيلا بمعنى مفعول وهو يستوى فيه الواحد المذكر وغيره فلا حاجة لتأويله بالجنس ونحوه » حاشية الشهاب ٦/٢٤٥

تشبيهات بليغة على طريق التجريد[١]

فى قوله تعالى ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴾[٢] قال البيضاوى: فاجتنبوا الرجس الذى هو الأوثان كما تجتنب الأنجاس ، وهو غاية المبالغة فى النهى عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها .

(١) يوافق الشهاب السكاكى فى عده ما أفاد التشبيه من أساليب التجريد تشبيها، قال فى المفتاح : « وإذا عرفت أن وجود طرفى التشبيه يمنع عن حمل الكلام على غير التشبيه عرفت أن فقد كلمة التشبيه لا تؤثر إلا فى الظاهر وعرفت أن نحو رأيت بفلان أسداً تشبيها لا فرق إلا فى شأن المبالغة » المفتاح ص ١٦٨

وهذا بخلاف ما عليه الجمهور لأنهم لا يدخلون هذا النوع فى التشبيه ولا فى الاستعارة قال السعد : « وإن لم يكن اسم المشبه به خبرا عن المشبه ولا فى حكم الخبر نحو رأيت بفلان أسداً فلا يسمى استعارة بالاتفاق لأنه لم يجر اسم المشبه به على ما يدعى استعارته له لا باستعماله فيه ولا باثبات معناه له ولا يسمى تشبيها لأن الإتيان باسم المشبه به ليس لإثبات التشبيه إذ لم تقصد الدلالة على المشاركة وإنما التشبيه مكنون فى الضمير » المطول ص ٣٤٦

(٢) الحج ٣٠

قال الشهاب : « قوله كما تجتنب الأنجاس .. إشارة إلى أنه تشبيه بليغ على طريق التجريد ، وغاية المبالغة والتنفير من جعلها نجاسة [١] » حاشية الشهاب ٢٩٥/٦

وفى قوله تعالى ﴿ فإذا انشقت السماء فكانت وردة ﴾ [٢] قال البيضاوى : حمراء كوردة ، وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من باب التجريد كقوله :

ولئن بقيت لأرحلن بغزوة تحوى الغنائم أو يموت كريم

قال الشهاب : « قوله حمراء كوردة .. فهو تشبيه بليغ » [٣]

وقوله التجريد .. أى البديعى لأنه بمعنى كانت منها أو فيها وردة [٤] مع أن المقصود أنها نفسها وردة » حاشية الشهاب ١٣٦/٨

ويقول الشهاب فى استشهاد البيضاوى بقول زهير :

كأن عينى فى غربى مقتلة من النواضح تسقى جنة سحقا

المعنى — كما فى شرح الديوان — أنه يقول : لما يئست منهم لم أملك دموعى فكأنها من كثرتها تسيل من دلوى ناقة مذللة للعمل لا تريق شيئا مما فى الدلو بل تخرجها تامة مملوءة .

---

(١) وفى الكشاف : يعنى إنكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس فعليكم أن تنفروا عن هذه الأشياء مثل تلك النفرة ١٢/٣ الكشاف .

(٢) الرحمن ٢٧ ، والتشبيه فى الآية لإخراج مالم تجربه العادة إلى ماجرت به العادة ، الصناعتين ص٢٤٧

(٣) وقال ابن ناقيا قيل كلون فرس ورد ص٢٩٣

(٤) وهذا على قراءة عمرو بن عبيد برفع وردة ، الكشاف ٤٨/٤

وقال قدس سره كان الظاهر أن يقـول : كأن عيني غربا مقتلة لـكنه أتى بكلمة فى كأنه يدعى أن ما ينصب من الغربين منصب من عينيه ولم يزد على هذا فكأنه تجريد كما فى قولهم: فى الله كاف وبه صرح الطيبى .

ولا يخفى أن التجريد لا يصرح فيه بأداة التشبيه لأنه من التشبيه البليغ عندهم[٤] والتصريح بالتشبيه فيه لا نظير له حاشية الشهاب ٢/٦٤

فى قوله تعالى ﴿ ملة أبيكم إبراهيم ﴾[١] قال البيضاوى: وإنما جعله أباهم لأنه أبو رسول الله ﷺ ، وهو كالأب لأمته من حيث إنه سبب لحياتهم الأبدية ووجودهم على الوجه المعتد به فى الآخرة ، أو لأن أكثر العرب من ذريته فغلبوا على غيرهم .

قـال الشهاب : « قوله كالأب لأمته . . فيه إشـارة إلى جواز إطلاق الأب عليه ﷺ كما أطلقت الأمهات على زوجاته [٢]

وقوله من حيث . . تعليل له وبيان لوجـه الشبه » حاشية الشهاب ٦/٣١٧ .

فى قوله تعالى ﴿ وينزل من السماء من جبال فيها ﴾[٣] قال البيضاوى من قطع عظام تشبه الجبال فى عظمها أوجمودها .

---

(١) يقصد عند السكاكى كما سبق ذكره .
(٢) الحج ٣٨
(٣) يعنى فى قوله تعالى (وأزواجه أمهاتهم ..)الآية
(٤) النور ٤٣

قال الشهاب : « قوله من قطع ... على التشبيه البليغ ، وقد فسرها بعضهم بالغمام أيضا .

ومن الغريب قول الأصبهانى : أن الجبال ما جبله الله أى خلقه من البرد [1] ، واللغة لا تساعده كما قاله الرضى فى درره .

وفى الكشاف : أن المراد به الكثرة كما يقال عنده جبل من ذهب »[2] حاشية الشهاب ٦/٣٩٢

فى قوله تعالى : ﴿ والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ﴾[3]

قال البيضاوى : لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر .

قال الشهاب : « قوله كمن لا يسمع.. إشارة إلى أنه تشبيه بليغ »[4] حاشية الشهاب ٦/٤٣٨

فى قوله تعالى : ﴿ فإنهم عدو لى ﴾[5] قال البيضاوى : يريد أنهم أعداء لعابديهم من حيث إنهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه ، أو أن المغرى بعبادتهم أعدى أعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الأمر فى نفسه تعريضا لهم

---

(١) المفردات فى غريب القرآن ص ٨٥

(٢) الكشاف ٣/٧١ (٣) الفرقان ٧٣

(٤) وفى الكشاف : أنهم سامعون لها بآذان واعية مبصرون بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم والعميان حيث لا يعونها كالمنافقين» الكشاف ٣/١٠٢ (٥) الشعراء ٧٧

قال الشهاب : « قوله من حيث إنهم يتضررون من جهتهم .. إشارة إلى أن قوله ﴿ انهم عدو ﴾ تشبيه بليغ .

وقوله فوق ما يتضرر .. قيل لأن المشبه أقوى في وجه الشبه في الواقع وإن كان المشبه به أشهر فلا وجه لما قيل إنه لا دلالة في النظم على هذا المعنى .

وقيل : إنهم يخاصمونهم إذ ينطقهم الله في القيامة .

وقيل : إن هذا على القلب وأصله إنى عدو لهم ، وهو تكلف »
حاشية الشهاب ٧/١٧

في قوله تعالى ﴿ وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب ﴾[1] قال البيضاوى : إلا كما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين .

قال الشهاب . « قوله إلا كما يلهى ويلعب به الصبيان ... الفعلان تنازعا قوله به الصبيان ، وفيه إشارة إلى أنه تشبيه بليغ .

ووجه الشبه سرعة الزوال وعدم النتيجة غير التعب .

ولو قال : كما يلهون كان أظهر لأنه ليس للافعال موضع هنا »
حاشية الشهاب ٧/١٠٩

في قوله تعالى ﴿ وأزواجه أمهاتهم ﴾[2] قال البيضاوى : منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم .

قال الشهاب : « قوله منزلات منزلتهن في التحريم ... أي تحريم

---

(١) العنكبوت ٦٤   (٢) الأحزاب ٦

النكاح ، وهو إشارة إلى أنه تشبيه بليغ ، ووجه الشبه ما ذكره»[1] حاشية الشهاب ٧/١٦٠ .

فى قوله تعالى ﴿هذا بصائر للناس﴾[2] قال البيضاوى : هذا القرآن أو اتباع الشريعة (بصائر) أى بينات تبصرهم وجه الفلاح ﴿ وهدى ﴾ من الضلالة .

قال الشهاب : « قوله تبصرهم وجه الفلاح... استعارة حسنة وهذا بصائر تشبيه بليغ » [3] حاشية الشهاب ٨/١٩

فى قوله تعالى : ﴿ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم﴾[4] قال البيضاوى : عذاب النار النافذة فى المسام نفوذ السموم .

قال الشهاب : « فالسموم أطلق عليها لمشابهتها الريح السموم وهى الريح الحارة النافذة فى المسام وإن كان وجه الشبه فى النار أقوى لكنه فى ريح السموم — لمشاهدته فى الدنيا — أعرف فلذا جعل مشبها به ، وليس مبنيا على قلب التشبيه كما توهم » حاشية الشهاب ٨/١٠٥

احتمال التشبيه وعدمه فى الآية

فى قوله تعالى ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون

---

(١) يعنى التحريم والتعظيم ، وفى الكشاف تشبيه لهن بالأمهات فى بعض الأحكام ٣/٥١ ، وجعل ابن قتيبة وجه الشبه الحرمات ، تأويل مشكل القرآن ص١٠٤ (٢) الجاثية ٢٠

(٣) وفى الكشاف : جعل مافيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر فى القلوب كما جعل روحا وحياة ٣/٥١١

(٤) الطور ٢٧

والشهداء عند ربهم [١] ﴾ قال البيضاوى : أى أولئك عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء أو هم المبالغون فى الصدق فانهم آمنوا وصدقوا جميع أخبار الله ورسله .

قال الشهاب : « قوله أولئك عند الله . أى فى حكمه وعلمه وقوله بمنزلة الصديقين .. فهو تشبيه بليغ [٢] ، وعند ربهم ليس متعلقا بالشهداء على هذا ، وقوله أوهم المبالغون . فهو على ظاهره » حاشية الشهاب ١٥٩/٨

فى قوله تعالى ﴿ وجعل الشمس سراجا ﴾ [٣] قال البيضاوى مثلها به لأنها تزيل ظلمة الليل عن وجه الأرض كما يزيلها السراج عما حوله .

قال الشهاب : « قوله مثلها به .. إشارة إلى أنه تشبيه بليغ ، وقوله لأنها ... بيان لوجه الشبه فإن كلا منهما يزيل ظلمة الليل ، وإن كان أحدهما بانارته والآخر بمحو آيته [٤] ، وقوله عما حوله ... إشارة إلى أنه [٥] فى المشبه أقوى ولكن لكون السراج أعرف وأقرب جعل مشبها به » حاشية الشهاب ٢٥٢/٨

فى قوله تعالى ﴿ والله جعل لكم الأرض بساطا ﴾ [٦] قال البيضاوى تتقلبون عليها .

قال الشهاب : « هذا إشارة إلى وجه التشبيه بالبساط وهو السكون عليه والتقلب فوقه [٧] ، وأنه ليس فيه دلالة على أن الأرض مبسوطة

---

(١) الحديد ١٩ — (٢) وذلك كما فى الكشاف ٦٥/٤
(٣) نوح ١٦ — (٤) يعنى قوله فمحونا آية الليل ... الآية
(٥) أى الوجه . — (٦) نوح ١٩
(٧) وهذا مأخوذ من عبارة الكشاف ١٦٣/٤

غير كرية كما قيل ، لأن الكرة العظيمة يرى كل من عليها مايليه مسطحا ، وإثبات الكرية ونفيها ليس بأمر لازم فى الشريعة » .حاشية الشهاب ٢٥٢/٨

فى قوله تعالى ﴿ وكانت الجبال كثيبا ﴾[1] قال البيضاوى : رملا مجتمعا ، من كثبت الشيء إذا جمعته .قال الشهاب : «فهو تشبيه بليغ » حاشية الشهاب ٢٦٧/٨

فى استشهاد البيضاوى بقول الرسول ﷺ: غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك .

قال الشهاب : « فيه تشبيه بليغ ، أى كأسيرك » حاشية الشهاب ٢٨٩/٨

فى قوله تعالى ﴿ ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا ، قوارير من فضة ﴾[2]

قال البيضاوى : أى تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها .

قال الشهاب : « قوله أى تكونت .. أى أوجدت وخلقت وهذا إشارة إلى أن كان هنا تامة[3] وقوارير حال ، وإفادة ماذكر لأن القارورة

---

(١) المزمل ١٤ ، وأنظر الكشاف ١٧٧/٤

(٢) الإنسان ١٥

(٣) وذلك كما فى الكشاف ١٩٨/٤

من الزجاج وهو على التشبيه البليغ ، أى كالقوارير فى كونها شفافة صافية اللون »[1] ، حاشية الشهاب ٨/٢٩٠

فى قوله تعالى ﴿ ألم نجعل الأرض مهادا ، والجبال أوتادا ﴾[2] قال البيضاوى : تذكير ببعض ماعاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث ، وقرىء مهدا أى أنها لهم كالمهد للصبى مصدر سمى به مايمهد لينام عليه .

قال الشهاب : « المهاد البساط أو الفراش ، والمهد مصدر صار اسما لما يمد للصبى لينام فيه فهو هنـا تشبيه بليغ كالأوتاد » حاشية الشهاب ٨/٣٠٢

فى قوله تعالى ﴿ وجعلنا نومكم سباتا ﴾[3] قال البيضاوى: أى قطعا عن الإحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية ، أو موتا لأنه أحد التوفيتين ، ومنه المسبوت الميت .

قال الشهاب : « قوله أو موتا ... أى كالموت على التشبيه البليغ[4] وهذا على أنه ورد فى اللغة بهذا المعنى وذكره حينئذ لأنه مشابه للإحياء

---

(١) قال ابن قتيبة : الأكواب لها بياض الفضة وصفاء القوارير وهو على التشبيه . وفى الجمان هى كالقوارير فى صفائها ، وهى من فضة على التشبيه المحذوف حرفه . وقيل : إنه لما كان أصل القوارير من الرمل كان أصل هذه الآنية من الفضة وهى قوارير يرى من خارجها ما فى داخلها ، والقول الأول على معنى التشبيه أحسن ، الجمان ص ٣٣٦ ، تأويل مشكل القرآن ص ٨٠

(٢) النبأ ٦ ، ٧ (٣) النبأ ٩

(٤) وفى أمالى المرتضى . لا تشبيه فى الآية ٢/١٥

بعد الموت ، فمن قدر على هذا قادر على البعث الذى عنه يتساءلون ، وقوله أحد التوفيقين . . أى المذكور فى الآية السابقة وهو إشارة إلى وجه الشبه بينهما » ، حاشية الشهاب ٣٠٢/٨

فى قوله تعالى ﴿ وفتحت السماء فكانت أبوابا ﴾ [١] قال البيضاوى فصارت من كثرة الشقوق كأن الكل أبواب ، أو فصارت ذات أبواب .

قال الشهاب : « قوله فصارت . . إشارة إلى أن كان من الأفعال الناقصة ومعناها : اتصاف المبتدأ بالخبر فى الزمن الماضى نحو كان زيد قائما ، وقد ترد بمعنى صار كما ذكره ابن مالك فى التسهيل وغيره فتدل على الانتقال من حال إلى أخرى كما فى قوله تعالى ﴿ فكانت هباء منثورا ﴾ والسماء بالشق لاتصير أبوابا حقيقة فلابد من تأويلها :

وإما أن تشبه شقوقها بالأبواب فى السعة والكثرة تشبيها بليغا [٢] ، أو يقدر فيه مضاف كما ذكره المصنف » ٣٠٥/٨

فى قوله تعالى ﴿ وسيرت الجبال فكانت سرابا ﴾ [٣] قال البيضاوى سيرت فى الهواء كالهباء فكانت مثل سراب إذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت أجزائها وانبثاثها .

قال الشهاب : « قوله فى الهواء كالهباء . . أى رفعت من أماكنها فى الهواء وذلك إنما يكون بعد تفتيتها وجعلها أجزاء متصاعدة كالهباء فقوله كالهباء حال أى كائنة كالهباء .

---

(١) النبأ ١٩ (٢) وذلك كما فى الكشاف ٢٠٨/٤ (٣) النبأ ٢٠

وقوله : مثل سراب . . إشارة إلى أنه تشبيه بليغ ، وقوله إذ ترى... الخ تعليل له يتضمن وجه الشبه بالسراب ، فإن الجامع أن كلا منهما يرى على شكل شيء وليس به ، فالسراب يرى كأنه بحر وليس كذلك ، والجبال إذ فتتت وارتفعت فى الهواء ترى كأنها جبال وليست بجبال بل غبار غليظ متراكم يرى من بعيد كأنه جبل ، لا أنها تجرى جريان الماء فيزيد عطش الكفرة إذ رأوها وظنوها ماء كما توهم ، فإن كلام المصنف يأباه » حاشية الشهاب ٣٠٦/٨

المشبه لا يلزم أن يكون أدون من المشبه به فى وجه الشبه :

فى قوله تعالى ﴿وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾[1] قال البيضاوى — فى أحد الوجوه — وقرأ الكسائى (لتزول) بالفتح والرفع على أنها المخففة واللام هى الفاصلة ، ومعناه تعظيم مكرهم .

قال الشهاب : « قوله ومعناه تعظيم مكرهم كما فى الشرطية[2]

فإن قلت : كونها نافية ينافى قراءة الكسائى المثبتة لدلالتها على عظم مكرهم ودلالة كونها نافية على حقارته[3] ؟

قلت : أجيب عنه بأن الجبال ، فى قراءة الكسائى يشار بها إلى ماجاء به النبى ﷺ من الحق ، وفى غيره على حقيقتها فلا تعارض إذ لم يتواردا على محل واحد نفيا وإثباتا .

ورد : بأنه إذا جعل آيات الله شبيهة بالجبال فى الثبات كانت مثلها

---

(١) إبراهيم ٤٦ (٢) يعنى على أن إن شرطية فى الآية

(٣) هذا الاعتراض مذكور فى البحر المحيط ٤٣٨/٥

بل أدون منها فإذا نفى إزالته إياها انتفى إزالته جبال الدنيا بالطريق الأولى فتنافى إزالته إياها الثابتة بقراءة الكسائى فالإشكال باق بحاله ؟

قلت : هذا غير وارد لأن المشبه لا يلزم أن يكون أدون من المشبه به فى وجه الشبه بل قد يكون بخلافه لكون المشبه به أعرف بوجه الشبه وهنا كذلك لأن ثبوت الجبال يعرفه الغبى والذكى بخلاف الحق ، ولو سلم فقد يقدر على إزالة الأقوى دون الآخر لمانع ، كالشجاع يقدر على قتل أسد ولا يقدر على قتل رجل مشبه به لامتناعه بعدة أو حصن ولا أحصن وأحمى وأقوى من تأييد الله للحق بحيث تزول الجبال يوم تنسف نسفا ولا يزول ، وهذا ظاهر لكل ذى بصيرة »[1] حاشية الشهاب ٥/٢٧٧

تشبيه بليغ على منهج تجاهل العارف :

فى استشهاد البيضاوى بقول الفرزدق يمدح نصر بن سيار :

تنظرت نصرا والسماكين أيهما   علىَّ من الغيث استهلت مواطره

قال الشهاب « : فيه تنظرت بمعنى انتظرت ، واستهل بمعنى انصبَّ

---

(١) وفى الكشاف : ضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته ، أى وإن كان مكرهم مسوى لإزالة الجبال معدا لذلك ، وقد جعلت إن نافية واللام مؤكدة كقوله (وما كان الله ليضيع إيمانكم) والمعنى : ومحال أن تزول الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل لآيات الله وشرائعه ؛ لأنها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا ، الكشاف ٢/٣٨٣

هذا وفى البحر المحيط : وما تأول بعضهم أنه عبر بالجبال عن الإسلام والقرآن لثبوته ورسوخه وعبر بمكرهم عن اختلافهم فيه فقول ينبو عنه ظاهر اللفظ ، البحر المحيط ٥/٤٣٨

يعنى إنه انتظر الممدوح وجوده وأحد الأنواء الماطرة ولم يفرق بينهما ، وهذا تشبيه بليغ على نهج تجاهل العارف »[1] حاشية الشهاب ٧/٧٢

فى استشهاد البيضاوى بقول الرسول ﷺ : الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الإسلام .

يقول الشهاب : « العماد الدعامة ، من عمدت الحائط إذا دعمته ، والقنطرة الجسر وما ارتفع من الأرض ، وكون الصلاة عماد الدين على التشبيه[2] أو الاستعارة[3] لأنها أشرف أعماله التى لا تسقط فرضيتها إلا نادراً . وكون الزكاة قنطرة لأن مؤديها طهر نفسه وماله وبين خلوصه والقنطرة كالجسر يستعار للوصل كما قال أبو تمام :

لا يطمع المرء أن يجتاب لجته بالقول ما لم يكن جسراً له العمل

فإن قلت : وقع فى الحديث المشهور (بنى الإسلام على خمس) ، عد منها الزكاة فيه فجعلت ثمة عمادا داخلا وهنا قنطرة خارجة عنه فما النكتة فيه ؟

قلت : هو تجوز لا حجر فيه ، فمن حيث إنها من شعائر الإسلام تعد ركنا فيه ، ومن حيث إن المال بصرفه يجعل باذله داخلا فى الإسلام تعد قنطرة ، أو ذاك[4] باعتبار من رسخ إسلامه وقدمه وهذا باعتبار من حدث إيمانه » حاشية الشهاب جـ ١ ص ٢٠٩ .

---

(١) وهو سوق المعلوم مساق غيره لنكتة ، كالتقرير أو التعريض أو المبالغة فى المدح ... الخ ، البديع فى ضوء أساليب القرآن ص ٧٩

(٢) يعنى بأن تشبيه الصلاة بالأعمدة تشبيهاً بليغاً .

(٣) بأن تكون الاستعارة مكنية فيشبه الدين ببناء قوى له عمد و الصلاة من أهم تلك العمد .

(٤) يعنى قوله : بنى الإسلام على خمس

الفصل الثالث

ماجاء على التشبيه المركب والتمثيل[1]

أولا : أمثلة التشبيه المركب :

فى قوله تعالى : ﴿ والذى أنزل إليك من ربك الحق[2] ﴾ قال البيضاوى : والجملة كالحجة على الجملة الأولى .

قال الشهاب : « يعنى على هذا الوجه وهو ما إذا كان مبتدأ وخبر ، وعلى ما قبله (الحق) خبر مبتدأ محذوف .

وفى الكشاف[3] — بعد ما فسر الكتاب بالسورة — هو الحق الذى لامزيد عليه لاهذه السورة وحدها ،وفى أسلوب هذا الكلام قول الأنمارية[4] : هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها ، تريد الكلمة .

(١) يذكر الشهاب فى توضيحه للتشبيه فى الآيات أن هذا من المركب ، وفى البعض الآخر يذكر أنها من التمثيل وهو بذلك يسير على ما تعارف عليه البلاغيون من تفريقهم بين المركب والتمثيل مع أنهم اختلفوا فى ضابط التمثيل بعد أن جعلوه ماكان وجهه منتزعاً من أمور ، ويبدو من الكلام الذى قاله السيد الشريف فى اعتراضه على سعد الدين أن التمثيل يستدعى تركب الطرفين حيث قال : « لا يخفى أن المتبادر من انتزاع وجه التشبيه من متعدد انتزاعه من متعدد فى طرفى التشبيه لا كونه مركباً من متعدد هو أجزاؤه كما توهمه الشارح فأورد فى مثاله تشبيه المفرد بالمفرد وقد ذكر المصنف فى رده على السكاكى أن التمثيل يستلزم التركيب ... ثم قال : ينبغى أن لا يمثل للتمثيل إلا بتشبيهات مركبة الأطراف ، حاشية السيد على المطول ص ٢٣٨

(٢) الرعد ١ (٣) الكشاف ٣٤٨/٣

(٤) المعروف أن هذا المثال من تشبيه التمثيل

والأنمارية هي فاطمة بنت الخرشب ، ولدت لزياد العبسي ربيعا الكامل وعمارة الوهاب وقيس الحفاظ وأنس الفوارس ، وكانت العرب تسميهم الكملة .

قال في الكشاف : وهو تغليب[1] كالعمرين إن جعل الكامل لقبا وان جعل وصفا غالبا فأظهر ، وفيه نظر لأنه لا يكون تغليبا إلا إذا كان لقبا وجعل الجمع له أما إذا كان وصفا فلا تغليب فيه إلا بادعاء الاختصاص فكيف يكون أظهر مع أنه لقب بلا شبهة ؟

وكانت قيل لها أي بنيك أفضل ؟ فقالت : ربيع بل عمارة بل قيس بل أنس ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل ! ، والله إنهم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها .

ووجه الشبه عقلي مركب في حكم الواحد وهو امتناع تعين أحد المتقابلين فيهما أعني الفاضل والمفضول في المشبه والطرف والوسط في المشبه به ، فكما أنها نفت التفاضل آخراً بإثبات الكمال لكل واحد وأتت بالإجمال بعد التفصيل للدلالة على أن كمال كل واحد منهم لا يحيط به الوصف كذلك هنا .

لما أثبت لهذه السورة بخصوصها الكمال استدرك عليه بأن كل المنزل كذلك فلا تختص سورة دون أخرى بالكمال للدلالة المذكورة .

وهذا وجه بليغ ومعنى بديع ، وما ذكره المصنف شيء آخر وهو أن هذه الجملة لتقرير ماقبلها والاستدراك عليه لأنه إذا كان كل منزل عليه

---

(١) يعني تغليب اسم الكامل على الثلاثة الآخرين .

حقا كان الكتاب النازل عليه كلا وبعضا حقا فهو كامل لأنه لا أكمل من الحق والصدق .

وإنما قال كالحجة ولم يقل إنه حجة لأنه لا يلزم من الحقية الكمال ولأنه فيه شائبة إثبات الشيء بنفسه فتأمله » . حاشية الشهاب ٥ / ٢١٦ .

تشبيه وقعت في طرفه استعارة :

في قوله تعالى : ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض[1] ...الآية﴾ قال الشهاب : هذا تشبيه مركب[2] شبه فيه هيئة اجتماعية من الحياة وسرعة انقضائها بأخرى من خضرة الزرع ونضارتها وانعدامها عقيبها بالأمر الإلهي ، وقد مر تحقيقه في سورة البقرة[3] .

(١) يونس ٢٤ ، وقال أبو هلال والرماني : أن التشبيه في الآية قد أخرج ما لم تجر به العادة إلى ما قد جرت به العادة ، الصناعتين ص ٢٤٧ ، ثلاث رسائل في الإعجاز ص٧٧ وقال ابن سنان : والأصل في حسن التشبيه أن يمثل الغائب الخفي الذي لا يعتاد بالظاهر المحسوس المعتاد فيكون حسن هذا لأجل إيضاح المعنى وبيان المراد، سر الفصاحة ص ٢٩٠ ، وقال ابن الأثير عن التشبيه في الآية : وهو من تشبيه صورة بصورة وهو من أبدع ما يجيء في بابه ، المثل السائر ٢ / ١٤٠ .

(٢) وفي البحر المحيط : ضرب مثلا عجيبا غريبا للحياة الدنيا تذكر من يبغي فيها على سرعة زوالها وانقضائها وإنها بحال ما تعز وتسر تضمحل ويؤول أمرها إلى الفناء ، وأن المثل يحتمل أن يراد به الصفة وأن يراد به القول السائر ، والظاهر تشبيه صفة الحياة بماء فيما يكون به ويترتب عليه من الانتفاع ثم الانقطاع . البحر المحيط ص ١٤١ ، ١٤٢ .

(٣) في قوله تعالى : مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ... الآية وستأتي بعد ذلك

وقول الزمخشري[1] : إنه روعى الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا يبالى بأى أجزائه يلى الكاف ، فإنه ليس المقصود تشبيهه كالماء هنا ظاهر ، وسيصرح به المصنف أيضا .

وقوله : ﴿ أخذت الأرض زخرفها ﴾ استعارة[2] وقعت فى طرف المشبه به ، فالمشبه به مركب من أمور حقيقية وأمور مجازية كما قال الطيبى . حاشية الشهاب ٥ / ٢٠ .

فى قوله تعالى : ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال[3] ﴾ قال البيضاوى : فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به أو تقيسونه عليه ، فان ضرب المثل تشبيه حال بأخرى .

قال الشهاب : « قوله فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به ... الخ المثل فى عبارته — بوزن العلم — الشبه وليس واحد الأمثال الواقع فى النظم بل بيان لحاصل المعنى فهو كما فى الكشاف[4] تمثيل للاشراك بالله .

قال المدقق فى الكشف : أى أن الله تعالى جعل المشرك به الذى

---

(١) الكشاف ١/٢١١ ، ٢/٢٣٣ .

(٢) فى الكشاف : جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس ٢/٢٣٣ .

هذا ويقول ابن ناقيا : والتشبيه فى الآية أحسن موقعا وأبلغ معنى من جميع ما وصف به حال الدنيا وميل النفوس إليها مع قلة صحبتها والاستمتاع بلذاتها ... ومثل هذه الآية الآية رقم ٤٥ سورة الكهف والآية رقم ٢٠ سورة الحديد ، الجمان ص ١١٧

(٣) النحل ٧٣ (٤) الكشاف ٢/٤٢٠ وانظر البحر المحيط ٥/٥١٧

يشبهه بخلقه بمنزلة ضارب المثل ، فإن المشبه المخذول يشبه صفة بصفة وذاتا بذات ، كما أن ضارب المثل كذلك فكأنه قيل : ولا تشركوا وعدل عنه لما ذكر دلالة على التعميم فى النهى عن التشبيه وصفا وذاتا .

وفى لفظة الأمثال لمن لامثال له نعى عظيم على سوء فعلهم ، وفيه إدماج لأن الأسماء توقيفية وهذا هو الظاهر لدلالة الفاء وعدم ذكر المثل منهم سابقا . اهـ

ويجوز عندى أن يريد أن (تضربوا) بمعنى تجعلوا لأن الضرب لمثل فيه معنى الجعل كما صرح به المصنف فى سورة البقرة فيكون كقوله ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا ﴾(١) على أن الأمثال جمع مثل فيكون وجها غير المذكور فى الكشاف وبه يظهر مغايرة مابعده وعطفه بأو ، وهذا مع ظهوره لم يعرج عليه أحد من أرباب الحواشى(٢) ولبعض الشراح هنا كلام مختل تركناه خوف الإطالة .

قوله وتقيسونه عليه .. هذا معطوف على تشركونه به فهو صفة مثلا أيضا ، وضمير عليه للمثل لا لله .

والفرق بينه وبين ماقبله على الوجه الثانى ظاهر لفظا ومعنى ، وأما على الأول فمعنى ضرب المثل فيما قبله الإشراك بالله على أنه استعارة تمثيلية كما حقق فى شرح الكشاف ومعناه على هذا : النهى عن قياس الله على غيره ، فضرب المثل استعارة للقياس فإن القياس إلحاق شىء بشىء

(١) البقرة ٢٢ .
(٢) يفخر بنفسه .

وهو عند التحقيق تشبيه مركب بمركب ، فأو على ظاهرها وليست للتنويع كما توهم .

وقوله : فإن ضرب المثل تشبيه حال بحال تعليل لهذا فقط على الوجه الأول وتعليل لهما أو للثاني ويعلم منه حال الأول على غيره .

وفى قوله تعالى ﴿ إن الله يعلم وأنتم لاتعلمون ﴾ قال البيضاوى : ويجوز أن يراد فلا تضربوا لله الأمثال فإنه يعلم كيف تضرب الأمثال وأنتم لاتعلمون ثم علمهم كيف يضرب فضرب مثلا لنفسه ولما عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا ...

ويعقب الشهاب — مكملا ماتقدم — فيقول : فعلى هذا النهى عنه ضرب الأمثال له حقيقة ، والمراد النهى مبالغة عن الإلحاد فى أسمائه وصفاته لأنه إذا لم يجوز ضرب المثل له — وهو استعارة يكفى لها شبه ما — فعدم إطلاق الأسماء وإثبات من غير توقيف أولى ، ثم ضرب مثلا دل به على أنهم ليسوا بأهل ضرب الأمثال لأنهم على هذا الحد من المعرفة والتقليد أو المكابرة فليس لهم إلى ضرب الأمثال المستدعى لضرب الذكاء سبيل .

وقوله فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه ... الخ هذا باعتبار المعنى المراد من التمثيل والتشبيه كما أشار إليه المصنف ولايضره كونه إخبارا عما فى اللوح أو العلم لأن إشراكهم وضربهم الأمثال من غير تطبيق لمفاصلها ثابت فيه أيضا مع أنه لا يتعين المعنى ولا الاخبار فتدبر »
حاشية الشهاب ٥/٣٥٤

ثانيا : ما يحتمل التركيب والتفريق :

فى قوله تعالى ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء ﴾[(١)] .

قال الشهاب : « اختلف فى هذا التشبيه هل هو مفرق ؟ على أنه تشبيه أشياء بأشياء ، أو تشبيه مركب[(٢)] ؟ وأن تقدير المضاف هل هو مبنى على التفريق أم لا ؟

وإذا قلنا بالتقدير — سواء كان لازما فى الوجهين أو فى أحدهما فإما أن يقدر فى الأول [(٣)] مثل داعى الذين كفروا ، أو فى الثانى[(٤)] أى كمثل بهائم الذى ينعق[(٥)] .

---

(١) الايه ١٧١ سورة البقرة ، والتشبيه هنا من تشبيه العقلى بالحسى ،

(٢) التشبية فى الآية من المركب بالمركب عند صاحب الطراز، ١/ ٢٩٠

(٣) يعنى فى جانب المشبه . (٤) يعنى فى جانب المشبه به .

(٥) وفى البحر المحيط ، اختلفوا فى تقدير مصحح هذا التشبيه فقيل التقدير : ومثل الذين كفروا فى دعائهم إلى الله وعدم سماعهم اياه كمثل بهائم الذى ينعق فهو على حذف قيد فى الأول وحذف مضاف من الثانى ، وقيل التقدير ومثل الذين كفروا فى عدم الفهم عن الله وعن رسوله كمثل المنعوق به من البهائم التى لا تفقه من الأمر والنهى غير الصوت فيراد بالذى ينعق الذى ينعق به فيكون هذا من المقلوب عندهم ـ ولم يرض بالقلب ـ فقال وينبغى أن ينزه القرآن عن القلب لأن الصحيح أن القلب لا يكون إلا فى الشعر ، وأيد كون الآية من تشبيه الجملة لا المفرد ، البحر المحيط ١ / ٤٨٢ .

هذا وانظر الجمان ص١١٥ ، وذكر ابن قتيبة أن فى الآية قلبا ، تأويل مشكل القرآن ص ١٩٩ .

وعلى التفريق : فالداعى بمنزلة الراعى والكفرة بمنزلة الغنم المنعوق بها ودعاؤه الكفرة بمنزلة صياح الناعق .

وعلى التركيب : شبه حال هذا الداعى مع من دعاه فى أنهم يسمعون قوله ولا يفهمونه بمنزلة الراعى الصائح غنمه ، وكلام المصنف محتمل لهذا (١) » .

---

(١) هذا ، وفى أمالى المرتضى : وجه التشبيه يحتمل وجوها خمسة :

١ — أن يكون المعنى مثل واعظ الذين كفروا كمثل الراعى الذى ينعق بالغنم وهى لا تعقل فتسمع صوته ولا تفهم غرضه والذين كفروا بهذه الصفة يسمعون وعظ النبى فيعرضون عن تأمله .

٢ — ومثل الذين كفروا كمثل الغنم التى لا تفهم نداء الناعق فأضاف الله تعالى المثل الثانى إلى الناعق وهو فى المعنى مضاف إلى المنعوق به وجاز التقديم والتأخير لوضوح المعنى .

٣ — ومثل الذين كفروا ومثلنا أو مثلهم ومثلك يا محمد كمثل الذى ينعق أى مثلهم فى الاعراض ومثلك فى الدعاء كمثل الناعق بالغنم لحذف المثل الثانى اكتفاء بالأول .

٤ — ومثل الذين كفروا فى دعائهم للأصنام التى يعبدونها من دون الله وهى لا تعقل ولا تفهم ولا تضر ولا تنفع كمثل الذى ينعق دعاء ونداء بما لا يسمع صوته جملة ، والدعاء والنداء ينتصبان على هذا بينعق وإلا توكيد للكلام .

٥ — ومثل الذين كفروا فى دعائهم للأصنام وعبادتهم لها واسترزاقهم اياها كمثل الداعى الذى ينعق بالغنم ويناديها فهى تسمع دعاء ونداء ولا تفهم كلامه ، فشبه من يدعوه الكفار من المعبودات دون الله بالغنم من حيث لا تعقل الخطاب ولا تفهمه ولا نفع عندها فيه ولا مضرة ، أمالى المرتضى ١/١٥٤ — ١٥٧ .

فى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله ﴾ قال البيضاوى أى فمثل المرائى فى انفاقه ﴿ كمثل صفوان ﴾ كمثل حجر أملس ﴿ عليه تراب فأصابه وابل ﴾ مطر عظيم القطر ﴿ فتركه صلدا[1] ﴾ أملس نقيا من التراب ﴿ لا يقدرون على شىء مما كسبوا ﴾ لا ينتفعون بما فعل رئاء ولا يجدون له ثوابا .

قال الشهاب : « هـذا التشبيه مفرق ، فنفاق المنافق كالحجر الذى لا تنفعه الأمطار ، ووجه التشبيه عدم الانتفاع لا القسوة كما توهم .

ونفقته كالتراب لرجاء النفع منهما بالأجر والإنبات ، ورياؤه كالوابل المذهب له سريعا الضار من حيث يظن النفع .

ولو جعل مركبا لصح ، وقيل إنه الوجه والأول ليس بشىء[2] .

وقوله لا ينتفعون .. عدم الانتفاع لخروجه عن حده من غير فائدة[3] ،

(١) البقرة ٢٦٤ .

(٢) والمفهوم من عبارة الكشاف أنه مركب لقوله : مثله ونفقته التى لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر أملس عليه تراب ، الكشاف جـ ١ ص ٣٩٤ وفى البحر المحيط : الكاف قيل فى موضع نعت لمصدر محذوف تقديره إبطالا كإبطال صدقة الذى ينفق ، وقيل فى موضع الحال أى لا تبطلوا مشبهين الذى ينفق ، والمنفق إما المنافق أو الكافر المجاهر ، فمثله كمثل صفوان تشبيه ثان والمفهوم من كلامه أيضاً أن التشبيه من المركب ، انظر البحر المحيط ٢/ ٣٠٨ .

(٣) قال ابن قتيبة : محق الله كسبهم فلم يقدروا عليه حين حاجتهم إليه كما أذهب المطر التراب عن الصفا ولم يوافق فى الصفا منبتا ، تأويل مشكل القرآن ص ٣٢٤ .

وهذه الجملة مبينة لوجه الشبه » حاشية الشهاب ٢ / ٣٤٢ .

وفى قوله تعالى : ﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم[١] ﴾ قال البيضاوى . وتثبيتا بعض أنفسهم على الإيمان فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها ﴿ كمثل جنة بربوة ﴾ أى ومثل نفقة هؤلاء فى الزكاة كمثل بستان بموضع مرتفع فإن شجره يكون أحسن منظراً وأزكى ثمراً ﴿ أصابها وابل ﴾ مطر عظيم القطر ﴿ فآتت أكلها ضعفين ﴾ مثلى ما كانت تثمر بسبب الوابل ﴿ فان لم يصبها وابل فطل ﴾ يكفيها الكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر .

والمعنى : إن نفقات هؤلاء زاكية عند الله سبحانه لا تضيع بحال وإن كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم إليها من أحواله ، ويجوز أن يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقاتهم القليلة والكثيرة الزائدتين فى زلفاهم بالوابل والطل .

قال الشهاب : « قوله أى ومثل نفقة هؤلاء فى الزكاة ... الخ فى التشبيه وجهان :

أحدهما : أنه مركب وتقدير المضاف لأنه لا بد فى إضافة المثل من رعاية المناسبة كما مر[٢]، والتشبيه لحال النفقة بحال الجنة بالربوة فى كونها

---

(١) البقرة ٢٦٥ .

(٢) سيأتى هذا فى قوله تعالى (ومثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة — الآية) وقدر فيها ثلاث تقادير فى البحر المحيط ، أنظره ٢/٣٠٣ ، ٣١٠ .

زاكية متكاثرة المنافع عند الله كيفما كانت الحال[1] .

والثانى : أن تشبيه حالهم بحال الجنة على الربوة فى أن نفقتهم كثرت أو قلت زاكية زائدة فى حسن حالهم كما أن الجنة يضعف أكلها قوى المطر وضعيفه ، وهذا أيضا تشبيه مركب إلا أنه لوحظ الشبه فيما بين المفردات[2] .

وحاصله : أن حالهم فى اتباع القلة والكثرة تضعيف الأجر كحال الجنة فى انتاج الوابل والطل تضعيف ثمارها .

ويحتمل وجها ثالثاً : وهو أن يكون من تشبيه المفرد بالمفرد ، بأن تشبه حالهم بجنة مرتفعة فى الحسن والبهجة ، والنفقة الكثيرة والقليلة بالطل والوابل ، والأجر والثواب بالثمرات » . حاشية الشهاب ٣٤٣/٢ .

فى قوله تعالى : ﴿ مثل ماينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر[3] ﴾ قال البيضاوى: برد ﴿أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم﴾ بالكفر والمعاصى ﴿ فأهلكته ﴾ عقوبة لهم لأن الإهلاك عن سخط أشد ،

---

(١) قال أبو حيان : لما ضرب الله المثل لمن أنفق ماله رئاء الناس ذكر ضده بتمثيل محسوس للذهن حتى يتصور السامع تفاوت ما بين الضدين ، وهذا من بديع أساليب فصاحة القرآن ، وجعل التشبيه هنا من التمثيل المركب .

(٢) هذا ، والوجهان مذكوران فى الكشاف ٢٩٥/١ . وعند ابن عطية : شبه نمو نفقات هؤلاء عند الله بنمو نبات هذه الجنة بالربوة بخلاف الصفوان البحر المحيط ٣١٣/٢ .

(٣) آل عمران ١١٧ .

والمراد تشبيه ما أنفقوا فى ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ، وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه دون الحرث ، ويجوز أن يقدر كمثل مهلك ريح .

قال الشهاب : « قوله والمراد تشبيه .. الخ يعنى خص الحرث بحرث من ذكر وإلا فكان يكفى فى التشبيه كمثل حرث لأنه يقتضى أن اهلاكه عن غضب من الله وهو أشد ، ولأن المراد عدم الفائدة فى الدنيا والآخرة وإنما هو فى هلاك ما للكافر وأما غيره فثاب على ماهلك له لصبره عليه فلا يضيع ذلك بالكلية كما صرح به فى الكشاف[1] ، وجعله من التشبيه المركب ، ولا يلزم فيه أن يكون مايلى الأداة هو المشبه به كقوله تعالى ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء[2] ﴾ وأن تقدير ذوى إنما هو لضرورة مرجع الضمير وأنه إذا صرح بتشبيه المثل بالمثل لزم أن يراعى فيما يضاف إليه المثل من الجانبين المماثلة ولذا قدر فى هذه الآية المهلك أو الإهلاك على أنه من المركب الحسى أو العقلى ، والوجه : قلة الجدوى والضياع[3] .

(١) الكشاف ١ / ٤٧٥ (٢) يونس ٢٤ .

(٣) وفى البحر المحيط ذكر عدة وجوه فى التشبيه فقال : والظاهر تشبيه ما ينفقونه بالريح والمعنى تشبيهه بالحرث . فقيل هو من المركب وهو اختيار الزمخشرى ، وقيل : وقع التشبيه بين شيئين وشيئين ذكر احد المشبهين وترك ذكر الآخر ودل المذكوران على المتروكين وهذا اختيار ابن عطيه ، وهذه غاية البلاغة والاعجاز ومثله الآيه ١٧١ من البقرة ، ويجوز أن يكون على حذف مضاف من الأول تقديره : مثل مهلك ما ينفقون أو من الثانى تقديره : كمثل مهلك ريح ، وقيل : يجوز أن تكون ما مصدرية ، أى مثل انفاقهم فيكون قد شبه المعقول بالمحسوس اذ شبه الانفاق بالريح ، البحر المحيط ٣/٣٧ .

ويجوز أن يكون من التشبيه المفرد فيشبه إهلاك الله بإهلاك الريح ، والمنفق بالحرث ، وجعل الله أعمالهم هباء بما فى الريح الباردة من جعله حطاما » . حاشية الشهاب ٣ / ٥٧ .

فى قوله تعالى ﴿ مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع[1] ﴾ قال البيضاوى يجوز أن يراد تشبيه الكافر بالأعمى لتعاميه عن آيات الله وبالأصم لتصامه عن استماع كلام الله تعالى وتأبيه عن تقدير معانيه ، وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لأن أمره بالضد فيكون كل واحد منهما مشبهـا باثنين باعتبار وصفين ، أو تشبيه الكافر بالجامع بين ضديهما ، والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله

* الصابح فالغانم فالآيب *

وهذا من باب اللف والطباق .

قال الشهاب : « ذكر فى هذا التشبيه احتمالين تبعا للكشاف لكن بينهما مخالفة ستراها مع ما فيها .

فقوله : يجوز أن يراد تشبيه الكافر ... الخ فيه تسامح لأن المشبه حال الكافر وحال المؤمن لا الكافر والمؤمن لكن لما وجد أحدهما مستلزما للآخر عبر به عنه .

وقيل : يحتمل أنه حمله على تشبيه الذوات وإقحام لفظ المثل تنبيها على ما فيه بدليل تركه من المشبه به فى النظم .

وحاصل هذا الوجه . أنه شبه كلا من الفريقين باثنين باعتبار

---

(١) هود ٢٤ .

وصفين ففيه أربع تشبيهات ولذلك قيل : إنه نظير قول امرىء القيس :
* كأن قلوب الطير ... الخ * كما فى الكشاف[١]

لأن حاصله تأويل الفريقين بفريق من الناس مؤمن وفريق كافر ، فمثل الفريقين بمنزلة قلوب الطير رطبها ويابسها ، و كالأعمى والبصير بمنزلة العفاب والحشف ، وكذا الأصم والبصير ، ولا يخفى ما فيه من التكلف مع أن فى البيت تشبيه كل من الرطب واليابس بشىء واحد وفى الآية كل من الكافر والمؤمن باثنين ، ولذا قيل[٢] : البيت بالوجه الثانى أولى من هذا .

وليس هذا بوارد لأن مراد العلامة[٣] : أنه تشبيه متعدد بمتعدد مع قطع النظر عن التضام والعدة ، فلا فرق بين البيت والآية إلا من جهة أن فى البيت تشبيه شىء بشيئين وفى الآية تشبيه كل واحد من شيئين بشيئين فلا مخالفة بين كلام المصنف والزمخشرى كما توهم .

وقوله لتعاميه . . هذه اللام كاللام السابقة فى كلامه[٤] ، وتأبيه بمعنى امتناعه .

قوله أو تشبيه الكافر بالجامع ... فعلى هذا تشبيهان لا أربعة لأنه

---

(١) الكشاف ٢/٢٦٤

(٢) القائل صاحب الانصاف ، انظر الانصاف مع الكشاف ٢/٢٦٤ ، هذا ، وانظر البحر المحيط ٥/٢١٣

(٣) يعنى به الزمخشرى

(٤) وذلك فى قوله تعالى (ماكانوا يستطيعون السمع) فقال لتصامه ، يعنى أنها للتعليل .

شبه حال هؤلاء الكفار الموصوفين بالقصام والتعامى بحال من خلق أصم أعمى لعدم انتفاعه بحاستيه فيما يتعلق بسعادة الدارين ، وحال هؤلاء المؤمنين — لانتفاعهم بهما وامتناعهم مما وقع فيه أولئك — بحال قوى حاسة السمع والبصر لانتفاعه بالنظر لأنوار الهداية واستماعه لما يلذ وينفع به السمع من البشارة والإنذار فهو تشبيه مركب من جانب المشبه به لا المشبه كما ينبنى عليه لفظ المثل . وهذا من بديع التشبيه وطرائفه الرائقة ، وهذا الوجه آثره الطيبى ، والحق معه .

ولا نظر لقول صاحب الكشف : إن فيه بعداً لأن الأعمى قد يهتدى بما سمع من الدلالة والأصم قد يهتدى بما يرى من الإشارة ، فمن كان أعمى أصم لا يقبل الهداية بوجه من الوجوه ، فهـذا أبلغ وأقوى فى التشنيع كما أشار إليه فى الكشاف » . حاشية الشهاب ٥ / ٨٩ .

فى قوله تعـالى ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء[1] ﴾ قال البيضاوى : لأنه سقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر ﴿ فتخطفه الطير ﴾ فإن الأهواء الرديئة توزع أفكاره ﴿ أو تهوى الريح فى مكان سحيق ﴾ بعيد ، فان الشيطان قد طوح به فى الضلالة ، وأو للتخيير كما فى قوله ﴿ أو كصيب من السماء[2] ﴾ أو للتنويع ، فان من المشركين من لا خلاص له أصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة لكن على بعد .

ويجوز أن يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى : ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا يشبه أحد الهالكين .

---

(١) الحج ٣١ ، والتشبيه فيها تشبيه عقلى بحسى (٢) البقرة ١٩ .

قال الشهاب : « قوله لأنه سقط من أوج الإيمان ... الخ . الأوج ضد الهبوط والإعلا ، والمراد به أوج الذلك لمقابلته بالحضيض ، وهى لفظة هندية معربة كما فى بعض كتب الهيئة ، وأوج الإيمان استعارة ، وسقوطه منه إن كان فى حق المرتد ظاهر وفى حق غيره باعتبار الفطرة ، وجعل التمسكن والقوة(١) بمنزلة الفعل .

قوله فان الأهواء الرديئة ... الخ فيه إشارة إلى أنه تشبيه مفرق حيث شبه الإيمان بالسماء لعلوه والكفر بالسقوط منها والأهواء الموزعة المشتتة لأفكاره بطيور جارحة مختطفة ، والشيطان المضل بريح عاصفة ألقته فى مهاو مهلكة ، وتوزع مضارع وزع بمعنى فرق لا ماض أصله تتوزع كما توهم .

والرديئة ... وقع فى نسخة بدله المردية أى المهلكة وهما تشبيهان على التفريق والتركيب ، وطوح فعل مشدد بمعنى ألقى وفى نسخة طرح والأولى أولى .

وقوله وأو للتخيير ... بناء على أنه لا يشترط فيها سبق الأمر كما مر .

والمعنى : أنه مشبه بهذا النوع وبهذا النوع وأنت مخير فى تشبيهه بأيهما شئت .

وقوله فان(٢) الخ إشارة إلى أن التشبيه الأول لمن لا خلاص له

---

(١) يعني القوة التى فى الفطرة

(٢) يعنى فان من المشركين من لاخلاص له

من الكفر كمن توزع لحمه في بطون الجوارح[1] فإنه بعد هلاكه. والثاني[2] لمن يرجى خلاصه فإن من رمته الرياح في المهاوي يمكنه الخلاص .

وقوله على بعد ... من قوله ﴿ مكان سحيق ﴾ .

قوله ويجوز أن يكون ... الخ فشبه من أضله الله بالكفر وابتلاه بالأفكار الفاسدة بمن وقع من السماء فتقطع قطعا اختطفتها الطاير، أو بمن حملته ريح عاصفة فألقته بمفازة بعيدة ، ووجه الشبه الهلاك المتيقن أو المظنون ، فقوله تشبيه أحد الهالكين أو الهلاكين كما في نسخة بصيغة التثنية بيان لحاصل المعنى المقصود منه واقتصار على أقوى أجزاء التشبيه[3] . فلا يرد : أنه إذا شبه بأحد الهالكين كان مترداً لا مركبا لكنه من تشبيه مقيد بمقيد ؟

نعم النظم يحتمله أيضا » حاشية الشهاب ٦ / ٢٩٥ .

في قوله تعالى ﴿ وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا[4] ﴾ قال البيضاوي : أي يستضاء به عن ظلمات الجهالات ويقتبس من نوره أنوار البصائر .

قال الشهاب : « قوله يستضاء به ... قال الفاضل اليمني : إنه تشبيه

---

(١) ماذكره الشهاب في توضيح التشبيه في الآية مأخوذ من عبارة الزمخشري مع تصرف وزيادة ، وقد انتقد صاحب الانصاف الزمخشري في الآية بكلام طويل ، انظر الكشاف ١٣/١٢/١٣ .

(٢) يعني التشبيه في قوله (أو تهوي به الريح في مكان سحيق) .

(٣) وهو المشبه به .

(٤) الأحزاب ٤٦ .

إما مركب عقلي أو تمثيلي منتزع من عدة أمور أو مفرق ، وكلام المصنف محتمل للوجوه أيضا فيشبه في ذاته بالسراج وما يدعو إليه بالنور ، أو المجموع بالمجموع .

وقوله يستضاء به ... بالنسبة للضالين ، وقوله يقتبس منه بالنسبة المهديين ، ولم يلتفت إلى ما جوزه الزمخشري من جعل السراج المنير القرآن لما فيه من التكلف(١) » ، حاشية الشهاب ٧ / ١٧٧ .

تشبيه متعدد :

في قوله تعالى ﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق ﴾(٢) قال البيضاوي فيستجيب ﴿ كمن هو أعمى ﴾ عمى القلب لا يستبصر فيستجيب .

قال الشهاب : «قوله لا يستبصر أي لا يدرك ما ذكر ، وفيه إشارة إلى تشبيه الجاهل بالأعمى الذي لا يأمن العثار والوقوع في المهاوي وتشبيه ضده بضده(٣) » . حاشية الشهاب ٥ / ٢٣٤ .

---

(١) بعد أن وضح الزمخشري التشبيه في الآية ذكر وجها آخر وهو قوله : وذا سراج أو وتاليا سراجا ، هذا وقد انتقد ابو حيان قول الزمخشري هذا فقال : ولا يتضح هذا الذي قاله اذ يصير المعنى أرسلنا ذا سراج منير وهو القرآن ولا يوصف بالارسال القرآن وإنما يوصف بالانزال ، وكذلك وتاليا لأنه يصير المعنى ارسلنا تاليا سراجا منيرا ، ففيه عطف الصفة التي للذات على الذات ، ولا يحسن مثل هذا التخريج في كلام الله ، البحر المحيط ٧/٢٣٨ ، والكشاف ٣/٢٦٦ .

(٢) الرعد ١٩ ،

(٣) يعني تشبيه العالم بالمبصر الذي يتبين طريقه جيدا فلا يعثر في شيء .

ثالثا : الآيات التى جاءت على تشبيه التمثيل :

معنى ضرب المثل :

قال البيضاوى : وضرب المثل اعتماله ، من ضرب الخاتم .

قال الشهاب : « اعتماله بمعنى عمله واختراعه ، ولما كان المخترع المثل أتى بأمر بديع شبه بمن يجتهد فى الصناعة ويتأنق فيها[٣] »

هل المثل تشبيه أو استعارة ؟

قال البيضاوى : ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثلا ، ولا يضرب إلا ما فيه غرابة .

قال الشهاب : « قوله هنا المثل ... أى المشبه تنبيه على ما ذكره المفسرون وأهل المعـانى من أن المثل هو المجاز المركب والاستعارة التمثيلية الشائعة فى الاستعمال ، فلا تسمى الاستعارة المركبة أو مطلقا ولا التشبيه مطلقا ولا معنى اللفظ الحقيقى الأصلى مثلا عندهم على ما قرره شراح التلخيص[٤] والمفتاح وكافة أهل المعانى واتفقت كلمة الشروح هنا عليه أيضا .

وهذا إذا سلم وأخذ على ظاهره لا غبار عليه » .

— وبعد أن يورد آراء العلماء فى المثل وبلاغته ينفرد برأى له فيقول :

وأنا قد استقصيت الأمثال فوجدتها ما بين تشبيه بلا شبهة كقولهم للظالم المتورع : هو كالجزار فيهم يذكر الله ويذبح .

(١) حاشية الشهاب ٨٧/٢ . (٢) انظر شروح التلخيص ١٤٨/٤ .

أو استعارة رائعة — تمثيلية أو غيرها — نحو أنا جذيلها المحكك[1] ، أو حكمة وموعظة نافعة كالصبر مفتاح الفرج أو كناية بديعة أو نظم من جوامع الكلم الموجز .

والمراد بالغرابة فى المثل : أنها لما فيها من البلاغة ورونق الفصاحة والندرة التى ترقت بها إلى الغاية فى بابها حتى عدت عجيبة جداً قيل لها غرابة لإطلاق الغرابة على مثله ، أو لكونها من كلام الغير كالتضمين عدت غريبة أجنبية » .

وعن أمثال الله سبحانه يقول : « إن المضرب والمورد فى أمثاله تعالى لا يفترقان وأنه تعالى ضرب به أشد لا أنه شبه المضرب بالمورد وأنه متناول للتشبيه التمثيلى والاستعارة التمثيلية فاشية كانت أولا » .

فى قوله تعالى ﴿ مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً[2] ﴾ قال البيضاوى : والمعنى حالهم العجيبة الشأن كحال المستوقد .

قال الشهاب : « وحقيقة حالهم هيئة منتزعة من عدة أمور هى : استضاءة معنوية بإظهار الإيمان وإذهاب الله ذلك النور عند الاستضاءة

---

(١) جذيلها بضم الجيم وفتح الذال واسكان الياء والتصغير فيها للتعظيم ، والجذل بكسر الجيم واسكان الذال واحد الأجذال وهى أصول الحطب العظام ، وقائل هذا المثل الحباب بن المنذر ، شبه بالجذل الذى ينصب فى المعاطن لتحتك به الإبل الجربى ، الصحاح ١٦٥٤/٤ .
والمقصود مدح نفسه بأنه يستشفى برأيه ويرجع إليه فى الملمات .

(٢) البقرة ١٧ ، وذكر العلوى أن التشبيه هنا للايضاح واظهار الحال . الطراز ٢٨٨/١ .

بتفضيحهم وبقائهم متحيرين فى ظلمات معنوية(١) .

وفى شرح الفاضل المحقق : وجه الشبه هو أن المستوقد والمنافقين جميعا وقعوا — عقب مباشرة أسباب المطلوب وملاحظة خيال المحبوب — فى الحرمان والخيبة والتحسر ، فعبر عن الأول بالإضاءة وعن الثانى بالظلمة ، ولا خفاء فى اشتراك الطرفين فى الإضاءة والظلمة بهذا المعنى ، إن الفاضل يرى أن وجه الشبه ملتئم من عدة أمور وطرفاه مركبان ، والوجه هو : أنهم عقب حصول تباشير المقصود وقوة الرجاء وقعوا فى حيرة الحرمان وتيه الخيبة وهذا أمر مشترك بين الطرفين قطعا(٢) .

---

(١) وفى تأويل مشكل القرآن : الظلمة الأولى التى كانوا فيها الكفر ، واستيقادهم النار قولهم لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله فلما قالوا (انما نحن مستهزئون) سلبهم نور الايمان وتركهم فى ظلمات الكفر ، ص ٣٦٢

(٢) قال ابو حيان : وفى جهة المماثلة بينهم وبين الذى استوقد نارا وجوه :

١ — أن مستوقد النار يدفع بها الأذى فاذا انطفأت وصل الأذى إليه كذلك المنافق يحقن دمه بالاسلام ويبيحه بالكفر .

٢ — أنه يهتدى بها فاذا انطفأت ضل فكذلك المنافق إذا اطلع على نفاقه ذهب عنه نور الإسلام .

٣ — إذا لم يمدها بالحطب ذهب ضوؤها كذلك المنافق إذا لم يستدم الايمان ذهب إيمانه .

٤ — ان المستضىء بها نوره من جهة غيره فاذا ذهبت النار بقى فى ظلمة كذلك المنافق أقر بلسانه من غير اعتقاد قلبه فكان نور ايمانه كالمستعار .

٥ — ان الله شبه اقبالهم على المسلمين بالاضاءة وعلى المشركين بالذهاب

٦ — شبه الهدى الذى باعوه بالنور الذى جعل للمستوقد والضلالة المشتراه بالذهاب .

←

ذكر فى الكشاف — من الوجوه فى معنى النار فى قوله ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ — « ثم إما أن تكون ناراً مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها[1] » .

ويوضح الشهاب كلام الزمخشرى بقوله : « مراده بالتجوز فى النار أنه استعارة تصريحية ، حيث شبه تهييج الفتن والحروب باستيقاد النار تشبيه معقول بمحسوس بجامع عقلى وهو الإضرار بما يصادفه وأثبت له ما يخصه وهو الإيقاد ، ففى الكلام استعارة فى تشبيه وهو من أبلغ ما يكون ، وذكر المجاز وإرادة الاستعارة غير مستبعد[2] » .

وفى قول البيضاوى ﴿ وتركهم فى ظلمات ﴾ هى ظلمة الكفر وظلمة النفاق .

يقول الشهاب : « هذا توجيه لجمع الظلمة بما يعلم منه معناها ، وهذا بناء على أن الظلمة مجازية[3] فإضافة ظلمة الكفر وما بعده من قبيل : لجين الماء » ويوضح الشهاب الإفراد والتركيب فى الطرفين بقوله :

← ٧ — مثل ضربه الله للمنافق لأنه اظهر الاسلام فحقن به دمه ومشى فى حرمته وضيائه ثم سلبه فى الآخرة عند حاجته إليه ، هذا كله على انها نزلت فى المنافقين ، ويروى أن المراد اليهود ، فتكون المماثلة فى وجوه ... الخ البحر المحيط ١/٧٦ .

(١) الكشاف ١/٢٠٠ .

(٢) وذلك لأن الاستعارة قسم من المجاز .

(٣) قال السيد : إطلاق الظلمة على الكفر مجاز مشهور ، حاشية السيد على الكشاف ١/٢٠٢ .

« إن التشبيه إذا ذكر طرفاه بمفردين يدل كل منهما على أمور متعددة كالقصة والحال ولفظ المثل هنا إن نظر إلى ظاهره(١) فهو تشبيه مفرد بمفرد كقولنا الدنيا خيال باطل .

وإن نظر إلى ما اشتملا عليه كان تشبيه مركب بمركب بحسب الظاهر ، ويجوز أن يعتبر فيه التفريق على اللف والنشر الإجمالى(٢) فإن رجح هذا لا يمنع الأول(٣) ولا يخطأ من ذهب إليه » حاشية الشهاب ١ / ٣٦٦ ، ٣٧٢ ، ٣٧٧ .

التشبيه الثانى فى قصة المنافقين أقوى فى الدلالة :

فى قوله تعـالى ﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمات(٤) ﴾ ...
قال البيضاوى : معناه أن قصة المنافقين مشبها بهاتين القصتين وأنهما سواء فى صحة التشبيه بهما وأنت مخير فى التمثيل بهما أو بأيهما شئت .

قال الشهاب : « المراد التساوى فى صحة التشبيه فى الجملة لا التساوى

---

(١) يعنى إن نظرنا إلى ظاهر لفظ كل من الطرفين دون اعتبار لما يندرج تحتها .

(٢) وذلك لأنه ذكر التشبيه أولا مجملا بقوله (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا) ثم فصل هذا ثانياً بقوله (فلما أضاءت ما حوله ... الآية)

(٣) يعنى كونه من تشبيه المفرد بالمفرد أو المركب بالمركب ، والشهاب بهذا يحاول أن يلتمس لكل من ذهب إلى قول فى التشبيه منا وجها حتى لا يخطئه وذلك من دقة نظره وطول تأمله فى الآراء التى ذكرت ، هذا ، وانظر حاشية السيد على الكشاف ١/٢٠٩

(٤) البقرة ١٩ .

من جميع الوجوه لأن التشبيه الثانى أبلغ من الأول لدلالته على فرط الحيرة وشدة الهول وفظاعته ولذا أخره[١] » .

توضيح التشبيهين :

قال البيضاوى : والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها فى ظلمة ، أو بحال من أخذته السماء فى ليلة مظلمة ، ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد ، وهو أن تأخذ أشياء فرادى فتشبهها بأمثالها كقوله ﴿ وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور[٢] ﴾ ، وقول امرىء القيس .

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى

يوضح الشهاب هذا بقوله : « فالمراد من التشبيه فيهما على تقدير التركيب تشبيه حالتين بحالتين :

والمشبه فى الأول : مجموع أحوال المنافقين فى تحيرهم واضطرابهم[٣] مع إظهارهم الإيمان حفظا لدمائهم وأموالهم وذراريهم وأهلهم وزوال ذلك عنهم سريعا بإفشاء أسرارهم وافتضاحهم المؤدى إلى خسارة الدارين .

---

(١) هذا الكلام مأخوذ من الكشاف ٢١٣/١ ، هذا وكان الأولى أن يقال إن التشبيه الثانى له قوة فى إظهار حال المنافقين حتى لا يظن أن فى القرآن بليغ وأبلغ .

(٢) فاطر ١٩ — ٢١

(٣) أنظر أسرار البلاغة ص٨٦ ، وبغية الايضاح ٥٨/٣

والمشبه به : حال المستوقد ناراً مضيئة له فانطفأت .

ووجه الشبه : صلاح ظاهر الحال الذى يؤول إلى خلافه .

وفى الثانى(١) حالهم فى الشـدة ولباس إيمانهم المبطن بالكفر المطرز بالخداع وحذر القتل بحال ذوى مطر شديد ببرق ورعد يرقمون خروق آذانهم بأناملهم حذر الهلاك .

ووجه الشبه : وجدان ما ينفع ظاهره وفى باطنه بلاء عظيم .

وقوله : من قبيل التمثيل المفرد ..الخ يعنى أنه من تشبيه المفردات بالمفردات وهو المسمى بالتشبيه المفرق .

وفى الكشاف(٢) : أنه إذا كان التشبيه مفرقا فالمشبهات مطوية على

(١) قال الفراء : شبه كفرهم بالظلمات وإيمانهم بالبرق إذا أضاء لهم فمشوا ، والرعد ذكر مثلا لخوفهم ، معانى القرآن ١٧/١ .

وقال ابن ناقيا : جعل دين الاسلام مثلا لهم فيما ينالهم فيه من الشدائد والخوف وجعل مايستضيئون به من البرق مثلا لمايستضيئون به من الاسلام وما ينالهم من الخوف فى البرق بمنزلة ما يخافونه من القتل ، وهذا على كون التشبيه مفردا ، الجمان ص ٩١

(٢) الكشاف ٢١٠/١ ، هذا والزمخشرى يرى أن التشبيه فى الآيتين من التمثيلات المركبة ، لقوله : « والصحيح الذى عليه علماء البيان لا يتخطونه أن التمثيلين جميعاً من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شىء يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل » الكشاف ٢١١/١ .

وقال أبو حيان : والأحسن أن يكون من التمثيلات المركبة دون المفرقة وذكر وجوها فى التشبيه غير ما هنا منها : أن الصيب والظلمات كانت حقيقة ←

سنن الاستعارة كقوله ﴿ ومايستوى البحران ﴾[1] الآية .

والمراد : أنه على التفريق طوى ذكر المشبهات كما فى الاستعارة المصرحة لطى ذكر المشبه فيها لفظا وتقديرا قطعا .

ويذكر الفرق بين التشبيه المطوى فيه المشبهات والاستعارة فيقول :

وقد يجرى التشبيه على سننها وإن فرق بينهما بوجهين :

الأول : أن المتروك فى التشبيه منوى مراد وفى الاستعارة منسى بالكلية كما مر فى الاستعارة التمثيلية فى قوله ﴿ ختم الله على قلوبهم ﴾[2] من أن المعانى قد يقصد إليها بألفاظ منوية غير مقدرة فى النظم[3] .

الثانى : أن لفظ المشبه به فى التشبيه مستعمل فى معناه الحقيقى ، وفى الاستعارة فى معنى المشبه حتى لوأقيم مقامه لصح أصل المعنى من غير فرق وإن فاتت المبالغة ، وإذا قدر فرعا انتظم مع المذكور بلاتغيير كما هنا ، وقد يحتاج إلى التغيير كما فى قوله تعالى ﴿ وما يستوى البحران ﴾ على مافصل فى محله .

ثم يوازن بين قوله تعالى ﴿ مثلهم كمثل الذى استوقد نارا ﴾ وبين

—— أصابت بعض اليهود فضرب الله مثلا بقصتهم لبقيتهم ، ومنها : أنه مثل ضربه الله للخير والشر الذى أصاب المنافقين .

ومنها : أنه مثل الدنيا ومافيها من الشدة والرخاء بالصيب الذى يجمع نفعاً بإحيائه الأرض وضرا بما يحصل به من الاغراق وغيره ، ومنها : أنه مثل للقيامة ، البحر المحيط ١ / ٨٧

(١) فاطر ١٢ .　　　(٢) البقرة ٧ .

(٣) كون المعانى يقصد إليها بألفاظ منوية محل خلاف بين سعد الدين والسيد كما هو معروف .

قوله ﴿وما يستوى الأعمى والبصير﴾ فيقول : إن قوله تعالى ﴿وما يستوى الأعمى ..﴾ من قبيل التشبيه المفرق وهو نظير لما نحن فيه من وجهين : التفريق وتكرير التشبيه .

ولذا أعاد لا النافية ، فشبه الكافر الضال بالأعمى ، والمؤمن المهتدى بالبصير ، ثم شبهه مرة أخرى فقال ﴿ وما يستوى الأحياء ولا الأموات ﴾ والظلمات والنور والباطل والحق ، والظل والحرور : الثواب والعقاب .

وقيل : الأعمى والبصير مثلان للصنم والله عز وجل كما سيأتى »[1]

حاشية الشهاب ١/٣٩٢ ، ٤١٩

فى قوله تعالى ﴿ وما يستوى البحران هذا عذب فرات ..الآية ﴾[2]

قال البيضاوى : ضرب مثل للمؤمن والكافر ﴿ ومن كل تأكلون لحما طريا ﴾ استطراد فى صفة البحرين ومافيهما من النعم أو تمام التمثيل ، والمعنى : كما أنهما وإن اشتركا فى بعض الفوائد لا يتساويان من حيث إنهما لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء ، فإنه خالط أحدهما ما أفسده وغيره عن كمال فطرته لا يساوى المؤمن الكافر وإن اتفق اشتراكهما فى بعض الصفات كالشجاعة لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى وبقاء أحدهما على الفطرة الأصلية دون الآخر . أو تفضيل للأجاج على الكافر بما يشارك فيه العذب من المنافع .

قال الشهاب : « ضرب مثل .. الخ هـذا هو المشهور رواية ودراية .

---

(١) انظر البحر المحيط ٧ / ٣٠٨ (٢) فاطر ١٢

وماقيل : الأظهر أنه لبيان كمال القدرة العلية فلا يتكلف لتوجيه مابعده ليس بشيء فترك لأجله مافى هذا من محاسن البلاغة .

قوله : استطراد .. جواب عن سؤال مقدر وهو أنه لايناسب ذكر منافع البحر الملح وقد شبه به الكافر ، ولادخل له فى عدم الاستواء بل ربما يشعر به ؟

وأجيب عن ذلك بوجوه : أحدها أنه ذكر على طريق الاستطراد لاعلى طريق القصد ، وليس هذا الجواب بقوى .

قوله : أو تمام التمثيل .. يعنى أنه من جملة التمثيل وبه يتم فكأنه قيل لااستواء بينهما فيما هو المقصود الأصلى وهو السقى منه وإزالة الظمأ وإن اشتركا من جهات أخر كالمؤمن والكافر يشتركان فى أمور شتى ولكن ماهو المقصود الاصلى — وهو فطرة الإيمان — لايشتركان فيه فلا عبرة بتلك المشاركة ، لجملة ﴿ومن كل .. الخ﴾ جملة حالية .

قوله : أو تفضيل للأجاج ... جواب ثالث فيكون كقوله ﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار﴾[1] بعد قوله ﴿فهى كالحجارة﴾.

لحاصله : أنه أفيد بعد التشبيه أن الكافر ليس كالأجاج بل أدنى منه لأنه يشارك العذب فى منافع دون الكافر .

والمراد : المشاركة فيما يكون من أمور الدنيا والآخرة لأن أمور الدنيا لاعبرة بها فى ذاتها عند الله وهى مفقودة فى الكافر بالكلية .

فلايرد : أن بين الوجهين تنافيا لأن فى الأول أثبت له منافع وهنا نفيت عنه مطلقا .

---

(١) البقرة ١٧١

وما قيل : من أن قوله وإن اتفقا .. الخ يدفعه فإنه يشير لقلته فى الثانى بنى الحكم على الأكثر وألغى النادر عن حيز الاعتبار .

وفى الأول : « نظيره غير ظاهر فإنه ليس بنادر فى نفسه كما لايخفى »(١) .

فى قوله تعالى ﴿ ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران﴾(٢) قال البيضاوى : كالذى ذهبت به مردة الجن إلى المهامه ، استفعال من هوى يهوى هويا إذا ذهب ، ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل (نرد) أى مشبهين الذى استهوته أو على المصدر أى ردا مثل رد الذى استهوته ﴿ فى الأرض حيران ﴾ متحيرا ضالا عن الطريق .

قال الشهاب : « قوله من هوى يهوى هويا إذا ذهب . . هذا هو المعروف فى اللغة ، وأما كونه من هوى بمعنى سقط وأنه على تشبيه حال الضال كما فى قوله تعالى ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء﴾(٣) لأنه(٤) فى غاية الاضطراب فلا يناسب قوله ﴿ فى الأرض حيران﴾ مع أنه يتوقف على ورود الاستفعال منه .

والتشبيه تمثيلى ، وقدر ردا بعد الكاف ليكون تشبيه رد برد .

وقوله : متحيرا ... بيان لأنه حال وكذا فى الأرض ، ويصح

---

(١) حاشية الشهاب ٧ / ٢٢٠ ، هذا وانظر المفتاح ص ١٦٨ والمطول ص ٣٦٠

(٢) الأنعام ٧١

(٣) الحج ٣١

(٤) يعنى القول بأنه من هوى بمعنى سقط

تعلقه باستهوته ، وقوله : ومحل الكاف النصب على الحال ، قال في الفرائد حاصله حينئذ نرد حال مشابهتنا كقولك . جاء زيد راكبا أي في حال ركوبه وليس الرد في حال الشبه .

ورد : بأن الحال مؤكدة كقوله ﴿ وليتم مدبرين ﴾[1] فلا يلزم ذلك ، وفيه نظر .

والتشبيه على الحالية تمثيلي ، شبه حال من خاص من الشرك ثم عاد بحال من ذهبت به الغيلان في مهمه بعد ما كان على الجادة .

وعلى أن يكون مصدرا مركب عقلي[2] » حاشية الشهاب ٨٢/٤

في قوله تعالى ﴿ فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا ﴾[3] قال البيضاوي نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار كما نسوا لقاء ربهم فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له .

قال الشهاب : « شبه عدم إخطارهم لقاء الله والقيامة ببالهم وقلة مبالاتهم بحال من عرف شيئا ثم نسيه ، وليست الكاف للتشبيه بل للتعليل[4] ، ولا مانع من التشبيه أيضا إلا قوله ﴿ وما كانوا بآياتنا ﴾ .

حاشية الشهاب ١٧٣/٤

---

(١) التوبة ٢٥ (٢) قال ابن ناقيا : وجه التشبيه في المثل أن حال الصائر إلى الضلال بفكره — بعد الدعاء إلى الهدى بإيمانه — كحال الصائر إلى الضلال بسلوكه غير المحجة في طريقه بعد الدعاء إلى الهدى بلزومه المحجة التي تؤدي إلى نجاحه . الجمان ص ٩٧ (٣) الأعراف ٥١

(٤) قال أبو حيان : وأن قدر النسيان بمعنى الذهول من الكفرة فهو في في جهة الله بتسمية العقوبة باسم الذنب ، البحر المحيط جـ ٤ ص ٣٠٥

في قوله تعالى ﴿ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لايخرج إلا نكدا ﴾[١] قال البيضاوى : الآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع إليها رأسا ولم يتأثر به .

قال الشهاب : أى هو تمثيل وتقريره : إنا بينا تلك الآيات الدالة على القدرة والعلم لعلكم تتفكرون فيها فتعلمون أنكم إلينا ترجعون لكن لاتنجع تلك الآيات إلا فيمن شرح الله صدره فيخرج نبات فكره طيبا ومن جعل صدره ضيقا لايخرج نبات فكره إلا خبيثا فلا يرفع لها رأسا[٢] ﴿ كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون ﴾ »حاشية الشهاب ٤/١٧٧

في قوله تعالى : ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق[٣] ﴾ قال البيضاوى: خبر مبتدأ محذوف تقديره : هذه الحال في كراهتهم لها كحال إخراجك للحرب في كراهتهم له .

قال الشهاب : « لما كان الكلام يقتضى تشبيه شيء بهذا الإخراج

---

(١) الأعراف ٥٨

(٢) وفي الكشاف — إلى جانب ما هنا — وجهان آخران هما : وعن مجاهد آدم وذريته منهم خبيث وطيب ، — وعن قتادة: المؤمن سمع كتاب الله فوعاه وانتفع به كالارض الطيبة ، والكافر بخلاف ذلك ، الكشاف ٢/٤٨

وقال أبو حيان : والأظهر أن المقصود التعريف بعبادة الله تعالى في إخراج النبات في الأرض الطيبة والأرض الخبيثة دون قصد إلى التمثيل بشيء مما ذكروا . البحر المحيط ٤ / ٣١٩

(٣) الأنفال ٥

وهو غير مصرح به ومحتاج للبيان ذكروا فى بيانه وإعرابه وجوها بلغت عشرين .

فمنها ما اختاره الزمخشرى [(١)] — وتبعه المصنف — أنه خبر مبتدأ محذوف هو المشبه ، أى حالهم هذه فى كراهة التنفيل كحال إخراجك من بيتك فى كراهتهم له ، فالمشبه حال والمشبه به حال أخرى .

ووجه الشبه : كراهتهم … الخ وهذا هو قول الفراء[(٢)] فانه قال فى الكاف شبهت هذه القصة التى هى إخراجه من بيته بالقصة المتقدمة التى هى سؤالهم عن الأنفال وكراهتهم لما وقع فيها مع أنها أولى بحالهم[(٣)] » حاشية الشهاب ٤ / ٢٥٣ .

فى قوله تعالى : ﴿ وأولئك الأغلال فى أعناقهم[(٤)] ﴾ قال البيضاوى : مقيدون بالضلالة لا يرجى خلاصهم ، أو يغلون يوم القيامة .

قال الشهاب : « يعنى هذه الجملة إن نظر إلى ما قبلها[(٥)] وجعلت وصفا لهم بامتناعهم عن الإيمان وإصرارهم على الكفر فهى تشبيه وتمثيل لحالهم فى الدنيا فى الإصرار وعدم الالتفات إلى الحق بحال طائفة فى أعناقهم أغلال لا يمكنهم الالتفات كقوله :

كيف الرشاد وقد خلفت فى نفر لهم عن الرشد أغلال وأقياد

---

(١) الكشاف ج ٢ ص ١٤٣

(٢) معانى القرآن ١ / ٤٠٣

(٣) وأورد أبو حيان فى الآية كثيرا من الآراء ونقدها كلها ، واختار أن الكاف ليست لمحض التشبيه بل فيها معنى التعليل ، البحر المحيط ٤/٤٦٣

(٤) الرعد ٥ (٥) يعنى قوله : أولئك الذين كفروا بربهم

وإن نظر إلى ما بعدها[١] تكون لوصف حالهم فى الآخرة إما حقيقة وهو ظاهر كلام المصنف وإما تشبيها لحالهم بحال من يقدم للسياسة[٢] » حاشية الشهاب ٥ / ٢٢١ .

فى قوله تعالى ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب[٣] ﴾ قال البيضاوى شأنه الغريب كشأن آدم ﴿ خلقه من تراب ﴾ جملة مفسرة للتمثيل ، مبينة لما له الشبه وهو أنه خلق بلا أب كما خلق آدم من التراب بلا أب وأم ، شبه حاله بما هو أغرب منه إفحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه .

قال الشهاب : «قوله أى شأنه الغريب ... يعنى أن المثل هنا ليس هو المستعمل فى التشبيه والكاف زائدة كما قيل بل بمعنى الحال والصفة العجيبة وقوله جملة مفسرة للتمثيل الخ ... فى الكشاف : فإن قلت كيف شبه به وقد وجد هو بغير أب ووجد آدم بغير أب وأم ؟

قلت : هو مثيله فى أحد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لأن المماثلة مشاركة فى بعض الأوصاف ، ولأنه شبه به فى أنه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما فى ذلك نظيران ،

---

(١) يعنى قوله (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

(٢) يعنى للتأديب ، هذا وقد ذكر أبو حيان خلاف ما هنا أن الأغلال تكون حقيقة فى أعناقهم ، وقيل يجوز أن يكون مجازا أى هم مغلولون عن الإيمان فتجرى مجرى الطبع والختم على القلوب . وقيل : الأغلال عبارة عن أعمالهم الفاسدة فى أعناقهم كالأغلال ، وذكر البيت المذكور هنا أيضاً ، البحر المحيط ٥ / ٢٦٦ .

(٣) آل عمران ٥٩

ولأن الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود بغير أب فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه[١] ا. هـ.

ويوضح الشهاب كلام الزمخشري فيقول: جعل عيسى عليه السلام مشبها لأنه المقصود في المقام وإلا فمثله ورد للتشابه، يعني أن جملة ﴿خلقه﴾ مفسرة للشبه، فاما أن تكون مبينة لوجه الشبه والمشترك بينهما الخروج عن العادة وعدم استكمال الطرفين، أو هو لبيان أن المشبه به أغرب فيكون أتم وأكمل كما هو شأن التشبيه.

والمصنف جعله بيانا لوجه الشبه ضمنا، وعدوله عن الاقتصار على المشترك بينهما لما ذكر لأنه أغرب وأقطع لمادة الشبهة.

ومن لم يدر مغزاه ظنه[٢] خلط بين الوجوه وأنه كان عليه أن يقول: لما فيه من الشبه، والشبه جمع شبهة، وقطع مادة الشبهة أبلغ من قطع الشبهة مع ما في اقحامه من مناسبة المقام لأن الأبوين مادة النسل[٣] ». حاشية الشهاب ٣ / ٣١.

في قول البيضاوي: وإنما يعاقب المصر بكذره لأن إصراره عليه كسوء مزاج يؤدي إلى مرض.

قال الشهاب: « هذا تمثيل بأن الإصرار كرض مهلك فان عالجه المريض وامتثل أمر الطبيب فاحتمى عن النفاق والآثام ونقى نفسه بشربة

(١) الكشاف ١ / ٤٣٢

(٢) يعني ظن أن البيضاوي خلط بين الوجوه.

(٣) يقصد أن البيضاوي ذكر مادة الشبهة لتشاكل كون الأبوين مادة النسل.

الإيمان والشكر فى الدنيا برىء وإلا هلك هلاكا لا محيص عنه بالخلود فى النار ». حاشية الشهاب ٣ / ١٩٣ .

فى قوله تعالى : ﴿ من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا(١) ﴾ .

قال الشهاب : « يعنى أن جميع الناس مشتركون فى الكرامة على الله والاحترام عند الله فمن قتل واحدا منهم فقد نفى كرامة الله وهتك حرمته وكذلك من قتل الجميع فيكون قتل واحد كقتل الجميع وكذا إحياؤها بترك القتل كإحياء الجميع لإبقاء كرامة الله وتوفير حرمته .

والفائدة فى هذا التشبيه : الترهيب والردع عن قتل نفس واحدة لتصويره بصورة من قتل جميع الناس ، والترغيب والتحضيض على إحيائها لتصويره بصورة إحياء جميع الناس .

ولأنه جرأ الناس فكان فعلهم مترتبا على فعله فكأنه صدر منه لما سنه من السنة السيئة ولأنه يشبهه فى استجلاء غضب الله(٢) .

---

(١) المائدة ٣٢

(٢) ماذكره مأخوذ من عبارة الكشاف ١/٦٠٩ ،

هذا وفى البحر المحيط : قال ابن عطية ان التشبيه بين قاتل النفس وقاتل الكل لا يطرد من جميع الجهات لكن الشبه قد يحصل من ثلاث جهات : أحداها القود فانه واحد ، والثانية : الوعيد ، والثالثة : انتهاك الحرمة فان نفسا واحدة فى ذلك وجميع الأنفس سواء ، وقال غيره المشابهة فى الاثم ، وقيل التشبيه فى العذاب ، وقيل من حيث القصاص ، وقيل التشبيه من جهة الانكار على قبح الفعل ، البحر المحيط ٣/٤٦٨ .

وأدخل بعضهم فى هذا التزوج لأنه يشبه الإحياء بالتناسل ، قال : وبه تتصل الآية بقصة ابنى آدم ، وهو تكلف من غير داع » . حاشية الشهاب ٣ / ٢٣٨ .

فى قوله تعالى ﴿ كل فى فلك يسبحون[١] ﴾ قال الشهاب : « مر فى سورة الأنبياء[٢] أنه من السباحة على التشبيه فتذكره » . حاشية الشهاب ٧ / ٢٤٤ .

فى قوله تعالى ﴿ كأنهن بيض مكنون[٣] ﴾ قال البيضاوى : شبههن ببيض النعام المصون عن الغبار ونحوه فى الصفاء والبياض المخلوط بأدنى صفرة فإنه أحسن ألوان الأبدان .

قال الشهاب : « قوله شبههن ببيض النعام ... على عادة العرب فى تشبيه النساء بها ، وخصت بيضة النعام لصفائه وكونه أحسن منظر من سائره ، ولأنها تبيض فى الفلاة وتبعد بيضها عن أن يمس ، ولذا قالت العرب للنساء بيضات الخدور كما بينه الزمخشرى[٤] ، ولأن بياضه

---

(١) يس ٤٠ (٢) سيأتى هذا فى قوله تعالى (وهو الذى خلق الليل والنهار) (٣٣) الأنبياء .

(٣) الآية ٤٩ سورة الصافات ؛ وهى من تشبيه العقلى بالحسى ، وقال ابو هلال : هو من تشبيه الشىء بالشىء لونا وحسنا ، الصناعتين ص ٢٥٢ .

(٤) الكشاف ٣/٣٤٠ ، وقال ابن ناقيا : وصفهن بقاصرات الطرف لعفتهن ثم شبههن بالبيض تأكيدا للصفة بالتشبيه وهذا الكلام غاية فى مناسبة الوصف ومطابقته ، وبلاغة معنى التشبيه وموافقته ، ولفظة مكنون متضمنة معنى السلامة والخلوص من جميع العوارض التى تنقص رونقه وتشين بياضه وتكسف بهاءه ، الجمان ص ٢٢٦ ، هذا وانظر البحر المحيط ٧/٣٦٠ ، واعجاز القرآن للباقلانى ص٧٣

يشوبه قليل صفرة مع لمعان كما فى الدرر ، وهو لون محمود جداً إذ البياض الصرف غير محمود وإنما يحمد إذا شابه قليل حمرة فى الرجال وصفرة فى النساء .

ومن الغريب قول بعض أهل العصر المراد به بيض طبخ وقشر لنعومته وطراوته لقول العامة : كأنها بيضة مقشرة .

وهذا من عدم معرفة كلام العرب ، ولولا خوف الإطالة ذكرت الأبيات التى صرح فيها بهذا التشبيه » . حاشية الشهاب ٧ / ٢٧٠ .

فى قوله تعــالى ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات[1] ﴾ قال البيضاوى : مثلهم ، وهو ثانى مفعولى نجعل وقوله ﴿ سواء محياهم ومماتهم ﴾ بدل منه وإن كان الضمير للموصول الأول لأن المماثلة فيه إذ المعنى إنـكار أن يكون حياتهم ومماتهم سيبين فى البهجة والـكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة ﴿ سواء ﴾ بالنصب على البــدل أو الحال من الضمير فى الـكاف أو المفعولية والـكاف حال ، وإن كان للثانى فحال منه أو استئناف يبين المقتضى للانـكار ، وإن كان لهما فبدل أو حال من الثانى وضمير الأول .

والمعنى : إنـكار أن يستووا بعد المماتفى الـكرامة أو ترك المؤاخذة كما استووا فى الرزق والصحة فى الحياة .

أو استئناف مقرر لتساوى محيى كل صنف ومماته فى الهدى

(١) الجاثية ٢١ .

والضلال ، وقرىء (مماتهم) بالنصب على أن ﴿ محياهم ومماتهم ﴾ ظرفان كمقدم الحاج .

قال الشهاب : « قوله بدل منه ... أى من ثانى مفعولى جعل ، وهذا على قراءة الرفع والمبدل هو الجملة ، والظاهر أنه بدل كل من كل لأن المقصود كونهم مثلهم فى استواء حالى المحيى والممات ، أو بدل اشتمال ويجوز كونه بدل بعض .

وأما كونه استئنافا لبيان المماثلة المجملة فلا وجه له .

وقد جوز أن تكون الجملة مفعولا ثانيا[٢] و(كالذين) حال من ضميرهم وكذا العكس .

قوله : إن كان الضمير ... يعنى فى ﴿ محياهم ومماتهم ﴾ الموصول الأول وهو ﴿ الذين اجترحوا السيئات ﴾ وهو بيان لما يصحح البدلية من المفعول الثانى وهو الكاف لا من ﴿ أن نجعلهم ﴾ كما توهم ، فإنه لو كان الضمير الموصول الثانى وهو ﴿ الذين آمنوا ﴾ لم يصح فيه البدلية لأن استواء محيى المؤمنين ومماتهم لا مناسبة بينه وبين مثلية ذوى الحسبان لتصحح بدليته منه ، وكذا إذا كان للفريقين .

قوله : لأن المماثلة فيه ... أى فى استواء المحيى والممات فيصح إبداله ما يدل عليها وهو الكاف لأنه المقصود بالنسبة وإليه الإشارة بقوله إذ المعنى ... الخ .

قوله : ويدل عليه ... فى المدلول عليه وعود ضمير عليه احتمالات :

(١) كما فى الكشاف ٥١٢/٣ .

بأن يكون للبدل ، أو يكون الضمير للموصول الأول ، أو لأن المعنى إنكار الاستواء ، والظاهر هو الأخير لأنه فى وجوه نصبه يكون هو المقصود بالإنكار إذ هو على البدلية المقصود بالنسبة وكذا على الحالية والمفعولية لأنه هو المقصود بالإفادة .

أما الأول : فيرد عليه أنه كيف يدل على البدلية وقد جوز فيه الحالية والمفعولية ؟

وأما كونه دليلا على أرجحيته ولذا قدمه ، أو المراد بدلالته عليه بالنسبة للاستئناف فتعسف من غير احتياج إليه[1] .

وأما الثانى : فلا وجه له ولا لما قيل : من أنه لا يحتمل غيره فى قراءة النصب ، فإن خفاء وجه الدلالة أظهر من الشمس .

قوله بالنصب على البدل ... أى من الكاف لأنها اسم بمعنى مثل وأما استتار الضمير فيها لأنها بمعنى مماثل ومشابه فلا وجه له لأنها اسم جامد على صورة الحرف فلا يصح استتار الضمير فيه وقد سبق مثله للمصنف ونقلنا تصريح الفارسى بمنعه .

وقيل مراده : أنه حال من الضمير المستتر فى الجار والمجرور وهو فى نفسه صحيح لكنه بعيد عن كلام المصنف بمراحل .

وأما الاعتراض عليه بأنه لا يظهر لإخراجه مخرج القيد فائدة يعتد بها فليس بشىء كالاعتراض على المفعولية بأن الأصل تعين المتقدم للمفعولية ، ومثله غنى عن الرد .

---

(١) أنظر ذلك تفصيلا فى البحر المحيط ٤٧/٨

وأما جعله حالا من ضمير نجعلهم فقيل إنه غير سديد معنى ، وفيه بحث .

وقوله : والكاف حال ... أى من ضمير نجعلهم ، قوله : وإن كان أى الضمير للموصول الثانى ، فقوله سواء ... الخ حال من الموصول الثانى على الرفع والنصب لأن الضمير فى المفعول الثانى فانه فاسد معنى وفيه اكتفاء الاسمية بالضمير ، وقد مر فى الأعراف أنه غير فصيح فكأنه تبع النحاة فيما اشتهر من جوازه هنا .

والمقتضى للانكار على حسبان التماثل أن الذين آمنوا سواء حالهم عند الله فى الدارين بهجة وكرامة فكيف يماثلونهم ؟

ويجوز أن يكون بيانا لوجه الشبه المجمل .

قوله : وإن كان لهما ... الخ قال فى الكشف : الضمير للفريقين ، فجملة سواء — على التفسيرين — استئناف ولا يجوز أن يجعل بدلا لا لفظا ولا معنى إذ المثل هو المشبه وسواء جار على المشبه والمشبه به ، ثم قال : إن رجع الضمير للفريقين وجب أن يكون حالا من المضاف والمضاف إليه معا ، فمنطوق الكشف يدل على وجهين ومفهومه على وجهين آخرين[1] .

---

(١) قال فى الكشاف : والمعنى إنكار أن يستوى المسيئون والمحسنون محيا وأن يستووا مماتا لافتراق احوالهم أحياء ـ حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات وأولئك على ركوب المعاصى — ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول إلى ثواب الله وأولئك على اليأس من رحمة الله . وقيل معناه . إنكار أن يستووا فى الممات كما استووا فى الحياة لأن←

وأما إذا جعل كلاما مستأنفا غير داخل فى حكم الإنكار فيتعين أن يرجع الضمير إلى الفريقين ، والتساوى بين حال المؤمنين بالنسبة إليهم خاصة وحال المجترحين كذلك فيكون تعليلا للانكار فى المعنى دالا على عدم المماثلة لا فى الدنيا ولا فى الآخرة لأن هؤلاء متساووا المحيى والممات فى الرحمة وهؤلاء متساووا المحيى والممات فى النقمة إذ معناه : كما يعيشون يموتون فلما افترق حال هؤلاء وحال هؤلاء حياة فكذلك موتا ، وهذا ما أشار إليه المصنف ، وقد قال أولا التساوى إما بين المحيى والممات وإما بين حياتى الفريقين ومماتيهما . اه .

وقد عرفت : أن ما ذكره المصنف ممنوع عند صاحب الكشف لأن المفعول الثانى محمول على الأول وكذا البدل منه وهو لا يصح ههنا لأن المفعول الاول المجترحون وضمير البدل للفريقين فتأمل ، ومحياهم وما عطف عليه مبتدأ ، وإذا نصب سواء فهو فاعل له .

قوله : والمعنى إنكار أن يستووا ... الخ أى على كون الضمير لهما فى وجهى البدلية والحالية من مجموع الثانى وضمير الأول ، فالمنكر على هذا استواؤهما فى المحيى والممات والإنكار باعتبار الأخير .

ولم يرتض ما آثره الزمخشرى من كون المعنى إنكار أن يستوى

← المسيئين والمحسنين مستو محياهم فى الرزق وإنما يفترقون فى الممات ، وقيل سواء محياهم كلام مستأنف على معنى أن محيى المسيئين ومماتهم سواء وكذلك محيا المحسنين ومماتهم ، كل يموت على حسب ما عاش عليه ، الكشاف ٥١٢/٣ .

المسيئون والمحسنون محيى حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات وأولئك على ارتكاب المعاصى لظهور انتفاء ذلك الظن من المجترحين .

قوله : كما استووا فى الرزق والصحة ... أى بحسب الظاهر وإلا فما يعطى للمؤمن فى الدنيا من ذلك خير له وما يعطى للكافر شر له لقوله تعالى ﴿ إنما نملى لهم ليزدادوا إثما[١] ﴾ .

وقوله : مقرر ... الخ ففيه لف ونشر ثقة بفهم السامع ، ومنه يظهر أن المجترحين ليسوا كالمؤمنين ، فيكون استئنافا لبيان إنكار مماثلتهم لهم ، وقوله : فى الهدى والضلال ... لأنهم يعيشون كما يموتون» .
حاشية الشهاب ١٩/٨

فى قوله تعالى ﴿ مثل الجنة التى وعد المتقون[٢] ﴾ قال البيضاوى : صفتها التى هى مثل فى الغرابة ، وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه أي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة ، وقيل خبره ﴿تجرى من تحتها الانهار﴾ على طريقة قولك : زيد أسمر ، أو على حذف موصوف أى مثل الجنة جنة تجري ... أو على زيادة المثل ، وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة .

قال الشهاب : « قوله صفتها التى هى مثل فى الغرابة ... قال العلامة[٣] : قد مر فى سورة البقرة أن المثل له معنى لغوى وهو الشبيه ، ومعنى فى عرف اللغة وهو القول السائر المعروف ، ومعنى مجازى وهو

(١) آل عمران ١٧٨
(٢) الرعد ٣٥
(٣) يعنى الزمخشرى ، الكشاف ١٩٥/١ .

الصفة الغريبة مأخوذاً من المعنى العرفي بعلاقة الغرابة ، لأن المثل إنما يسير بين الناس لغرابته .

وقال أبو علي في الإغفال : تفسير المثل بالصفة غير مستقيم لغة ولم يوجد فيها ، وأكثر المفسرين على خلافه لكنه يحتاج إلى إثبات من كلام العرب ولم يذكروه .

فمثل الجنة هنا إما أن يراد به المعنى أو غيره ، وعلى هذا التفسير المراد به معناه المجازي .

وقوله : وقيل خبره ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ على طريقة قولك زيد أسمر ... الخ فالمثل بالمعنى المجازي .

وقوله : أو على حذف موصوف ... الخ أي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار .

اعترض على هذا أبو علي الفارسي[١] بأن المثل الشبه وهو حدث فلا يجوز الإخبار عنه بالجنة وهي الجنة .

ورد[٢] : بأن المثل بمعنى الشبيه فهو جنة أخبر عنها بمثلها ، وقيل إنه غير وارد رأسا ولا حاجة إلى جعله بمعنى الشبيه لأن التشبيه هنا تمثيلي ووجهه منتزع من عدة أمور من أحوال الجنان المشاهد من جريان أنهارها ونضارة أغصانها والتفاف أفنانها ونحوه ، وهو مراد الزجاج[٣] بقوله :

---

(١) انظر البحر المحيط ٣٩٦/٥ . (٢) يعني رد على قول ابي علي .

(٣) قول الزجاج هذا مذكور في الكشاف ٣٦٢/٣، والبحر المحيط ٣٩٦/٥. وماذكره الشهاب في الآية من بيان أخذه من عبارة الكشاف مع زيادة منه.

« إنه تعالى عرفنا الجنة التى لم نرها بما شاهدناه من أمور الدنيا وعايناه » . ولذلك أتى الزمخشرى فيه بلفظ التمثيل ويكون قوله ﴿ أكلها دائم وظلها ﴾ بيانا لفضل تلك الجنان وتميزها عن هذه الجنان المشاهدة .

وقيل : إن هذه بيان لحال جنان الدنيا على سبيل النوض وأن فيما ذكره انتشا واكتفاء فى النظير بمجرد جريان الأنهار ، وهو لا يناسب البلاغة القرآنية والغرض المذكور ولا قرينة عليه ، والفصل بينهما[1] أحسن منه ولا تكلف فيها من جهة العربية » . حاشية الشهاب ٥/٢٤٤ .

تشبيه تمثيلى لا استعارة مع بيان لفائدة التشبيه .

فى قوله تعالى ﴿ ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة[2] ﴾

قال البيضاوى : أى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ﴿ ضرب الله مثلا ﴾ .

قال الشهاب : « قوله : أى جعل الله كلمة طيبة ... فكلمة على هذا منصوبة بفعل مضمر وهو جعل والجملة تفسير لقوله ﴿ ضرب الله مثلا ﴾ كقولك : شرف الأمير زيداً كساه حلة .

وقيل : فيه تكلف إضمار لا داعى له . ورد : بأنه محتاج إليه فى أداء هذا المعنى ، وفيه تأمل فالمثل بمعنى التشبيه التمثيلى[3] لا الاستعارة .

وفى قوله تعالى ﴿ ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون[4] ﴾

(١) اى بين جنة الدنيا وجنة الآخرة ، (٢) ابراهيم ٢٤ .
(٣) والتشبيه فى الآية من المركب عند العلوى ، الطراز ص ٢٥٩ .
(٤) ابراهيم ٢٥ .

قال البيضاوى لأن فى ضربها زيادة إفهام وتذكير فإنه تصوير للمعانى وإدناء لها من الحس .

قال الشهاب — موضحا ذلك — « وذلك لأن المعانى العقلية المحضة لا يقبلها الحس والخيال والوهم فاذا ذكر ما يلائمها من المحسوسات ترك الحس والخيال المنازعة وانطبق المعقول على المحسوس فحصل به الفهم التام » .

وقال البيضاوى : وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة .

قال الشهاب : « فيكون المقصود تشبيه كلام الحق بها كما شبه بها المؤمن [1] فى الحديث ، ووجه الشبه : ثباتها وعدم تغيرها بحسب الفصول وطيب ثمرتها » . حاشية الشهاب ٥ / ٢٦٥ .

وفى قوله تعالى ﴿ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة [2] ... الآية ﴾ قال الشهاب المراد بالشجرة الخبيثة الحنظلة أو الكشوت [3] ، وهو نبت متعلق بالأغصان له عرق فى الارض .

---

(١) قال ابو حيان : الكلمة الطيبة هى لا إله إلا الله أو الايمان ، أو المؤمن نفسه أو جميع الطاعات أو القرآن أو الثناء على الله أو التسبيح ، والشجرة الطيبة : المؤمن أو جوزة الهند أو شجرة فى الجنة، أو النخلة وعليه اكثر المتأولين ، البحر المحيط ٥/٤٢١ ، وفى الكشاف : المراد بالشجرة كل شجرة مثمرة طيبة الثمار ، الكشاف ٢/٣٧٦ ، (٢) ابراهيم ٢٦ .

(٣) وذكر الزمخشرى أنها كل شجرة لا يطيب ثمرها، الكشاف ٢/٣٧٧ وقال أبو حيان : الكلمة الخبيثة هى الكفر أو الكذب ، وقيل : كل كلام لا يرضاه الله تعالى ، وذكر فى الشجرة أقوالا غير ماهنا منها أنها الثوم أو كل شجر لا يطيب له ثمر ، البحر المحيط ٥/٤٢٢ .

وتشبيه الكلمة الخبيثة به لعدم ثباتها ونفعها[1] ولذا يشبه به الرجل الذى لا حسب له ولا نسب كما قال الشاعر :

فهو الكشوث فلا أصل له ولا ورق ولا نسيم ولا ظل ولا ثمر

حاشية الشهاب ٥ / ٢٦٦

فى قوله تعالى ﴿ وضربنا لكم الأمثال[2] ﴾ قال البيضاوى : يعنى من أحوالهم أى بينا لكم أنكم مثلهم فى الكفر واستحقاق العذاب ، وهى المذاب أو صفات ما فعلوا وفعل بهم التى هى فى الغرابة كالامثال .

قال الشهاب : « قوله من أحوالهم ... الخ أى بينا لكم من أحوال الأمثال ؛ فالأمثال جمع مثل بمعنى الشبيه ، وهو تشبيه للحال بالحال ، والمقصود تشبيه ذويها بذويها .

وقوله : أو صفات ... فالامثال جمع مثل بمعنى الصفة الغريبة العجيبة » . حاشية الشهاب ٥ / ٢٧٧

فى قوله تعالى : ﴿ وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الأصفاد[3] ﴾ قال البيضاوى : قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم فى العقائد كقوله ﴿ وإذا النفوس زوجت ﴾ ، أو قرنوا مع الشياطين أو مع ما اكتسبوا من العقائد الزائفة .

قال الشهاب : « قوله قرن بعضهم إلى بعض بحسب مشاركتهم

---

(١) وفى الكشاف : شبه بها القول الذى لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذى يضمحل عن قريب لبطلانه ، الكشاف ٢/٣٧٧ .

(٢) ابراهيم ٤٥ . (٣) ابراهيم ٤٨ .

فى العقائد .. أى يضم كل لمشاركه فى كفره وعمله كما فى المثل : « الطيور على أشباهها تقع » . وقوله مع ما اكتسبوا ... أى مع جزائه أو كتابه أو أعماله تجسم وتقرن بهم كما قيل به .

أو هو تمثيل : بأن شبه جزاء ما اكتسبته جوارحهم باقترانهم وتلبسهم بها » . حاشية الشهاب ٥ / ٢٧٩ .

فى قوله تعالى : ﴿ ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شىء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهراً هل يستوون[1] ﴾.

قال البيضاوى : مثل مايشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذى رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء ، واحتج بامتناع الإشراك والتسوية بينهما مع تشاركهما فى الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بالأصنام التى هى أعجز المخلوقات وبين الله الغنى القادر على الإطلاق ، وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق ، وتقييد العبد بالمملوك للتمييز عن المكاتب .

قال الشهاب : قوله واحتج بامتناع الإشراك والتسوية .. هو عطف تفسير للاشراك ، واحتج معطوف على مثل .

يعنى المقصود من التمثيل ما ذكر من الاحتجاج وترك لأنه يعلم بالطريق الأولى ولإيهام أنه لا يليق بعاقل توهمه .

قوله : وقيل هو تمثيل للكافر المخذول ..الخ يعنى شبه الكافر المخذول

---

(١) النحل ٧٥ ، وانظر : تأويل مشكل القرآن ص ٣٨٤ والبحر المحيط ٥/٥١٩ .

بملوك لا تصرف له لأنه — لإحباط عمله وعدم الاعتداد بأعماله واتباعه لهواه — كالعبد المنقاد الملحق بالبهائم بخلاف المؤمن الموفق فلا لغوية فى التمثيل كما قيل ، وأشار بتمريضه إلى ضعفه » حاشية الشهاب ٥ / ٣٥٥ .

التفصيل فى التشبيه يزيده حسنا :

فى قوله تعالى: ﴿ ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة[١] ﴾ قال البيضاوى أى نقضت غزلها من إبرام وإحكام ﴿ أنكاثا ﴾ طاقات نكث فتلها ، والمراد تشبيه الناقض بمن هذا شأنه ، وقيل هى ريطة بنت سعد فانها كانت خرقاء تفعل ذلك .

قال الشهاب : « قوله طاقات نكث فتلها . النكث والنقض بمعنى وهو حل ما فتل أو بنى فى الأصل نقل مجازا إلى إبطال العهود والأيمان، ففى نقض الأيمان استعارة بها يتم الارتباط بين المشبه والمشبه به .

وفى ﴿ نقضت غزلها ﴾ مجاز بمعنى أرادت النقض[٢] على حد قوله ﴿ إذا قمتم إلى الصلاة ﴾ لما فيه من الجمع بين القصد والفعل ليدل على حماقتها واستحقاقها اللوم بذلك فان نقضها لو كان بغير قصد لم تستحق ذلك ، ولأن التشبيه كلما كان أكثر تفصيلا كان أحسن[٣] .

---

(١) النحل ٩٢ (٢) فتكون مجازا مرسلا والعلاقة المسببية .

(٣) ولذلك جعل البلاغيون التفصيل واحدا من سببين يرجع إليهما بعد التشبيه ، قال فى المطول : وعدم ظهور الوجه لا يكون إلا لأمرين : إما لكثرة التفصيل أو ندور حضور المشبه به فى الذهن ، وقال : وكلما كان التركيب ←

وفى هذا التمثيل إشارة إلى أن ناقض يمينه خارج من الرجال الكمل داخل فى زمرة النساء بل فى أدناهن وهى الخرقاء .

وقوله : والمراد به تشبيه الناقض .. أى من غير تعيين كما فى الوجه الآخر إذ التشبيه لا يقتضى وجود المشبه به بل يكفى فرضه[1] .

وقيل : هى ربطة ، أى المراد تشبيه الناقض بربطة ، فالمشبه به معين كما تشهد له الموصولية[2] .

قال جار الله : اتخذت مغزلا فكانت تغزل هى وجواريها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن[3] .

وقال البيضاوى فى قوله تعالى : ﴿ تتخذون أيمانكم دخلا بينكم ﴾ حال من الضمير فى (ولا تكونوا) أو فى الجار الواقع موقع الخبر ،

← — خياليا كان أو عقليا — من أمور أكثر كان التشبيه أبعد لكون تفاصيله أكثر . المطول ص ٣٤٢، ٣٤٣ .

وقال الامام عبد القاهر : اعلم أن معرفة الشىء من طريق الجملة غير معرفته من طريق التفصيل ، ويقول : إنك فى إدراك تفصيل ما تراه وتسمعه كمن ينتقى الشىء من بين جملة ، فانك حين لا يهمك التفصيل كمن يأخذ الشىء جزافا وجرفا ، أسرار البلاغة ص١٢٥ ، ١٣٣ ، ١٥١ .

وقال السكاكى : إدراك الشىء مجملا أسهل من إدراكه مفصلا واستحضار الأمر الواحد أيسر من استحضار غير الواحد ، ومن أسباب قرب التشبيه أن يكون وجهه أمرا واحدا ومن أسباب بعده وغرابته أن يكون وجه التشبيه أمورا كثيرة ، مفتاح العلوم ص ١٦٦ .

(١) وهذا الكلام فى البحر المحيط ٥/٥٣١ .

(٢) يعنى قوله (كالتى نقضت) (٣) الكشاف ٢/٤٢٦

أى لا تكونوا متشبهين بامرأة هذا شأنها متخذى أيمانكم مفسدة ودخلا بينكم ، وأصل الدخل مايدخل الشيء ولم يكن منه .

قال الشهاب — مكملا ما تقدم — « قوله حال من الضمير فى ولا تكونوا ... إن كان الدخل بمعنى الدغل وهو الفساد ففائدة الحال الإشارة إلى وجه الشبه .

وقوله : أصل الدخل . . يعنى أن هذا أصل معناه ثم كنى به عن الفساد كما ذكره الراغب فى مفرداته[١] » . حاشية الشهاب ٥/٣٦٥ .

المشبه به يكفى فرضه :

فى قوله تعالى : ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة[٢] ﴾ قال البيضاوى : أى جعلها الله مثلا لكل قوم أنعم عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا فأنزل الله بهم نقمته ، أو لمكة .

قال الشهاب : قوله « جعلها الله مثلا ... أى جعل القرية التى هذه حالها مثلا ، والمراد أهلها مجازاً[٣] ، أو بتقدير مضاف[٤] .

وقوله : لكل قوم ... أى هذا المثل ضرب لكل قوم كانوا بهذه الصفة من غير تعيين ، أو لقوم مخصوصين وهم أهل مكة كما أشار اليه بقوله : أو لمكة أى لأهلها ، والقرية إما مقدرة بهذه الصفة غير معينة

---

(١) المفردات فى غريب القرآن ص١٦٦ ،هذا ، وقال ابن ناقيا : ويكون الدخل بمعنى الغل والخديعه ، الجمان ص١٥٢

(٢) النحل ١١٢ (٣) يعنى مجازا مرسلا بعلاقة المحلية .

(٤) أى ضرب الله مثلا أهل قرية .

إذ لا يلزم وجود المشبه به ، أو معينة من قرى الأولين » (١) حاشية الشهاب ٥/٣٧٤ .

فى قوله تعالى ﴿ أنظر كيف ضربوا لك الأمثال ﴾ (٢) قال البيضاوى مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون .

قال الشهاب : « أى قالوا تارة هذا وتارة مع علمهم بخلافه ، فإنما قصدوا تشبيه حالك فيما قلته ونطقت به من القرآن بحال هؤلاء ، فتكون مثلوك بمعنى شبهوك إما على أن الأمثال جمع مثل (٣) بالفتح أو مثل بكسر فسكون » حاشية الشهاب ٦/٣٨ .

فى قوله تعالى ﴿ سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ﴾ (٤) قال البيضاوى : أى سنة الله أن يهلك كل أمة أخرجوا رسولهم .

قال الشهاب : « فالمراد تشبيه حاله بحال من قبله لا تشبيه الفرد بفرد من ذلك النوع .

والمعنى : أن هذا ليس ببدع بل سنة جرت قبلك » حاشية الشهاب ٦/٥٣ .

فى قوله تعالى ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا ﴾ (٥) قال البيضاوى اذكر لهم ما تشبهه الحياة الدنيا فى زهرتها وسرعة زوالها أو صفتها الغريبة ﴿ كماء ﴾ هو كماء ﴿ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ﴾ فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا ﴿ فأصبح هشيما تذروه الرياح ﴾ .

---

(١) هذا ، والوجهان مذكوران فى الكشاف ٢/٤٣١

(٢) الاسراء ٤٨ — (٣) فيكون التشبيه تمثيليا .

(٤) الاسراء ٧٧ — (٥) الكهف ٤٥

والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون أخضر رافا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن .

قال الشهاب « قوله اذكرلهم .. اشارة إلى أحد القولين فى ضرب المثل وهو أنه متعد لواحد بمعنى اذكر وأن المثل بمعناه المعروف وهو الكلام المشبه به .

والمشبه على هذا هو الحياة الدنيا وحالها فى زهرتها أى نضارتها وبهجتها وسرعة زوالها وفنائها ، وليس هذا من المجاز كما توهم لأنه حقيقة عرفية فيه .

وقوله : صفتها الغريبة .. إشارة إلى أن الضرب بمعنى الذكر أيضا لكن المثل فيه بمعنى الصفة الغريبة وهو يستعمل بهذا المعنى كما فصله المصنف فى سورة البقرة[1] كما فى قوله ﴿مثل الجنة التى وعد المتقون[2]﴾ قوله : هو كماء . أى المثل بمعنى المشبه به أو الوصف الغريب جملة قوله كماء .. الخ وهو إشارة إلى أنه خبر مبتدأ مقدر .

ولم يقل هى[3] لأن الحياة وحدها ليست مشبهة كما أشار إليه قبله ، ومن قدر هى تسمح فيه .

---

(١) فى قوله تعالى (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا) . (٢) الرعد ٣٥

(٣) قال أبو حيان : كماء ، قدره ابن عطية خبر مبتدأ محذوف أى هى ، أى الحياة الدنيا كماء ، وقال الحوفى : الكاف متعلقة بمعنى المصدر أى ضربا كماء أنزلناه ، وأقول : إن (كماء) فى موضع المفعول الثانى لقوله (واضرب) أى وصير لهم مثل الحياة الدنيا أى صفتها شبه ماء ، البحر المحيط ١٣٣/٦

فما قيل : إن الظاهر أن يقول هى لأن المشبه هو الحياة كما ذكر فقد غفل عن مراده .

وقوله : والمشبه به .. الخ دفع لما يتوهم من دخول الكاف عليه وليس مشبها به ولا حالا من أحواله مذكورا فى الجملة أولا حتى يتوهم فيه تقدير مضاف أى كحال ماء لأنه تشبيه تمثيلى وحاله معروف فى المعانى .

وقوله : المنبت .. من أنبتة إنباتا ونباتا .

وقوله : رافا .. أى مهتزا لطراوته ، وفى نسخة وارفا وهو بمعناه .

وقوله ثم هشيما .. عبر بثم اشارة إلى تراخى تفقته وتهشمه عن ريه بالماء ، وانما وقع بالفاء فى النظم[1] لاتصال أوله بآخر ماقبله ، والنكتة فيه[2] : الاشعار بسرعة زواله كما اشار إليه بقوله كأن لم يكن .

فلا يرد عليه : أن المناسب للنظم فتكون لتحصل الدلالة على سرعة الزوال المقصودة بالافادة فى هذا المقام » حاشية الشهاب ١٠٥/٦

فى قوله تعالى ﴿ يا أبت إنى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا[3] ﴾ .

قال البيضاوى : لم يسم والده بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له فى مسير يكون أعرف بالطريق .

قال الشهاب : « قوله لم يسم أباه .. الخ من الوسم وهو العلامة ، والمراد لم يصفه وهو مجاز مشهور بهذا المعنى .

---

(١) يعنى قوله (فأصبح هشيما) جاء بالفاء دون ثم لما ذكره .

(٢) يعنى النكتة فى التعبير بالفاء (٣) مريم ٤٣ .

وقوله : بل جعل نفسه كرفيق .. يشير إلى أن فى النظم تشبيهاً تمثيليا[١] » حاشية الشهاب ٦/٣٦١ .

مثال صالح للتشبيه التمثيلى أو المقيد :

فى قوله تعالى ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة[٢] ﴾ قال البيضاوى : والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فإن أعمالهم التى يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة فى العاقبة كالسراب وهو ما يرى فى الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة ، فيظن أنه ماء يسرب أى يجرى ، والقيعة بمعنى القاع وهو الأرض المستوية .

وقيل : جمعه القاع كجار وجيرة ، وقرىء بقيعات كديمات فى ديمة ﴿ يحسبه الظمآن ماء ﴾ أى العطشان ، وتخصيصه لتشبيه الكافر به فى شدة الخيبة عند مسيس الحاجة ﴿ حتى إذا جاءه ﴾ جاء ماتوهمه ماء أو موضعه ﴿ لم يجده شيئا ﴾ مما ظنه ﴿ ووجد الله عنده ﴾ عقابه أو زبانيته

(١) فقد شبه حال إبراهيم عليه السلام مع أبيه ونصحه له باتباع دين الحق بحال هاد يعرف الطريق ويقوم بمحاولة إرشاد ضال عنه ، هذا ، وقال أبو حيان وفى قوله (يأبت) تلطف واستدعاء بالنسب ، البحر المحيط ج ٦ ص ١٩٣ .

(٢) النور ٣٩ ، والغرض من التشبيه فى الآية : تقرير صفة المشبه فى الذهن ، ويقول ابن الأثير : التشبيه هنا من تشبيه معنى بصورة وهو من أبلغ صور التشبيه لتمثيله المعانى الموهومة بالصور المشاهدة ، المثل السائر ٣/١٣٠ وقال الرمانى : هذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة الى ما تقع عليه وقد اجتمعا فى بطلان المتوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة ، ثلاث رسائل فى الإعجاز ص ٧٦ .

أو وجده محاسبا إياه ﴿ فوفاه حسابه ﴾ استعراضا أو مجازاة ﴿ والله سريع الحساب ﴾ لا يشغله حساب عن حساب ، ﴿ أو كظلمات ﴾ عطف على كسراب وأو للتخيير فإن أعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر والأمواج والسحاب ، أو للتنويع ، فإن أعمالهم إن كانت حسنة فكالسراب ، وإن كانت قبيحة فكالظلمات .

أو للتقسيم باعتبار وقتين فإنها كالظلمات فى الدنيا وكالسراب فى الآخرة .

﴿ فى بحر لجى ﴾ أى لج أى عميق منسوب إلى اللج وهو معظم الماء ، ﴿ يغشاه ﴾ يغشى البحر ﴿ موج من فوقه موج ﴾ أى أمواج مترادفة متراكمة ﴿ من فوقه ﴾ من فوق الموج الثانى ﴿ سحاب ﴾ غطى النجوم وحجب أنوارها ، والجملة صفة أخرى للبحر ﴿ ظلمات ﴾ أى هذه ظلمات ﴿ بعضها فوق بعض ﴾ وقرأ ابن كثير ظلمات بالجر على إبدالها من الأول أو بإضافة السحاب إليها فى رواية البزى ، ﴿ إذا أخرج يده ﴾ وهى أقرب مايرى إليه ﴿ لم يكد يراها ﴾ لم يقرب أن يراها فضلا أن يراها كقول ذى الرمة :

إذا غير النأى المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح

والضمائر للواقع فى البحر وإن لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه ، ﴿ ومن لم يجعل الله له نورا ﴾ ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لأسبابها ﴿ فماله من نور ﴾ [1] خلاف الموفق الذى له نور على نور .

(١) النور ٤٠ .

قال الشهاب : « قوله وتخصيصه لتشبيه الكافر به .. أى تخصيص الظمآن بالذكر مع أنه يتراءى لكل أحد كذلك فكان الظاهر الرائى[١] بدله لما ذكر .

ولم يرد أن المراد بالظمآن هنا الكافر كما فى الكشاف[٢] وإن صح إرادته أيضا من أنه شبه مايعمله من لايعتقد الإيمان بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلايجده ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيسقونه الحميم والغساق .

وفى شرحه[٣] : إنما قيده به ولم يطلقه لقوله (ووجد الله) لأنه من تتمة أحوال المشبه به وهو أبلغ لأن خيبة الكافر أدخل وأعرق ، ونحوه ﴿ مثل ماينفقون فى هذه الحياة الدنيا ﴾[٤] فإن الكافرين هم الذين يذهب حرثهم بالكلية .

يعنى أنه شبه أعمال الكفار التى يظنونها نافعة ومآلها الخيبة برؤية الكافر الشديد العطش فى المحشر سرابا يحسبه شرابا فينتظم عطف وجد الله أحسن انتظام كما نوروه .

---

(١) قال الرمانى : ولو قيل يحسبه الرائى ماء ثم يظهر أنه على خلاف ماقدر لكان بليغا وأبلغ منه لفظ القرآن لأن الظمآن أشد حرصا عليه وتعلق قلبه به ، وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من حسن التشبيه فكيف إذا تضمن مع ذلك حسن النظم وعذوبة اللفظ وكثرة الفائدة وصحة الدلالة ، ومثلها (فمثله كمثل الكلب ... الآية) ثلاث رسائل فى الإعجاز ص ٧٦

(٢) الكشاف ٦٩/٣ .　　(٣) يعنى فى شرح الكشاف

(٤) آل عمران ١١٧

وهو تشبيه تمثيلى أو مقيد لامفرق كما توهم فلايلزم من اتحادبعض المفردات فى الطرفين تشبيه الشىء بنفسه كاتحاد الفاعل فى : أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى .

فلا وجه لما قيل : إن جعل الظمآن هو الكافر حتى تطرد الضمائر للظمآن يؤول إلى تشبيه الشىء بنفسه كما قيل .

* وشبـــه الماء بعد الجهد بالماء[1] *

يعنى قول بعض الشعراء فى حمام :

لله يوم بحمـــام نعمت به والماء من حوضه بيننا جارى
كأنه فوق شقات الرخام ضحى ماء يسيل على أثواب قصار

فإنه عيب عليه حتى قال بعضهم فيه :

وشاعر أوقد الطبع الذكى له فـكاد يحرقه من فرط لألاء
أقام يعمل أيا ما رويتـــه وشبه الماء بعد الجهد بالماء

وليس بشىء لما عرفت[2] .

وكذلك هذا الشاعر فإنه شبه هذا الرخام الأبيض فى الحمام بشقة قصار[3] بيضاء جرى عليها الماء ولم يرد تشبيه الماء ولكن لما ذكره فى الطرفين جاء باردا فأشار الشاعر إلى برودته بما ذكره .

وليس فى الآية ما يضاهى ذلك فافهم فانه من النكات الأدبية ، قوله تعالى ﴿لم يجده شيئا﴾ قيل : يجوز أن يكون شيئا بدلا من الضمير

(١) هذا الاعتراض قاله أبو حيان معترضا على كلام الزمخشرى ، البحر المحيط ٤٦١/٦ . (٢) يعنى مااعترض به أبو حيان على الزمخشرى لاوجه له . (٣) انظر القصة ورد الشهاب عليها فى خلاصة الأثر ٢٣٦/١

ويجوز إبدال النكرة من المعرفة بلا نعت إذا كان مفيدا صرح به الرضى أو حالا ، أو وجد من أخوات ظن فشيئاً مفعول ثان .

قوله : مما ظنه . . فسره به إشارة إلى أن الحسبان بمعنى الظن وهو المشهور وإن فرق بينهما الراغب : بأن الظن أن يخطر النقيضين بباله ويغلب أحدهما على الآخر ، والحسبان أن يحكم بأحدهما من غير أن يخطر الآخر بباله ، وقيده به لدفع ما يتوهم من التناقض بين مجيئه له وكونه غير شيء .

ولذا قيل : إن المراد بكونه غير شيء أنه غير معتد به والتوهم فى كلامه مقابل اليقين فيشمل الظن فليس فى كلامه شيء ، ويدفعه أيضا تقدير مضاف وهو موضعه[1] ، وإذا لم يقدر فجيئه بناء على توهمه .

وقيل : إن فى جاء حينئذ إسنادا مجازيا وفيه نظر[2] .

قوله ﴿ ووجد الله عنده ﴾ أى عند السراب أو العمل لا الظمآن كما قيل[3] .

وإفراد الضمير باعتبار كل واحد ، وهذه الجملة معطوفة على ﴿ لم يجده ﴾ ولا حاجة إلى عطفه على ما يفيده من نحو لم يجد ما عمله نافعا ، وهذا تشبيه بليغ وقع مثله فى قول مالك بن نويرة :

لعمرى إنى وابن جارود كالذى شعيب المـــاء والآل يبرق

(١) كما ذكره أبو حيان ، البحر المحيط ٦/٤٦٠

(٢) لأن الإسناد المجازى إنما يتأتى لو كان الرائى غير معتقد وجود الماء لكنه لما رآه ظنه ماء على الحقيقة فلما جاء المكان لم يجد شيئا .

(٣) القائل بذلك أبو حيان النحوى .

فلما أتاه خيب الله سعيه فأمسى يغض الطرف عيان يشهق

قوله عقابه أو زبانيته .لما كان الله منزها عن المكان أول المندية بما ذكر .

وظاهر كلامه دخول هذا وما بعده فى التشبيه فيكون المشبه به الكافر الظمآن المعاقب المحاسب فيتحد كلامه وكلام الزمخشرى[1] ويتحد مرجع الضمائر ولا يلزم تشبيه الشىء بنفسه لما مر .

ويحتمل أن يكون بيانا لحال المشبه به الكافر فيعطف بحسب المعنى على التمثيل بتمامه .

ولو قيل على الأول إنه من تتمة وصف السراب ، والمعنى وجد مقدوره تعالى من الهلاك بالظمأ عند السراب فوفاه ما كتب له من لا يؤخر الحساب كان الكلام متناسبا فتدبر .

وعلى تقدير المضاف زبانيته عبر بما ذكر لزيادة التهويل .

وقوله : أو وجده محاسبا إياه .. فالمندية بمعنى الحساب على طريق الكناية لذكر القوفية بعده .

قوله استعراضا : استفعال من العرض منصوب على التمييز ، فتوفية الحساب إتمامه بعرض الكتبة ماقدمه أو مجازاته على عمله .

وفى نسخة استعواضا من العوض والأول أولى .

وقوله : لا يشغله الخ يعنى أنه كناية عن هذا ، وليس المراد بالسرعة ظاهرها لأنه تعالى لا يوصف بها حقيقة .

---

(١) الكشاف ٦٩/٣

وقوله عطف على ﴿ كسراب ﴾ ولاحاجة إلى تقدير مضاف كما قيل، أى كأعمال ذوى ظلمات (١) .

وقوله وأو للتخيير .. الخ أى فى التشبيه وما ذكره الرضى كثير من أنها تختص بالطلب وإن اشتهر فقد ذهب كثير إلى عدم اختصاصه به كابن مالك والزمخشرى ووقوعه فى التشبيه كثير كما مر تحقيقه فى قوله ﴿ أو كصيب ﴾ وأنها فى الأصل لتساوى شيئين فصاعدا فى الشك ثم استعيرت لمطلق التساوى إما بطريق المشابهة أو هو من قبيل المشفر (٢) وظاهره أن الشك ونحوه مستفاد منها لامن عرض الكلام كما ذكره الشريف فى حذف المسند إليه وهو ظاهر كلام النحاة .

والمذكور فى الأصول أنه مدلول الأمر وقد جمع بينهما بأنه من سياق الكلام لكنه بواسطتها فنسب لهذا تارة وللآخر أخرى وإليه أشار الرضى ، فما ذكره قدس سره هو التحقيق وإن كان فى الكشاف ماينبو عنه فقدبر .

وقوله : فإن أعمالهم . أى الحسنة بقرينة قوله لاغية .

قوله : أو للتنويع .. فكأنه قيل بعض أعمالهم كالسراب وهو

---

(٢) هذا القول نسبه أبو حيان إلى أبى على الفارسى وأبى البقاء ، البحر المحيط ٤٦١/٦ .

(٢) يعنى مجازا غير مفيد، هذا ، وجعل الفراء التشبيه الثانى (أو كظلمات) مثل لقلب الكافر ، أى أنه لايعقل ولايبصر ، البحر المحيط ٤٦٢/٦ ، وقال أبو حيان والظاهر : أن هذا التشبيه الثانى هو تشبيه أعمال الكفار بهذه الظلمات المتكاثفة من غير مقابلة فى المعنى بأجزائه لاجزاء المشبه . المرجع السابق .

الحسن وبعضها كالظلمات وهو القبيح ، فقوله أعمالهم شامل لهما حينئذ فمن اختار هذا وخصها بأعمال البر لم يصب ، وفيه إبهام لطيف .

وقد أورد عليه أنه يأباه قوله ﴿ ووجد الله عنده ﴾ لأن أعمالهم الصالحة وإن سلم أنها لاتنفع مع الكفر لا وخامة فى عاقبتها ؟

وأجيب : بأنه ليس فيه مايدل على أن سبب العقاب الأعمال الحسنة بل وجدانهم العقاب لسبب قبائح أعمالهم لكنها ذكرت جميعها لبيان أن بعضها جعل هباء منثورا وبعضها معاقب به مع أنه مشترك الورود لتفسيره ﴿ وجد الله عنده ﴾ الخ ببطلان حسناته وبقاء عقاب سيئاته .

وقد قيل : إن وروده إذا دخل قوله (ووجد الله) فى التشبيه وليس بمقرر كما مر ، ثم إن المراد بالحسن الحسن الشرعى لوجوده فيما لا يشترط فيه الإيمان كالبر والصدقة لا الذاتى كما قيل .

قوله : أو للتقسيم .. أى لتقسيم حال أعمالهم الحسنة لا مطلقها وإن صح بأنها فى حال إطلاقها لخلوها عن نور الحق كالظلمات وفى أخرى كالسراب لكونها هباء منثورا .

وخص الأول بالدنيا لقوله ﴿ ومن لم يجعل الله له نورا ﴾ فإنه ظاهر فى الهداية والتوفيق المخصوص بها والآخر بالآخرة لقوله ﴿ووجد الله ﴾ فهو الملائم للنظم .

وقدم أحوال الآخرة التى هى أعظم وأهم لاتصاله بما يتعلق بها من قوله ليجزيهم[1] .. الخ ثم ذكر أحوال الدنيا تتميما لها ، فلا حسن لما قيل : إنه يمكن أن يطلق هذا فيهما فانها ظلمات فيهما .

(١) قال أبو حيان : بدأ بالتشبيه الأول لأنه آكد فى الأخبار لما فيه من ←

أو يعكس: فيكون سرابا حال الموت وظلمات فى القيامة كما فى الحديث: الظلم ظلمات يوم القيامة ، ويكون ترقيا مناسبا للترتيب الوقوعى .

قوله ﴿ لجى ﴾ صفة بحر ... قدمت لإفرادها وكذا جملة يغشاه كما ذكره بقوله : والجملة صفة ... الخ .

وقوله : هذه ظلمات ... يشير إلى أنه خبر مبتدأ مقدر ، وأعربه الحوفى[٢] مبتدأ خبره جملة ﴿ بعضها فوق بعض ﴾ ورده ابن هشام بأنه ابتداء بالنكرة من غير مخصص إلا أن يكون تنوينه كما فى قوله :

* له حاجب عن كل أمر يشينه *

هو تكلف ، وقوله : على إبدالها من الأول ... أى من لفظ ظلمات الأول وهو على تنوين سحاب وعدم إضافته فى قراءة قنبل ولا يحسن جعله تأكيداً للفصل وعلى الإضافة هو من قبيل : لجين الماء[٣] ، أو لبيان أنه ليس سحاب رحمة ومطر .

وقوله مترادفة ... إشارة إلى أن التوقية ليست حقيقة ، وجملة إذا أخرج ... الخ صفة ظلمات .

قوله : لم يقرب ... أى لم يقرب من الرؤية فضلا عنها كما سنحققه ، والشعر المذكور لذى الرمة ، والنأى : البعد ، وروى الهجر ، والدسيس : الثابت ، والمراد القديم العهد وهو من إضافة الصفة للموصوف وفيه

←ذكر ما يؤول إليه أمرهم من العقاب الدائم والعذاب السرمدى ، البحر المحيط ٤٦١/٦

(١) انظر البحر المحيط ٤٦٢/٦

(٢) يعنى من إضافة المشبه به للمشبه

اشارة إلى أن كاد كغيرها فى النفى والإثبات لا أن نفيها إثبات واثباتها نفى مطلقاً أو فى بعض الأحوال كما زعمه بعض النحاة .

وزعم أن ابن شبرمة خطأ ذى الرمة فى هذا وناداه ياغيلان أراه قد برح ففكر ثم بدله بقوله : لم أجد .

واعلم أنه قد جرى فى العرف أن يقال : ما كاد يفعل ولم يكد يفعل فى فعل قد فعل بجهد مع استبعاد فعله كقوله ﴿ فذبحوها وما كادوا يفعلون[٣] ﴾ فلما ورد نفيه على هذا توهم ابن شبرمة وذو الرمة أنه إذا قال لم يكد فقد زعم أن الهوى قد برح ، وليس الأمر كذلك فإن الذى يقتضيه لم يكد يفعل وما كاد يفعل أن الفعل لم يكن من أصله ولا قارب فى الظن أن يكون ولا يشك فى هذا ، وقد علم أن كاد موضوعة لشدة قرب الفعل من الوقوع ومشارفته فمحال أن يوجب نفيه وجود الفعل لأنه يؤدى إلى أن يكون ما قارب كذلك فبالنظر إلى أنه إذا لم يكن المعنى على أن ثمة حال يبعد معها أن يكون ثم تغيرت كما فى قوله فذبحوها ... يلتزم الظاهر ويجعل المعنى أن الفعل لم يقارب أن يكون فضلا عن أن يكون .

فمعنى بيت ذى الرمة : أن الهوى لرسوخه فى القلب وتملكه للنفس بحيث لا يتوهم عليه البراح وأنه لا يقارب من أن يوجد فضلا عن الوجود .

ثم أنهم قالوا فى تفسير هذه الآية لم يرها ولم يكد أن يراها ، فبدؤا بنفى الرؤية وعطفوا عليها لم يكد لا أنه سبيله سبيل ما كاد فى قوله ﴿ وما كادوا يفعلون ﴾ وهو نفى معقب على إثبات ، وليس المعنى على أن

(١) الآية ٧١ سورة البقرة ، هذا ، وانظر أمال المرتضى ١١/٢

الرؤية كانت بعد ما كادت لاتكون ولكن إنها ما قاربت الكون فضلا عنه ولو كان لم يكد يوجب وجود الفعل كان محالا كقولك : لم يرها ورآها .

واعلم : أن لم يكد فى الآية والبيت جواب إذا فيكون مستقبلا ، وإذا قلت إذا خرجت لم أخرج فقد نفيت خروجاً فى المستقبل فاستحال أن يكون المعنى فيها على أن الفعل قد كان ، هذا خلاصة ما حققه الشيخ فى دلائل الإعجاز (١) .

فإذا علمت هذا فنفى كاد أبلغ من نفى الفعل الداخلة عليه لأن نفى مقاربته يدل على نفيه بطريق برهانى إلا أنه إذا وقع فى الماضى لاينافى ثبوته فى المستقبل وربما أشعر بأنه وقع بعد اليأس منه كما فى قوله : ﴿ وما كادوا يفعلون ﴾ وإذا وقع فى المستقبل لاينافى وقوعه فى الماضى فان قامت قرينة على ثبوته فيه أشعر بأنه انتفى نفياً وآيس منه بعد ما كان ليس كذلك كما فى هذه الآية فإنه لشدة الظلمة لا يمكنه رؤية يده التى كانت نصب عينيه .

فلك أن تقول : إنه مراد من قال نفيها اثبات وإثباتها نفى لأن نفيها فى الماضى يشعر بالثبوت فى المستقبل وعكسه كما سمعته وهذا وجه تخطئة ابن شبرمة وتغيير ذى الرمة لأن مراده ان قديم هواها لم يقرب من الزوال فى جميع الأزمان ونفيه فى المستقبل يوهم ثبوته فى الماضى فلا يقال : انهما من فصحاء العرب المستشهد بكلامهم فكيف خفى هذا عليهما ؟

---

(١) دلائل الإعجاز ١٨٢/١٨٣ .

ولذا استبعده فى الكشف وذهب إلى أن هذه القصة موضوعة فاحفظه فإنه تحقيق أنيق وتوفيق دقيق ، بمحض اللطف والتوفيق[١] » حاشية الشهاب ٦ / ٣٨٨ .

فى قوله تعالى ﴿ الله نور السموات والأرض مثل نوره ﴾[٢] قال البيضاوى : صفة نوره العجيبة الشأن ، و إضافته إلى ضميره سبحانه وتعالى دليل على أن إطلاقه عليه لم يكن على ظاهره ، ﴿ الزجاجة كأنها كوكب درى ﴾ مضىء متلألىء كالزهرة فى صفائه وزهرته ﴿ زيتونة لاشرقية ولا غربية ﴾ تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتى تكون على قلة أو صحراء واسعة فان ثمرتها تكون أنضج.

قال الشهاب : « قوله صفة نوره . . هو معنى المثل كما مر فى سورة البقرة .

وقوله : دليل ..الخ لأنه لو كان عينه لزم إضافة الشيء إلى نفسه فهو يدل على أنه على تقدير مضاف ، أو أنه مجاز عما مر .

قوله كالزهرة .. بضم الزاى وفتح الهاء — وتسكينها خطأ — اسم للكوكب المعروف ، وهو تمثيل للكوكب ، وخصه لشدة ضوئه وشبهه بالسراج وزهرته — بفتح الزاى وضمها مع سكون الهاء — بياضه وحسنه .

---

(١) يفتخر الشهاب بنفسه وبقدرته على تحقيق المسائل العلمية ، وكثيرا مايفعل ذلك (٢) النور ٣٥ ، قال ابن قتيبة : هذا مثل ضربه الله لقلب المؤمن وما أودعه بالإيمان ، تأويل مشكل القرآن ص ٣٢٧

قوله تقع عليها الشمس .. الخ فانها إذا كانت شرقية وقعت الشمس عليها وقت الشروق فقط وإذا كانت غربية وقعت عليها عند الغروب فاذا كانت بينهما وقعت عليها دائما ، فأريد به ذلك وهو لازم(٣) معناه

وفى قوله تعالى﴿ يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار﴾ قال البيضاوى: أى يكاد يضىء بنفسه من غير نار لتلألؤه وفرط وميضه ﴿ نور على نور ﴾ نور متضاعف فان نور المصباح زادفى إنارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لأشعته .

وقد ذكر فى معنى التمثيل وجوها :

الأول : أنه تمثيل للهدى الذى دل عليه الآيات المبينات فى جلاء مدلولها وظهور ماتضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوته ، أو تشبيه للهدى من حيث إنه محفوف بظلمات أوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح ، وإنما ولى الكاف المشكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه به أوفق من تشبيهه بالشمس أو تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها ، ويؤيده قراءة أبى مثل نور المؤمن .

أو تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة التى ينوط بها المعاش والمعاد وهى الحساسة التى تدرك المحسوسات بالحواس الخمس ، والخيالية التى تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت ، والعاقلة التى تدرك الحقائق الكلية ، والمفكرة وهى التى تؤلف المعقولات لتستنتج علم مالم تعلم ، والقوة القدسية التى

---

(١) فيكون فى الكلام كناية .

تتجلى فيها لوائح الغيب وأسرار الملكوت المختصة بالأنبياء والأولياء المعنية بقوله تعالى ﴿ ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ﴾ بالأشياء الخمسة المذكورة فى الآية وهى : المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت .

فإن الحاسة كالمشكاة لأن محالها الكوى ووجهها إلى الظاهر لاتدرك ماوراءها وإضاءتها بالمعقولات لا بالذات .

والخيالية كالزجاجة فى قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها للأنوار العقلية وإنارتها بما تشتمل عليها من المعقولات .

والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالإدراكات الكلية والمعارف الالهية .

والمفكرة كالشجرة المباركة لتأديها إلى ثمرات لانهاية لها .

والزيتونة المثمرة بالزيت الذى هو مادة المصابيح التى لاتكون شرقية ولاغربية لتجردها عن اللواحق الجسمية أو لوقوعها بين الصور والمعانى متصرفة فى القبيلين منتفعة من الجانبين .

والقوة القدسية كالزيت فإنها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضىء بالمعارف من غير تفكير ولاتعليم .

أو تمثيل للقوة العقلية فى مراتبها بذلك ، فإنها فى بدء أمرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم تنقش بالعلوم الضرورية بتوسط إحساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة فى نفسها قابلة للأنوار .

وذلك التمكن إن كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونية وإن كان بالحدس فكالزيت وإن كان بقوة قدسية فكالتى يكاد زيتها يضىء لأنها تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحى والالهام الذى مثله النار من حيث إن العقول تشتعل عنها ، ثم إذا اتصلت بها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت كان كالمصباح فإذا استحضرها كان نورا على نور .

قال الشهاب : موضحا ذلك « قوله وضبط المشكاة لأشعته ... فى الكشف : دل هذا على أن وجه الشبه : الإضاءة وقوتها لا السعة والفشو فلا يتوهم أنه كالمتناقض لكون المصباح فى مكان متضايق .

قوله فى معنى التمثيل ... أى فى المراد من التشبيه مطلقا ، وعبر بالتمثيل موافقة لما فى النظم لفظه مفردا دال على أمور متعددة .

وقيل : إنه ذكر للتنصيص على ماهو العمدة فى التمثيل ، وقوله فى جلاء ... الخ متعلق كتمثيل وهو وجه الشبه وهو مركب عقلى كما فى شرح الكشاف .

والمراد بالآيات : آيات القرآن مطلقا أو آيات هذه السورة .

وقوله : من الهدى .. بيان لما تضمنته وهو مدلولها أيضا ، وفى عبارته نوع خفاء .

قوله : أو تشبيه للهدى .. الخ يعنى أنه تشبيه مقيد ، وفى شرح الكشاف أنه على هذا من المركب الوهمى حيث تصور فى المشبه والمشبه به حال منتزعة وهى قوله : من حيث إنه محفوف .. الخ

فشبه المدى المحيط به الضلال بمصباح فى ليل مظلم كقوله :

وكأن النجوم بين دجاها سنن لاح بينهن ابتداع[1]

ولا يخفى أنه بحسب الظاهر ينافيه كون حق الكاف الدخول على المصباح ، وقوله : لاشتمالها .. يعنى به أن المشتمل مقدم على المشتمل عليه فى رأى العين فقدم لفظ مشكاة رعاية لذلك ، أو لأنه إذا دخل على المشتمل فكأنه دخل على ما فيه .

فلا وجه لما قيل : إنه لا يكفى فيه بل النكتة أنه أبلغ لأن الإنارة إذا نسبت للمشكاة فالمصباح أقوى فيها ، وكذا ما قيل : إن فيه قلبا[2] .

وإنما كان المصباح أوفق من الشمس لأنه مايوقد فى الليل فيدل على الظلمة التى لها دخل فى التشبيه .

(١) قائله : القاضى التنوخى ؛ ووجه الشبه : الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقه بيض فى جوانب شىء مظلم أسود ، وهى غير موجودة فى المشبه به إلا على طريق التخييل ، بغية الايضاح ١٨/٣ .

(٢) ومن القائلين بذلك ابن قيم الجوزية لقوله « وأما الذى يجوز عكسه من التشبيه فهو الجمع بين شيئين فى مطلق الصورة أو الشكل أو اللون فالعكس مستقيم فيه فهو كتشبيه الصبح بغرة الفرس لا لأجل المبالغة فى الضياء بل لأجل وقوع منير فى مظلم وحصول بياض فى سواد ، وعلى هذا خرج قوله تعالى « مثل نوره كمشكاة » فانه تعالى لم يرد بالتشبيه بهذه الزجاجة الموصوفة بهذه الصفة المشاركة بين نوره وبين نور هذه الزجاجة إذ لا مناسبة بينهما بل كان ذلك من التشبيه الذى ينعكس بل يتعين عكسه ، الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن ص ٦٣ .

وقيل : إنه تشبيه مفرق ، فشبه الهدى بالمصباح ، والجهالات بظلم استلزمتها وفيه نظر (٢) .

قوله أو تمثيل لما نور الله .. الخ ففيه مضاف مقدر ، أى كنور مشكاة كما أشار إليه ، وهذا الوجه رجحه الطيبى على غيره وقال : إنه تفسير السلف وأنه الأنسب بالمقام .

ونقل البغوى عن كعب أنه قال : إنه مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ، فالمشكاة صدره ، والزجاجة قلبه ، والمصباح ما فيه من الحكم .

وعن الحسن رحمه الله تعالى : الشجرة المباركة شجرة الوحى ، ويكاد زيتها يضىء : القرآن يتضح وإن لم يقرأ ، أو شجرة النبوة .

والظاهر على هذا أنه تشبيه مفرق .

وقيل : إنه مركب كالأول ، والفرق بينهما فى أصل المعنى لا فى طريق التشبيه ، وإضافة النور إليه تعالى باعتبار السببية .

قوله : تمثيل لما منح الله .. الخ فهو تشبيه مفرق ، وهذا مبنى على

---

(٢) النظر يرجع إلى أن المقصود بيان الكيفية التى عليها نور الله فلايتأتى التفريق فيه ، هذا ، وقال أبو حيان — على التفصيل — أى مثل نوره فى محمد أو فى المؤمن أو فى القرآن والايمان كمشكاة ، فالمشكاة هو الرسول أو صدره والمصباح هو النبوة والزجاجة قلبه ؛ والشجرة المباركة الوحى ، وشبه الفصل به بالزيت وهو الحجج والبراهين التى تضمنها الوحى ، وعلى قوله المؤمن فالمشكاة صدره ، والمصباح الإيمان والعلم ، والزجاجة قلبه والشجرة القرآن ، وزيتها هو الحجج والحكمة التى تضمنها . البحر المحيط ٦/٤٥٥ .

كلام الحكماء ولذا قال الطيبي رحمه الله : إن المقام ينبو عنه فتركه أولى من ذكره .

وقوله : وهي الحساسة . . أي القوة الحساسة ، والمراد بها الحس المشترك ، فان الحواس الظاهرة كالجاسوس لها وإليها يتأدى ما يدرك كما اشار إليه المصنف وهي في مقدم البطن الأول من الدماغ .

وهذا شروع في بيان الحواس الباطنية التي سمتها الأطباء نفسانية ، والقوة الخيالية هي التي تتخيل صور المحسوسات بعد غيبتها وتحفظها ، وقوله بالحواس الخمس ... أراد بها الحواس الظاهرة لأنها جواسيسها كما مر .

ومن لم يقف على مراده اعترض عليه بأنه لا يصح أن يقال : تدرك المحسوسات بالحواس الخمس ، بل قال : أعني الحواس الخمس .

فان قلت : فحينئذ كان حق النظم كمشكاة وزجاجة ومصباح ..الخ حتى يفيد تشبيه كل واحد بكل واحد ؟ .

قلت . لما كان كل من هذه الحواس يأخذ مايدركه مما قبله كما يؤخذ المظروف من ظرفه أشار إلى ذلك بأداة الظرفية دلالة على بديع صنعه وحكمته .

وقوله : بالأشياء الخمسة . . متعلق بتمثيل على اللف والنشر ، وقوله : فإن الحاسة .. في نسخة بدله الحساسة ، قوله : لأن محالها الكوى ... في نسخة كالكوى جمع كوة بفتح الكاف وضمها ، وقد مر بيانها ، والكوى بكسر مع المد والقصر وبضم مقصورا ، ومحالها جمع محل ، وفي نسخة محلها وضمير محالها ووجهها للحاسة .

والمراد : بيان وجه السبب لتجويفها وتوجهها الظاهر البيت لا لما خلفه لتوجهها للحواس الظاهرة وكونها فى مقدم الدماغ .

وما قيل : من أن الظاهر أن يقول لأنها كالكوة ووجهها إلى الظاهر فانه يوهم أن المقصود تشبيه محلها نفسها بالمشكاة .

والقول : بأن لفظ المحل مقحم وجمع لتعدد المواد تكلف مالا يوافق مأخذ كلامه لا وجه له فانه تكلف فيه :

وإقحام لفظ المحل وإن صح لكنه لا يرتضيه من وقف على مراده فتدبر .

قوله : فى قبول صور المدركات وحفظها لها كالزجاجة القابلة للأشعة المنعكسة ، وضبطها للأنوار لحفظها لمدركات الحس المشترك .

وقوله كالشجرة .. هو أوفق مما فى بعضها بالشجرة ، والزيتونة عطف على الشجرة .

وقوله : لتأديها ولتجردها ... تعليل للتشبيه فهو متعلق بمتعلق الكاف أو بها لتأويلها بأشبه عند من جوزها .

قوله : أو تمثيل للقوة العقلية .. الخ وهو تشبيه مفرق لا تمثيلى كما قيل ، هذا زبدة ما فى النمط الثالث من الاشارات وهو أنه إشارة إلى قوى النفس النظرية ومرتبتها من البداية إلى النهاية لأنها إما استعداد الكمال أو نفس الكمال ، والاستعداد إما ضعيف أو متوسط أو قوى :

فالضعيف : استعداده للمعقولات الأولى كالطفل للكتابة وهو العقل الهيولانى .

والمتوسط : استعداده للمعقولات الثانية بعد الأولى كالأمى لتعلم الكتابة وهو العقل بالملكة ، وحصول المعقولات الثانية إما بحركة من الذهنية وهو حصول بالفكرة ، أو بحركة الذهن وهو حصول بالحدس ويدخل فيه التعلم .

والاستعداد القوى : استعداد المعقولات الثانية بعد حصولها كاستعداد القادر على الكتابة وهو العقل بالفعل ، والكمال حصول المعقولات الثانية وهو العقل المستفاد .

والشيخ حمل مفردات التنزيل على هذه المراتب لكن لتلك المفردات ترتيب فيه حيث جعل الزجاجة فى المشكاة والمصباح فى الزجاجة .

وتحقيقه كما فى المحاكمات : أن هناك استعدادا محضا واستعداد اكتساب ، واستعداد استحضار وحصول ، ولا شك أن استعداد الاكتساب بحسب الاستعداد المحض ، واستعداد الاستحضار بحسب استعداد الاكتساب فتكون الزجاجة وهى عبارة عن العقل بالملكة انما هى فى المشكاة وهى العقل الهيولانى ، والمصباح وهو العقل بالفعل فى الزجاجة التى هى العقل بالملكة لأنه إنما يحصل باعتبار هو حصول العقل أولا والعقل بالملكة إنما يخرج بالقوة إلى الفعل[1] .

---

(١) يبدو أن هذا التحقيق كان الأولى به كتب الفلسفة والمنطق ، هذا ويوضح الرازى التشبيه فى الآية بإفاضة ويعرض لرأى الإمام الغزالى فى هذا ويناقشه وهو قريب من هذا الكلام ، ويتلخص التشبيه عند الرازى فى :←

فالفكر والحدس والشجرة الزيتونية إشارة إلى الحدس ، ويكاد زيتها يضيء إشارة إلى القوة القدسية .

فإن قلت : هذا لا ينطبق على النظم لأنه وصف الشجرة بتلك الصفات وهذه أمور متباينة لا يجوز وصف أحدها بالآخر ؟

قلت : الشجرة الزيتونية شيء واحد فاذا ترقت فى أطوارها حصل لها زيت إذا ترقى وصفا كاد يضيء ، وكذلك الاكتساب قوة نفسية هى فكرة فاذا ترقت كانت حدسا ثم قوة قدسية ، فهى وإن كانت متباينة ترجع إلى شيء واحد كالشجرة .

وأما قوله : لا شرقية ... الخ فهو إشارة إلى أنها ليست من عالم الحس الذى لا يخلو عنها كما أشار إليه المصنف بقوله مجردة عن اللواحق ... الخ ، أو لأنها بين الصور والمعانى ، والصور ظهورها كالشروق والمعانى خفاؤها كالغروب ، فاعتباره فى جانب المشبه به ظاهر أيضا لها .

نور على نور ... وهو العقل المستفاد ، وقد مثل نوره تعالى بالعقل المستفاد وهو كمال النفس الإنسانية فى القوة النظرية تحقيقا لاستلزام معرفة

← ١ — أن المراد من الهدى وهى الآيات أن هداية الله بلغت فى الظهور أقصى الغايات وصارت بمنزلة المشكاة ٢ — المراد من النور القرآن . ٣ — المراد الرسول لأنه المرشد ٤ — المراد ما فى قلب المؤمن من معرفة الله ومعرفة الشرائع والمقصود من التمثيل : أن إيمان المؤمن قد بلغ فى الصفاء عن الشبهات مبلغ السراج ٥ — ماذكره الشيخ الغزالى أن القوى المدركة أنوار ... الخ تفسير الرازى ٢٣/٢٣١—٢٣٥ .

النفس معرفة الرب علت كلمته . وهذا تحقيق لطيف .

وقد قال بعض المشايخ : إن حقيقتها نور قدحه زناد الإيمان بيد اليقين فى حراق الوهم فاشتعل مصباح البصيرة فى ظلمة الطبيعة وغايتها إعمال النظر الصحيح فى تحصيل أسباب النجاة فافهم(١) .

قوله : فكالشجرة الزيتونة . . لاحتياج الإيقاد منها إلى كسب ، فشبه بها التحصيل بالنظر ، والحدس يشبه الزيت ، وقوله : والإلهام عطف على ملك الوحى وأفرد الذى لكونهما فى حكم شىء واحد ولو ثنى كان أظهر .

وقوله : من حيث إن العقول تشتعل عنها ... ضمير عنها ليس للقوة القدسية بل هو لمرجع ضمير مثله فلو ذكره هنا كان أظهر ولذا قيل : إنه من سهو الكاتب لكنه أنث مراعاة للخبر .

وقوله ﴿ يهدى الله لنوره ﴾ إشارة إلى أن ما ذكر تقريب وتلويح ، وقوله توضيحا تمليل للادناء ، وقوله معقولا كان أو محسوسا ، فالتوضيح

---

(١) وقد جعل ابن الأثير التشبيه فى الآية من تشبيه المفرد بالمركب ، وقال : هذا مثال ضربه الله للنبى صلى الله عليه وسلم ، وإذا نظرت إلى هذا الموضع وجدته تشبيها لطيفا عجيبا وذلك أن قلب النبى صلى الله عليه وسلم وما ألقى فيه من النور وما هو عليه من الصفة الشفافة ، كالزجاجة التى كأنها كوكب بصفائها وإضاءتها ، وأما الشجرة المباركة فهى عبارة عن ذات النبى صلى الله عليه وسلم لأنه من أرض الحجاز التى لا تميل إلى الشرق ولا إلى الغرب وأما زيت الزجاجة فانه مضىء من غير أن تمسه نار ، والمراد بذلك ان فطرته صافية من الأكدار منيرة من قبل مصافحة الأنوار ، فهذا هو المراد بالتشبيه الذى ورد فى هذه الآية ، المثل السائر ٢/١٢٧ .

إنما فائدته للناس ، وقوله وعد ووعيد ... لأن علمه تعالى عبارة عن مجازاته » حاشية الشهاب ٦/٣٨٣ – ٣٨٥ .

في قوله تعالى ﴿ وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر[1] ﴾ قال البيضاوي : ويكأن عند البصريين مركب من وى للتعجب وكأن للتشبيه ، والمعنى : ما أشبه الأمر أن الله يبسط .

وقيل : من ويك بمعنى ويلك وأن تقديره : ويك أعلم أن الله ... الخ

قال الشهاب : « قوله : من وى للتعجب ... ويكون للتحسر والتندم أيضا .

قال الراغب : وهي اسم فعل لأعجب ونحوه[2] ، وكأن ظاهره في التشبيه .

وقوله : والمعنى ... أي عليهما ، التقدير : ما أشبه الأمر والحال أي أمر الدنيا والناس مطلقا إلى آخر أمر قارون وما شوهد من قصته ، والأمر مأخوذ من الضمير فانه للشأن .

والمراد من تشبيه الحال المطلق بهذه الحال : أنه لتحققه وشهرته[3] يصلح أن يشبه به كل شيء كما أشار إليه في الكشف .

فاندفع ما قيل : إنه لا معنى للتشبيه هنا لأنه غلب فيه معنى

---

(١) القصص ٨٢ . (٢) قال الراغب : وى كلمة تذكر للتحسر والتندم والتعجب ، المفردات في غريب القرآن ص٥٣٥ ، هذا وانظر تفصيل المذاهب في ذلك في البحر المحيط ٧/١٣٥

(٣) بأن صار كالمثل لما عرف من قصة قارون ، واشتهر لدى كل الناس .

التحقق والشهرة إلا أن الكلام فيما ادعاه من الدلالة على هذا المعنى فانه غير ظاهر[١] »

فى قوله تعالى ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى[٢]﴾ ، قال البيضاوى: تعلق بأوثق ما يتعلق به ، وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن أراد أن يترقى شاهق جبل فتمسك بأوثق الحبل المتدلى منه.

قال الشهاب : « قوله : وهو تمثيل ... أى تشبيه تمثيلى مركب لذكر الطرفين بتشبيه حال المتوكل على الله المحسن فى عمله بمن ترقى فى جبل شاهق أو تدلى منه فتمسك بعرى حبل وثيق متدلى منه .

وهذا بعينه ما فى الكشاف[٣] إلا أنه أبدل تدلى بترقى ملاحظة لعلو حاله ، والتدلى باعتبار أنه المعروف فيه ، ولكل وجهة .

وقد ذكر فى البقرة[٤] أنه استعارة فى المفرد وهو العروة الوثقى ، فيستعار للتوكل النافع المحمود عاقبته » ، حاشية الشهاب ١٤٠/٧ .

فى قوله تعالى : ﴿ حتى عاد كالعرجون القديم[٥] ﴾ قال

---

(١) حاشية الشهاب ٨٨/٧ .

(٢) لقمان ٢٢ (٣) الكشاف ٢٣٥/٣ ، هذا ، وقال ابن عطية : والعروة موضع التعليق فكأن المؤمن متعلق بأمر الله فشبه ذلك بالعروة البحر المحيط ١٩٠/٧ (٤) وذلك فى قوله تعالى « ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى » .

(٥) يس ٣٩ ، والآية عند أبى هلال من تشبيه الشىء بالشىء صورة ، الصناعتين ٢٥١ ، وقال ابن رشيق : هذا من التشبيه العقم التى لم يسبق أصحابها إليها ولا تعدى أحد بعدهم عليها ، العمدة ٢٩٩/١ ، هذا ، وانظر الجمان ٢٢٠ ، وتأويل مشكل القرآن ٢١٧ .

البيضاوى : كالشمراخ المعوج ، فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج » (القديم) العتيق .

قال الشهاب : « الشمراخ — بكسر الشين وميم ساكنة — وهو كالشمروخ — بالضم — عيدان العنقود الذى عليه الرطب وما يجمعه مما فوقه يسمى العذق ، وليس هو العنقود نفسه حتى يقال فيه تسامح ، لأن المشبه به عيدانه لا هو نفسه .

وقوله كالعرجون ... بكسر العين وسكون الراء وفتح الجيم .

وقوله العتيق ... الذى مر عليه زمان ييبس فيه ويعوج ، ووجه الشبه مركب ، وهو الاصفرار والدقة والاعوجاج[1] » ، حاشية الشهاب ٧/٢٤٣ .

فى قوله تعالى: ﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون[2] ﴾

قال البيضاوى : وقيل تقرير الأول[3] على سبيل التشبيه ، أى كما لا يستوى العالمون والجاهلون لا يستوى القانتون والعاصون .

قال الشهاب : « قوله : تقرير للأول على سبيل التشبيه ... عطف على ما قبله بحسب المعنى إذ التقدير : الذين يعلمون والذين لا يعلمون هم القانتون وغيرهم فيتحدان بحسب المعنى .

أو المراد بالثانى غير الأول وإنما ذكر على سبيل التشبيه كأنه

---

(١) وظاهر عبارة الكشاف يدل على أن الوجه متعدد ، حيث قال إذا قدم انحنى ودق واصفر فيشبه به من ثلاثة أوجه ، الكشاف ٣/٣٢٣ .

(٢) الزمر ٩ .

(٣) يعنى قوله « أم من هو قانت آناء الليل ... الآية »

قيل : لا يستوى القانت وغيره كما لا يستوى العالم والجاهل ، فيكون ذكره على سبيل التمثيل ، ففيه تأكيد من وجه آخر[١] » ، حاشية الشهاب ٧ / ٣٣١ .

فى قوله : ﴿ ومثلهم فى الإنجيل كزرع[٢] ﴾ قال البيضاوى : وهو مثل ضربه الله للصحابة ، قلوا فى بدء الإسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى أمرهم بحيث أعجبهم .

قال الشهاب : « فى الكشاف[٣] وهذا مثل ضربه الله لبدء الإسلام وترقيه فى الزيادة إلى أن قوى واستحكم ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله بمن آمن معه كما يقوى الطاقة الأولى من الزرع مايحتف بها مما يتولد منها ، وهذا ما قاله البغوى[٤] من أن الزرع محمد والشطأ أصحابه والمؤمنون فجعلا[٥] التمثيل للنبى صلى الله عليه وسلم وأمته ، والمصنف جعله للصحابة فقط ، ولكل وجهة » . حاشية الشهاب ٨/٧٠ .

فى قوله تعالى ﴿ يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر ﴾[٦]

قال البيضاوى فى الكثرة والتموج والانتشار فى الأمكنة .

---

(١) انظر الكشاف ٣/٢٩٠ (٢) الفتح ٢٩ .

(٣) الكشاف ٣/٥٥١ ، هذا ، وزاد ابن ناقيا عما ذكره الكشاف أنهم شبهوا النبى صلى الله عليه وسلم بالنخلة تفاؤلا بالضعف وقلة الأعوان فأكذب الله ظنونهم فيه وشبهه فى الآية بعكس ذلك التشبيه ، وهو من أوقع التشبيهات وأوضحها ، وأبلغ التمثيلات ، وأفصحها ، الجمان ٢٦٠ .

(٤) فى معالم التنزيل (٥) يعنى الزمخشرى والبغوى

(٦) القمر ٧ ، والطرفان حسيان والوجه مركب حسى ، وقال ابن رشيق ان التشبيه فى الآية من التشبيهات العقم ، العمدة ١/٢٩٩ .

قال الشهاب : « قوله : فى الكثرة .. بيان لوجه الشبه فهو تشبيه محسوس بمحسوس ، ووجه الشبه محسوس مركب من أمور متعددة لامتعدد[١] ، وجملة كأنهم حالية بمعنى مشبهين » حاشية الشهاب ٨/١٢٢

فى قوله تعالى ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما ﴾[٢] ، قال البيضاوى : هو تمثيل لها فى سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال نبات أنبته الغيث ﴿ فاستوى ﴾ أعجب به الحراث أو الكافرون بالله لأنهم أشد إعجابا بزينة الدنيا ولأن المؤمن إذا رأى معجبا انتقل فكره إلى قدرة صانعه فأعجب بها ، والكافر لايتخطى فكره عما أحس به فيستغرق فيه إعجابا .

قال الشهاب : « قوله : هو تمثيل ... الخ أى قوله ﴿ كمثل ... ﴾ تمثيل للحياة الدنيا .

وقوله : فى سرعة تقضيها .. السرعة مأخوذة من تشبيه جميع مافيها من السنين الكثيرة بمدة نبت غيث واحد فإنه فى أقل من سنة

فلا وجه لما قيل : الأولى طرح السرعة فان ثم لاتقاسيه .

وقوله :أعجب به الحراث . جمع حارث ككافر وكفار ، وهو تفسير للكفار بالحراث[٣] لأنه يقال للحارث كافر بمعنى ساتر ، لستره مابذره

---

(١) لأن الوجه لو كان متعددا لكان من التشبيه المفرق ، هذا وقال ابن فاقيا : شبه الناس فى وقت البعث بالجراد كما شبههم بالفراش لأنهم يموج بعضهم فى بعض ، الجمان ٢٧٩ (٢) الحديد ٢٠ .

(٣) وقال ابن قتيبة : الكفار هنا بمعنى الزراع ، تأويل مشكل القرآن ص ٧٥

فى الأرض، وإنما فسره به لأن التخصيص بالكفار لاوجه له بحسب الظاهر.

قوله : أو الكافرون .. بإبقاء الكفار على ظاهره ، وتخصيصهم بالإعجاب لأنهم لقصور نظرهم على هذه الدار يعجبهم مافيها ولا ينظرون لغيرها ، والمؤمن لاينظر إليه لعلمه بفنائه فاذا نظر إليه أعجب بقدرة موجده. ولذا قال أبو نواس فى النرجس .

عيون من لجين شاهدات بأن الله ليس له شريك

والفرق فى الوجهين : أن فى الأول[1] إثبات الاعجاب للمؤمن بخلاف الثانى » حاشية الشهاب ١٦٠/٨

فى قوله تعالى ﴿ وجنة عرضها كعرض السماء والأرض ﴾[2] قال البيضاوى : أى عرضها كعرضهما ، وإذا كان العرض كذلك فماظنك بالطول ، وقيل : المراد به البسطة كقوله ﴿ فذو دعاء عريض ﴾ .

قال الشهاب : « قوله : عرضها كعرضهما .. لو ألصق أحدهما بالآخر وقوله وإذا كان العرض كذلك .. يعنى أن العرض أقصر الامتدادين فاذا كان موصوفا بالسعة دل على سعة الطول بالطريق الأولى[3] فالاقتصار عليه أبلغ من ذكر الطول معه .

قوله : وقيل المراد به البسطة .. أى السعة والامتداد ولذا وصف به الدعاء ونحوه مما ليس من ذوى الأبعاد ، وأما تفسيرها بالطول فغير صحيح هنا »[4] .

(١) يعنى على أن المراد بالكفار الحراث ، هذا : وانظر الكشاف ٦٥/٤

(٢) الحديد ٢١ .

(٣) انظر الكشاف ٦٥/٤

(٤) حاشية الشهاب ١٦١/٨

فى قوله تعالى ﴿ تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ﴾ قال البيضاوى متفرقة لافتراق عقائدهم .

﴿ ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾ ﴿ كمثل الذين من قبلهم ﴾ أى مثل اليهود كمثل أهل بدر أو بنى قينقاع إن صح أنهم أخرجوا قبل النضير أو المهلكين من الأمم الماضية ﴿ قريبا ﴾ فى زمان قريب وانتصابه بمثل إذ التقدير : كوجود مثل ﴿ ذاقوا وبال أمرهم ﴾ سوء عاقبة كفرهم فى الدنيا ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ فى الآخرة ﴿ كمثل الشيطان ﴾ أي مثل المنافقين فى إغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان ﴿ إذ قال للانسان اكفر ﴾ أغراه على الكفر إغراء الآمر المأمور ﴿ فلما كفر قال إنى برىء منك ﴾ (١) تبرأ منه مخافة أن يشاركه فى العذاب .

قال الشهاب : « قوله : وانتصابه بمثل ... يعنى أن العامل فى الظرف أعنى (قريبا) والناصب له لفظ مثل ، ولا يخفى ركاكته ، فانه إن قصد أن فيه مضافا مقدرا عمل عمل المضاف إليه لقيامه مقامه كما قيل فلا يخفى أن المعنى ليس عليه لأنه قصد تشبيه المثل بالمثل ، أى الصفة الغريبة بمثلها لا بالوجود ، وكونه لا يجب إضافة المثل ودخول الكاف على المشبه به وكونه من إضافة الصفة لموصوفها أى المثل الموجود لايدفع الركاكة وإن صححه .

فان أريد أن العامل التشبيه أو متعلق الكاف ـ لأنه يدل على وجوده ـ كانت العبارة نائية عنه .

---

(١) الحشر ١٤ — ١٦ .

وقيل : عامله (ذاقوا) وعلى الأول : فقوله ذاقوا ... الخ مبين المثل وهو جملة مفسرة لامحل لها من الاعراب .

قوله : أو المهلكين ... الخ ينبغى على هذا أن ينتصب قريبا بذاقوا لئلا يفسد المعنى ، فما ذكره المصنف على الراجح عنده .

وقوله : كمثل الأول خبر مبتدأ تقديره : مثلهم كمثل الذين .. الخ

وقوله : (كمثل الشيطان) بدل من قوله كمثل أولا لأنه مبين له فهو المقصود أو خبر آخر للمبتدأ المقدر الذى هو مثلهم على أن الضمير لليهود والنصارى جميعا ، وكلام المصنف لا يوافقه فعليه ينبغى أن يقدر لكل منهما مبتدأ على حدة على أن الضمير المضاف إليه مثلهم الأول لليهود والثانى للمنافقين ولا يكون كما قيل بدلا ، والضمير فى مثلهم المقدر فى المثلية للطائفتين ولا يأباه كلام المصنف لأن المراد مثل اليهود مع المنافقين لأنه كلام مختل وليس البدل فيه واحدا من أقسام الابدال المذكورة فى النحو .

وقوله : أغراه .. تمثيل واستعارة » حاشية الشهاب ١٨١/٨

فى قوله تعالى ﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة ﴾(١) قال البيضاوى : حال من الضمير المجرور فى (لقولهم) أى تسمع لما يقولونه مشبهين بأخشاب منصوبة مسندة إلى الحائط فى كونهم أشباحا خالية عن العلم والنظر .

وقيل : الخشب جمع خشباء وهى الخشبة التى نخر جوفها ، شبهوا بها فى حسن المنظر وقبح المخبر .

---

(١) المنافقين ٤ .

قال الشهاب : «قوله فى كونهم أشباحا .. الخ فيه تسامح لأنه بيان لوجه الشبه المشترك بينهما فكان الظاهر أن يقول : خالية عن الفائدة لأن الخشب تسكون مسندة إذا لم تسكن فى بناء أو دعامة لشىء آخر كما بسطه فى الكشاف[1] .

قوله : وقيل الخشب جمع خشباء .. وعلى الأول هى جمع خشبة كثمرة وثمر ، ومعناها معروف ، ومرض هذا القيل لأنه خلاف المتبادر ولأنه لا تساعده القراءة بضمتين لأن فعلاء لا يجمع على فعل بضمتين بل على فعل ساكنا كحمراء وحمر ولذا قدمه المصنف على ذكر قراءة التسكين ، ومن غفل عنه قال : حقه أن يذكره بعد قراءة من قرأ بسكون الشين .

وقوله : قبح الخبر .. أى الباطن والخفى مما يحتاج معرفته إلى الاختبار »[2] .

(١) الكشاف ٤/١٠٩ هذا والغرض من التشبيه فى الآية تقبيح المشبه .
(٢) حاشية الشهاب ٨/١٩٩ .

الفصل الرابع

تشبيهات متنوعة

الفرق بين التشبيه والاستعارة :

فى قوله تعالى ﴿ صم بكم عمى ﴾[1] عندما استشهد البيضاوى بقول الشاعر :

أسد علىَّ وفى الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر

قال الشهاب : « الشاهد فى قوله أسد فانه تشبيه لا استعارة لذكر الطرفين تقديرا فيه ، أى أنت أسد ، كما فى الآية الكريمة[2] فهو فى حكم المنطوق .

وفى ذكر البيت إشارة إلى أنه لاينافى التشبيه أن يذكر بعد المشبه به مايشعر بأنه ليس بمعناه الوضعى كقوله (علىَّ) هنا و (فى الحروب) المتعلق بنعامة . ثم يقول : ولأن الاستعارة لاتكون إلا إذا ترك المستعار له لفظا وتقديرا فان المقدر كالمذكور[3] ـ كما فى هذه الآية ـ فاذا كان كذلك تناسوا التشبيه المستدعى لذكر الطرفين عند الحذف

---

(١) البقرة ١٨ .

(٢) يعنى قوله (صم) لأن التقدير هم صم هم بكم ... الخ .

(٣) انظر ذلك بالتفصيل فى المطول مع حاشية السيد ص٣٥٨ ــ ٣٦٠، ص٣٩٨ ، وحاشية السيد مع الكشاف ٢٠٩/١ .

وإدخال المشبه فى جنس المشبه به حتى كأنه لاتشبيه كما فى قوله:

* ويصعد حتى يظن الجهول * ... الخ .

فان العلو المكانى استعير لرفعة القدر وجعل كالحقيقى الذى يتوهم فيه أن له حاجة فى السماء صعد لها ، وقد يفعلون ذلك مع التصريح[١] به أيضا كقول العباس الأحنف :

* هى الشمس مسكنها فى السماء *

حاشية الشهاب ١/٣٨٣

تشبيه مركب مع احتباك :

فى قوله تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله ﴾[٢] قال البيضاوى : أى من جندى متوجها إلى نصرة الله ليطابق قوله تعالى ﴿ قال الحواريون نحن أنصار الله ﴾ والإضافة الأولى إضافة أحد المتشاركين إلى الآخر لما بينهما من الاختصاص ، والثانية إضافة الفاعل إلى المفعول ، والتشبيه باعتبار المعنى إذ المراد : قل لهم كما قال عيسى ابن مريم ، أو كونوا أنصارا كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى من أنصارى إلى الله .

قال الشهاب : « قوله والتشبيه .. الخ ليس التشبيه على ظاهره من

---

(١) يعنى يتناسون التشبيه حتى مع التصريح بلفظ المشبه مع المشبه به ويحاولون أن يثبتوا ما للمشبه به للمشبه قصدا للمبالغة ، انظر بغية الإيضاح ٣/١٤٢ ، ١٤٥ .

(٢) الصف ١٤ ، وانظر المطول ٣٢٨ .

من تشبيه كون المؤمنين أنصار الله كقول عيسى إذ لا وجه لتشبيه الكون بالقول بل مؤول بما ذكر[1] .

وجعل التشبيه باعتبار المعنى على تقدير قل لظهوره فيه وانصباب الكلام إليه .

وقوله : أو كونوا .. الخ فما مصدرية وهى مع صلتها ظرف ، والأصل ككون الحواريين أنصارا وقت قول عيسى ثم حذف المظروف وأقيم ظرفه مقامه ، وقد جعلت الآية من الاحتباك .

والأصل : كونوا أنصارا الله حين قال لكم النبى من أنصارى إلى الله كما كان الحواريون أنصار الله حين قال لهم عيسى من أنصارى إلى الله فحذف من كل منهما مادل عليه المذكور فى الآخر وهو كلام حسن »[2] .

تشبيه متفرع على تشبيه آخر :

فى قوله تعالى ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾[3] قال البيضاوى : أى مواضع حرث لكم .

شبهن بها تشبيها لما يلقى فى أرحامهن من النطف بالبذور .

يوضح الشهاب هذا ويختار رأيا غفل عنه الناس فيقول : « قوله

---

(١) يعنى كونه محمولا على المعنى كما ذكره الزمخشرى ، الكشاف ١٠١/٤

(٢) حاشية الشهاب ١٩٤/٨ .

(٣) البقرة ٢٢٣ ، وعدها ابن الأثير من محاسن التشبيهات ، المثل السائر ١٢٨/٢ ، وقال ابن قتيبة : أى مزدرع لكم كما تزدرع الأرض ، تأويل مشكل القرآن ص ١٤١ .

مواضع حرث لكم .. يعنى أنه بتقدير مضاف[١]، أو أطلق الحال على المحل[٢] وحمل المشبه به على المشبه[٣] كما فى زيد أسد .

ثم أشار إلى أن هذا التشبيه متفرع على تشبيه النطف الملقاة فى أرحامهن بالبذور إذ لولا اعتبار ذلك لم يكن بهذا الحسن .

فقيل : إنه على الاستعارة بالكناية لأن فى جعل النساء محارث دلالة على أن النطف بذور[٤] على ما أشار إليه بقوله : تشبيها لما يلقى فى أرحامهن كما تقول : إن هذا الموضع لمفترس الشجعان .

وقيل : إنه ليس بجار على قانون البلاغة إلا أن يقال : نساؤكم حرث لنطفكم ليكون المشبه مصرحا والمشبه به مكنيا .

ولو قيل . الحرث يدل على البذر دلالة قوية تجعله فى حكم الملفوظ كما جنح إليه من جعله استعارة مكنية لكان هذا قسما من المكنية لا يذكر فيه الطرفان وهو غريب .

---

(١) كما فى الكشاف ، وعده الزمخشرى مجازا مشهورا ، الكشاف ١/٣٩٣

(٢) فيكون مجازا مرسلا حيث أطلق الحرث وأريد محله ومكانه .

(٣) فيكون من التشبيه البليغ .

(٤) قال أبو حيان : نساؤكم مبتدأ وحرث لكم خبر ، إما على حذف أداة التشبيه أى كحرث لكم ويكون نساؤكم على حذف مضاف أى وطء نساؤكم كالحرث لكم ، شبه الجماع بالحرث إذ النطفة كالبذر والرحم كالأرض والولد كالنبات ، وقيل هو على حذف مضاف أى موضع حرث وهذه الكناية فى النكاح من بديع كنايات القرآن ، قالوا : وهو مثل قوله (يأكل الطعام — وأرضا لم تطؤها) على قول من فسره بالنساء ، ويحتمل أن يكون حرث بمعنى محروثة فيكون من باب إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول ، البحر المحيط ٢/١٧٠

وقال بعض المتأخرين: إن هذا التشبيه مترتب على تشبيه آخر متروك وهو تشبيه النطف بالبذر ترتب اللازم على الملزوم ولا يبعد أن يسمى تمثيلا على سبيل الكناية، والقوم قد غفلوا عن هذا النوع من التمثيل».
حاشية الشهاب ٣٠٨/٢

وقوع المجاز فى طرفى التشبيه :

فى قوله تعالى ﴿ أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس ﴾ . قال البيضاوى . مثل به من هداه الله سبحانه وتعالى وأنقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها فى الأشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل ﴿ كمن مثله فى الظلمات ﴾ [١] مثله صفة وهو مبتدأ خبره فى الظلمات .

قال الشهاب : « مثل به من هــداه الله . . قيل : هما تمثيلان [٢] لا استعارتان كما مر فى قوله ﴿ أو كصيب من السماء ﴾ .

ورد بأن الظاهر أن (من كان ميتا ، ومن مثله فى الظلمات) من قبيل الاستعارة التمثيلية إذ لا ذكر المشبه صريحا ولا دلالة بحيث ينافى الاستعارة ، والاستعارة الأولى بجملتها مشبه والثانية مشبه به ، وهذا

---

(١) الأنعام ١٢٢ ، وانظر البحر المحيط ٢١٤/٤ .

(٢) كما فى الكشاف : قال . مثل الذى هداه الله بعد الضلالة ومنحه التوفيق عن كان ميتا فأحياه الله وجعل له نورا يمشى به فى الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض ، ومن بقى على الضلالة بالخابط فى الظلمات لا ينفك منها » الكشاف ٤٨/٢ .

كما تقول فى الاستعارة الافرادية : أيكون الأسد كالثعلب ؟ أى الشجاع كالجبان .

قلت : وهذا من بديع المعانى الذى ينبغى أن يتنبه له ويحفظ فإنهم ذكروا أن التشبيه ينافى الاستعارة بل شرطوا فيها أن لاتشم رائحته .

والمراد : أن التشبيه الواقع فى تلك الاستعارة أو فى شىء منها مناف لها .

وأما تشبيه المعنى المستعار بعد تقرر التجوز فيه بمعنى آخر حقيقى أو مجازى كما هنا فلا ينافيها كما صرح به المحققون من شراح الكشاف ، وقد أومأ إليه الشريف أيضا فى سورة البقرة فى قوله :

* كأن أذنى قلبه خطلاوان (١) *

---

(١) قال الزمخشرى : جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه أذنين وادعوا لهما الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة . وقال السيد تعقيبا على ذلك : وتحقيق ما صرح به أنهم استعاروا الحمار للبليد لا صريحا بل كناية حيث أثبتوا له بعض ما هو من لوازم الحمار وهو المشهور به ـ أعنى الأذنين ـ ثم قرن بها ما يلائم أذن الحمار وهو الاسترخاء فحق ظاهر الكلام أن يقال .كأن أذنيه خطلاوان ، إلا أنهم أقحموا لفظ القلب لأنه محل البلادة فمنه نشأ التشابه بينهما ، وأيضا لو قيل :أذنيه لربما سبق الوهم إلى الأذنين الثابتتين له حقيقة ، فظهر أن الاستعارة لفظ الحمار الذى سكت عنه وأن التخييل الذى هو من تتمتها إثبات الأذنين ، والترشيح الخطل .

وليس لك أن تجعل قلبه مشبها بالحمار واثبات الاذنين والخطل تخييلا وترشيحا كما يتوهم إذ لا حسن فيه ، ولا أن تجعل القلب عبارة عن البليد لأن إضافته إليه تبعده ، وقوله : روما تعليل للترشيح ، وقوله : فادعوا لقلبه←

فتدبره بأذن واعية » حاشية الشهاب ١٢١/٤

في قوله تعالى ﴿ يابني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ﴾[١] . قال البيضاوي : كما محن أبويكم بأن أخرجهما منها .

قال الشهاب : « يعني أن قوله ﴿ كما أخرج ﴾ وضع موضع كما فتن وضعا للسبب موضع السبب[٢] ، أي أوقعهما في المحن والبلاء بسبب الاخراج ، أولا يفتننكم فتنة مثل فتنة إخراج أبويكم »[٣] حاشية الشهاب ١٦١/٤

←أذنين من تتمة جعلوه كالحمار ، كما أن قوله : وادعوا له الخطل من تتمة ثم رشحوا ، فالكلام على طريقة اللف والنشر ، وقوله . ليمثلوا البلادة - علة لادعاء الخطل .

فان قلت : لفظة كأن أبية عن الحمل على الاستعارة ؟

قلت : هي ها هنا ليست للتشبيه كما في قولك : كأن زيدا راكب على أنها لم تدخل فيما هو استعارة تدل على جعل البليد حمارا بل فيما هو ترشيح أعني اثبات الخطل ، ونظيره من الاستعارة المرشحة أن يقال : جاورت بحراً كأنه متلاطم الأمواج ، وتحقيقه : أن اثبات الملائمات كما يكون بطريق الجزم فقد يكون بطريق الظن والتشبيه ، وقيل : حرف التشبيه في مثل هذا المقام للتحقيق المؤكد ، وفيه بعد ، حاشية السيد الشريف على الكشاف ١٩٣/١ .

(١) الأعراف ٢٧ .

(٢) فيكون في المشبه به مجازا مرسلا بعلاقة السببية .

(٣) فشبهت فتنتهم بفتنة إخراج الابوين ، وقال أبو حيان في وجه آخر غير ما هنا : أي لا يستهوينكم ويغلب عليكم وهو نهي للشيطان والمعنى نهيهم أنفسهم عن الإصغاء إليه والطواعية لأمره . البحر المحيط ٢٨٣/٤ .

التشبيه الضمنى :

فى قوله تعالى ﴿ خالدين فيها مادامت السموات والأرض ﴾[(١)] قال البيضاوى : ليس لارتباط دوامهم فى النار بدوامهما ، فإن النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما .

قال الشهاب : « يعنى أن الخلود لايتناهى ودوام السموات متناه وكلاهما بالنص الثابت ، فلو علق الأول بالثانى لزم بطلان أحد الأمرين فدفع بأمور : منها أنه تمثيل للدوام كما يقال : ماأقام ثبير ،فيشبه طول مكثه بالدوام فى مطلق الامتداد .

وقيل : إنه كناية ، وقول المصنف على سبيل التمثيل . . أراد ضرب المثل ، والمثل قد يكون حقيقة وقد يكون مجازا ، فإن ماذكره وأشباهه كناية عن الدوام ، وبه صرح النحرير فى المختصر ، وفيه نظر لأنه لاسموات ولا أرضين فى ذلك اليوم فضلا عن دوامهما فكيف يكون كناية عن القول المشهور فالظاهر : أن كلام المصنف على ظاهره .

وقال البيضاوى :وقيل المراد سموات الآخرة وأرضها ويدل عليهما قوله تعالى ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ﴾[(٢)] وأن أهل الآخرة لابد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لأنه تشبيه بما لايعرف أكثر الخلق وجوده ودوامه ، ومن عرفه فإنما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلايجدى له التشبيه .

---

(١) هود ١٠٧، ١٠٨ .   (٢) ابراهيم ٤٨ .

قال الشهاب : « قوله : وفيه نظر لأنه تشبيه بما لا يعرف... الخ

قيل : إنه يعنى أن فى الكلام تشبيها ضمنيا لدوامهم بدوامهما وإن كان بحسب الاعراب ظرفا لخالدين ، ولا بد أن يكون المشبه به أعرف ليفيد التشبيه ويحصل الغرض منه وهذا ليس كذلك .

وقوله : فإنما يعرفه الخ أى بالوحى وكلام الرسل عليهم الصلاة والسلام لا بخصوص الدليل الدال على دوام الثواب والعقاب .

وماقيل فى الجواب عنه : بأنه إذا أريد مايظلهم ومايقلهم سقط هذا ، لأنه معلوم لكل عاقل ، وأما الدوام فليس مستفادا من دليل دوام الثواب والعقاب بل مما يدل على دوام الجنة والنار سواء عرف أنهما دار الثواب والعقاب وأن أهلهما السعداء والأشقياء أولا على أنه ليس من تشبيه مايعرف بما لا يعرف بل الأمر بالعكس .

قيل عليه : إن قوله لأنه معلوم لكل عاقل غير صحيح فإنه لا يعترف به إلا المؤمنون بالآخرة(١) .

وقوله : الدوام مستفاد مما يدل على دوام الجنة والنـار لا يدفع ماذكره المصنف رحمه الله تعالى من أن المشبه به ليس أعرف من المشبه إلا عند المتـدين لأنهما يعرفهما من قبل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وليس فيه مايوجب أعرفية دوام سموات الآخرة وأرضها .

---

(١) يمكن أن يجاب عن ذلك : بأنه يقصد بكل عاقل من آمن بالله وتدبر واستخدم عقله فوصل إلى وجود الله ، وأن من لم يؤمن بالله لا يسمى عاقلا لأنه لم يستخدم عقله فيما يدله على النفع فكأنه لا عقل له .

وليس مراده أن دوامهما مستفاد من خصوص الدليل الدال على دوام الثواب والعقاب بعينه فانه لايهم ليمنع ولاعند غير المقدين فانه لايعرف ذلك ولا يعترف به .

وقوله : إنه ليس من تشبيه ما يعرف ... الخ يدفع بأن مراده : التشبيه الضمنى لا ما ذكره من تشبيه تلك الدار بهذه الدار .

وقيل عليه : مراده أن كل عاقل من المعترفين بالآخرة يعرف وجود هذا القدر لا منهم ولا من غيرهم وأن فساد ماذكره من تعريف الشيء بما لا يعرف لا مما ذكره المجيب ولزوم الأعرفية فى التشبيه الصريح دون الضمنى ، ولو سلم فهو فساد آخر غير ما ذكره المجيب ، ويعقب الشهاب على هذه الأقوال فيقول :

أقول كل هذا تعسف وخروج عن السنن ، والحق ما ذكره المجيب إذا نظرت بعين الإنصاف لأن هذا التشبيه لا بد من أن يؤخذ من المعترف بالخلود فى الآخرة ويلزمه الاعتراف بها ، والمعترف بدوامه فيها لا بد من أن يعترف أن له مقلا ومظلا ، ودوامه يستلزم دوام جنس ذلك ، ولا شك أن ثبوت الحيز أعرف من ثبوت ما تحيز فيه بديهة فليس المشبه فيه — سواء كان ضمنيا أو صريحا — أعرف من المشبه به قطعا .

أما الأول[1] : فلأنه شبه قراره فى تلك الدار بقرار حيزه هو من حيث هو حيز دوامه وقراره أقرب إلى الذهن من دوام ما فيه .

وأما الصريح[2] : فظاهر لأنه شبه مظل الآخرة ومقلها بسماء الدنيا

---

(١) يعنى كون التشبيه ضمنيا .

(٢) يعنى التشبيه الصريح .

وأرضها فأطلق اسمها ، فلا وجه للاعتراض ولا للجـواب مع التأمل الصادق ، ثم أن كون المشبه به أعرف فى كل تشبيه غير مسلم عند الناظر فى المعانى[١] .

بقى هنا وجه آخر: لو حمل عليه هذا الكان أحسن وأظهر كما فى تفسير ابن كثير[٢] وهو يراد الجنس الشامل لمـا فى الدنيا والآخرة وهو بمعنى مقل ومظل فى كل من دار الدنيا ودار الآخرة .

ثم إن قول ابن جرير[٣] : إن هذا جار على ما تعارفه العرب إذا أرادوا التأبيد أن يقولوا : ما اختلف الليل والنهار ، ومثله كثير يعرفه الخاص والعام يدفع ما أورده واحتاجوا للجواب عنه .

وفيـه وجوه أخر فى الدرر والغـرر للمرتضى[٤] » . حاشـية الشهاب ١٣٧/٥ .

فى قوله تعـالى : ﴿ سأرهقه صعودا[٥] ﴾ استشهد البيضاوى بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا .

قال الشهاب : « قوله سبعين خريفا ... أى عاما، نقل عن الزمخشرى أن الخريف آخر السنة فيه تثمر الثمار وتدرك ولهذا سمى خريفا كالإنسان إذا بلغ آخر عمره فإنه قد يخرف .

(١) بل يكفى أن يكون أشهر كما ذكره فى أكثر من موضع ، وسبق منا بيان ذلك .

(٢) تفسير ابن كثير ٤٦٠/٢ . (٣) انظر تفسير الطبرى ٧٠/١٢ .

(٤) انظر غرر الفوائد ودرر القلائد ٨٧/٢ — ٩٤ .

(٥) المدثر ١٧

يعنى أنه سمى به آخر السنة تشبيها له بآخر العمر الذى من شأنه أن يقع فيه الخرف ، وفيه تشبيه ضمنى للحواس الظاهرة والباطنة بثمار الرياض المنتفع بها .

ومن لم يفهم المراد منه اعترض عليه بعدم المناسبة بين الخرف — وهو فساد العقل — واختراف الثمار بمعنى اقتطافها ، وهذا بناء على أن زمن الشتاء ابتداء السنة ، وأهل النجوم يعتبرونه من الربيع[1] » .

التشبيه التهكمى :

فى قوله تعالى ﴿ والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء[2] ﴾ قال البيضاوى بشىء من الطلبات ﴿ إلا كباسط كفيه ﴾ إلا استجابة كاستجابة من بسط كفيه ﴿ إلى الماء ليبلغ فاه ﴾ يطلب منه أن يبلغه ﴿ وما هو ببالغه ﴾ لأنه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر عليه .

وقيل : شبهوا فى قلة جدوى دعائهم بمن أراد أن يغترف الماء ليشرب به فيبسط كفيه ليشرب به .

قال الشهاب : « يعنى الغرض نفى الاستجابة على القطع بتصوير أنهم أحوج ما يكونون إليها لتحصيل مباغيهم أخيب ما يكون أحد فى سعيه لما هو مضطر إليه فضلا عن مجرد الحاجة .

والحاصل : أنه شبه آلهتهم حين استكفائهم إياهم ما أهمهم بلسان

(١) حاشية الشهاب ٢٧٤/٨ .

(٢) الرعد ١٤ ؛ وهى من تشبيه العقلى بالحسى ، وقال الرمانى : هذا بيان قد أخرج ما لم تجر به العادة إلى ما قد جرت ، أنظر ثلاث رسائل فى الاعجاز ٧٧ ، والصناعتين ٢٤٦ .

الاضرار فى عدم الشعور فضلا عن الاستطاعة للاستجابة وبقائهم لذلك الخسران بحال ماء بمرأى من عطشان باسط كفيه إليه يناديه عبارة وإشارة فهو لذلك فى زيادة ظمأ وشدة خسران[١] .

والتشبيه على هذا من المركب التمثيلى فى الأصل أبرز فى معرض التهكم ، حيث أثبت الماء استجابة زيادة فى التخسير والتحسير ، فالاستثناء مفرغ من أعم تمام المصدر أى لا يستجيبون شيئا من الاستجابة . وأما إذا شبه الداعون بمن أراد أن يغرف الماء بيديه فبسطهما ناشرا أصابعه فى أنهما لا يحصلان على طائل — وقوله فى قلة جدوى دعائهم أراد عدم الجدوى لكنه بالغ بذكر القلة وإرادة العدم دلالة على تحقيق الحق وإيثار الصدق لإشمام طرف من التهكم — فهو من تشبيه المفرد المقيد كقولك لمن لا يحصل على شيء من سعيه : كالراقم على الماء فان المشبه هو الساعى مقيدا بكون سعيه كذلك والمشبه به هو الراقم مقيدا بكونه على الماء .

وكذلك فيما نحن فيه ، وليس من المركب العقلى فى شيء على ما توهم ،

---

(١) هذا كتفسير مجاهد ، وقال ابن ناقيا : وقد تضمنت الآية البيان عما يوجبه دعاء الحق للخالق من الاجابة على شرائط الحكمة بما يكون فوق الأمنية وخيبة الداعى بغيره كخيبة من دعا الماء من قعر البئر ، الجمان ص١٤٢

وأورد أبو حيان آراء أخرى غير المذكور هنا منها : قال ابن عباس كالناظر إلى خياله فى الماء يريد تناوله فكذا المحتاج يخيل إليه فى الاحتياج إليه خيال الاحتياج إليه ، وقال أبو عبيدة أى كالقابض على الماء ليس على شيء . البحر المحيط ٣٧٦/٥ .

نعم وجه الشبه عقلى اعتبارى والاستثناء مفرغ بسط كفيه ولم يقبضها وأخرجها كذلك فلم يحصل على شىء لأن الماء يحصل بالقبض لا بالبسط[١] » حاشية الشهاب ٥/٢٢٩ .

فى قوله تعالى : ﴿ وظل من يحموم[٢] ﴾ قال البيضاوى : من دخان أسود ، يفعول من الحمه .

قال الشهاب : « الحمة بضم الحاء وبعدها ميمين مفتوحتين تليهما تاء تأنيث هى القطعة من الفحم ، وتسمية الدخان ظلا على التشبيه التهكمى »[٣] .

الفرق بين التهكم والتنويع :

فى قوله تعالى ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾[٤] قال البيضاوى : هذا على التهكم أو على طريقة قوله :

* تحية بينهم ضرب وجيع *

يوضح الشهاب الفرق بين الوجهين فيقول : أى هو من استعمال ما وضع للخبر السار فى الخبر المورث للألم والحزن إن لم نقل بأنه[٥] موضوع لمطلق الخبر كما مر .

وهو على الوجه الأول فى كلام استعير فيه أحد الضدين — وهو التبشير — للآخر — وهو الوعيد والإنذار — والعذاب الأليم قرينة لها .

(١) الوجهان مذكوران فى الكشاف لكنه وضحهما ، الكشاف ٢/٣٥٤
(٢) الواقعة ٤٣ . (٣) حاشية الشهاب ٨/١٤٤
(٤) آل عمران ٢١ . (٥) يعنى التبشير .

وعلى الثـانى[١] — وفيه تـكب المبرات — هو نوع من خلاف مقتضى الظاهر يقال له التنويع ، وهو ادعاء أن المسمى نوعين متعارفا وغير متعارف على طريق التخييل ويجرى فى مواطن شتى .

(أ) منها التشبيه كقوله :

نحن قوم ملجن فى زى ناس فوق طير لها شخوص الجمال[٢]

(ب) ومنهاأن ينزل ما يقع فى موقع شىء بدلا عنه منزلته بلا تشبيه ولا استعارة كما فى الاستثناء المنقطع وما يضاهيه سواء كان بطريق الحمل كما فى قوله :

* تحيـة بينهم ضرب وجيـع *

أو بدونه كما فى قوله : * فأعتبوا بالصيلم *

وحيث أطلق التنويع فالمراد به هذا ، وقد جعلوا مثاله أساساً وقاعدة له وليس هذا من المجاز[٣] لذكر طرفيه مراداً بهما حقيقتهما ولا تشبيهاً لأن التشبيه يعكس معناه ويفسده .

ومنه يعلم أنه لا يصح فيه الاستعارة أيضا لابتنائها على التشبيه .

وقد صرح به الشيخ فى دلائل الاعجاز[٤] فقال : « اعلم أنه لا يجوز أن يكون سبيل قوله :

* لعاب الأفاعى القاتلات لعابه *

(١) يعنى كونه على طريقة تحية بينهم ضرب .

(٢) قائله المتنبى ، وفى الإيضاح أن هذا من الاستعارة ، أنظر بغية الإيضاح ١١٦/٣ .

(٣) يعنى النوع الثانى (٤) دلائل الاعجاز ٢٤٠ .

سبيل قولهم : عتابه السيف ، وذلك لأن المعنى فى بيت إبى تمام[١] أنك تشبه شيئاً بشىء لجامع بينهما فى وصف وليس المعنى فى عتابه السيف على أنك تشبه عتابه بالسيف وذلك أن تزعم أنه يجعل السيف بدلا من العتاب .

ألا ترى أنه يصح أن تقول : مداد قلمه قاتل كسم الأفاعى ولا يصح أن تقول عتابه كالسيف إلا أن يخرج إلى باب آخر ليس غرضهم بهذا الكلام فتريد : أنه قد عاتب عتابا خشنا مؤلما .

ثم إنك إذا قلت : السيف عتابه خرجت به إلى معنى حادث وهو أن تزعم أن عتابه قد بلغ فى إيلامه وشدة تأثيره مبلغا صار له السيف كأنه ليس بسيف » وقد بسطناه فى محل آخر .

وليس الشيخ أول من تعرض له فانه مصرح به فى باب الاستثناء فى كتاب سيبويه[٢] وغيره ، وقد نبه عليه السكاكى[٣] فى قسم الاستدلال .

وفصله العلامة الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾[٤] كما سيأتى ، وإنما حققناه

(١) البيت من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات .
(٢) كتاب سيبويه ٣٦٥ (٣) مفتاح العلوم ١٧٦، ٢٤١ .
(٤) الشعراء ٨٨ ، ٨٩ هذا ، وقال الزمخشرى : « هو من قولهم : تحية بينهم ضرب وجيع ، وما ثوابه إلا السيف ، وبيانه، أن يقال لك هل لزيد مال وبنون ؟ فتقول . ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفى المال والبنين عنه وإثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك وإن شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت←

هنا لأن كثيرا من المصنفين لما لم يعرفوه اضطرب فيه كلامهم ، فتارة تراهم يجعلونه تشبيها ، وتارة استعارة حتى أن بعض أرباب الحواشى اعترض هنا على المصنف رحمه الله فى عطفه بأو وقال : إن الراغب جعلهما[1] شيئا واحـــدا والمصنف غير كلامه فأخطأ فيه فـكان كما قيل :

إذا محاسنى اللاتى أدل بها كانت ذنوبى فقل كيف أعتذر

وممن لم يقف من قال : الفرق بين الوجهين فى كلام المصنف أن الثانى لاتهكم فيه ، وخبط بعضهم خبط عشواء فلا فائدة فى ذكر كلامه حاشية الشهاب ٢/٦٠

← المال والبنين فى معنى الغنى كأنه قيل: يوم لا ينفع غنى إلا غنى من أتى الله بقلب سليم لأن غنى الرجل فى دينه بسلامة قلبه كما أن غناه فى دنياه بماله وبنيه .

ولك أن تجعل الاستثناء منقطعا ولابد لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وليست هى من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى إلى أن المال والبنين لا ينفعان وإنما ينفع سلامة القلب ، ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى ، وقد جعل من مفعولا لينفع أى لا ينفع مال ولا بنون إلا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث أنفقه فى طاعة الله ومع بنيه حيث أرشدهم إلى الدين وعلمهم الشرائع ، ويجوز على هذا إلا من أتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين ، ومعنى سلامة القلب سلامته من آفات الكفر والمعاصى ، ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم السليم اللديغ من خشية الله . الكشاف ٣/١١٨ .

(١) يعنى جعل التهكم والتنويع شيئا واحدا ، انظر مفردات غريب القرآن ص٤٨ .

البيان للمشبه به لا ينافى الاستعارة فى كل موضع :

فى قوله تعالى ﴿ حتى يتبين لـكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾[١] قال البيضاوى شبه أول مايبدو من الفجر المعترض فى الأفق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين أبيض وأسود ، وا كتفى ببيان الخيط الأبيض بقوله ﴿ من الفجر ﴾ عن بيـان الخيط الأسود لدلالته عليه ولذا خرجا عن الاستعارة إلى التمثيل ، ويجوز أن تـكون من للتبعيض .

يوضح الشهاب ذلك بقوله : «فى الـكشاف[٢] أن قوله ﴿من الفجر﴾ أخرجه من باب الاستعارة كما أن قولك : رأيت أسدا مجاز ، فاذا زدت من فلان رجع تشبيها .

وأورد عليه بعض فضلاء العصر — تبعا لابن القارى وغيره — اعتراضا فقال : لو كان الفجر بيانا للمراد من الخيط الأبيض لـكان مستعملا فى غير ماوضع له وهو ينحصر فى المجاز والـكناية وليس كناية ولا مجازا مرسلا لأن المراد به التشبيه فتعين أن يـكون استعارة إلا أن يـكون بيانا لمقدر ، أى حتى يتبين لـكم شبه الخيط الأبيض لـكن نظم الآية لا يحتاج إلى تقدير وارتكاب حذف لاسيما والمجاز أبلغ ؟ وأطال فيه وادعى أنه تحقيق دقيق . وهذا غفلة منهم عن كونه بيانا غير حقيقى على سبيل التجريد كما مر ، نعم البيان للفظ إذا كان بغير معناه الحقيقى

---

(١) البقرة ١٨٧ .

(٢) الـكشاف ١/٣٣٩ ، وانظر أسرار البلاغة ص ٢٦٠ .

ولم يقصد به التجريد لزم أن يكون استعارة ولذا قال العلامة فى سورة النحل فى قوله ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره ﴾ [١] الروح استعارة للوحى الذى هو سبب الهداية الأبدية و ﴿ من أمره ﴾ بيان له .

وفى بعض شروحه : شبه الروح بالوحى لإحيائه ميت الجهل ثم أقيم المشبه به مقامه فصار استعارة تحقيقية مصرحة ، والقرينة الصارفة عن إرادة الحقيقة إبدال ﴿ أن أنذروا ﴾ من الروح .

وقيل ﴿ من أمره ﴾ يخرج الاستعارة إلى التشبيه كما فى هذه الآية :

قلت : بينهما بون بعيد لأن نفس الفجر عين المشبه الذى شبه بالخيطين وليس مطلق الأمر ههنا شبيها بالروح حتى يكون بيانا له لأنه أمر عام بمعنى الشأن والحال ولهذا يصح أن يفسر الروح الحيوانى به كقوله تعالى ﴿قل الروح من أمر ربى﴾ [٢] أى من شأنه ومما استأثر بعلمه ، وأن يفسر الروح المراد منه الوحى أى من شأنه ومما أنزله على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام .

نعم هو مجاز أيضا لأن الأمر العام إذا أطلق على فرد من أفراده كان مجازاً . اهـ .

وإلى هذا أشار فى الكشف بقوله : ليس وزان (من أمره) وزان ﴿ من الفجر ﴾ فمن ظن أن البيان مطلقا ينافى الاستعارة كما توهمه عبارة المطول [٣] فقد وهم .

(١) النحل ٢ (٢) الإسراء ٨٥ .

(٣) قال فى المطول : جعلوا الخيط الأسود تشبيها لأن بيان الخيط الأبيض بالفجر قرينة على أن الخيط الأسود أيضا مبين بسواد آخر الليل ، المطول ص ٣٦٠

وأما قول المرزوقي في شرح الفصيح : الخيط واحد الخيوط استعمل فيما هو كالسطر الممتد مجازا تشبيها بامتداد الخيط في قوله تعالى ﴿ الخيط الأبيض ﴾ فمن تسامح أهل اللغة في استعمال المجاز في أمثاله (١)

وفي قوله : واكتفى ببيان الخيط الأبيض ... إلخ يريد أن بيانه — وهو — الغبش كأنه ذكر معه فيخرج إلى التشبيه كالخيط الأبيض وهذا مختار السكاكي (٢) ومنهم من جعل الخيط الأسود استعارة لأنه لم يبين .

لا يقال : ففي كل استعارة دلالة على حذف المشبه ؟

لأنا نقول : لا بل فيها دلالة على أن المراد هو المشبه ، وفرق بين هذا وبين الدلالة على أن في الكلام محذوفا ومقدرا هو اسم المشبه سواء كان جزءا من الكلام يتوقف صحة التركيب عليه أو لا .

وقوله : وبذلك خرجا ... إلخ لأنه من باب التجريد وهو من التشبيه البليغ كما مر (٣)

وعلى أن (من) للتبعيض يقول :

ثم إنهم سكتوا في وجه التبعيض عن الحقيقة والمجاز ، والظاهر

---

(١) يعني أنهم كثيرا ما يطلقون المجاز على التشبيه .

(٢) عبارة السكاكي : فالخيط الأبيض والخيط الأسود يعدان من باب التشبيه حيث بينا بقوله (من الفجر) ولولا ذلك لكانا من باب الاستعارة ، مفتاح العلوم ص ١٦٨ .

(٣) وذلك بناء على رأي السكاكي دون الجمهور ، انظر مفتاح العلوم ص ١٦٨

من كلام الكشاف (١) أنه حقيقة وفيه تأمل (٢) .

مجيء التشبيه مرادا به غير ظاهره :

في قوله تعالى ﴿ ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار ﴾ (٣)

قال البيضاوي : يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا أو في القبور لهول ما يرون ، والجملة التشبيهية في موقع الحال أي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث

قال الشهاب « التشبيه ليس مرادا به ظاهره فإن التشبيه كثيراً ما يذكر ويراد به معان أخر تترتب عليه كما صرح به في شرح المفتاح .

فالمراد : إما التأسف على عدم انتفاعهم بأعمارهم أو تمنى أن يطول مكثهم قبل ذلك حتى لا يشاهدوا الأهوال .

ومن غفل عن ذلك قال : إن الظاهر أنها للظن فإن تشبيههم بعدم لبثهم إلا ساعة كلام خال عن الفائدة وهو من آفة الفهم فتدبر ».حاشية الشهاب ٥/٣٣)

الآيات التي تحتمل كونها تشبيها أو مجازا :

في قوله تعالى ﴿ وما يضلون إلا أنفسهم ﴾ (٤) قال البيضاوي : وما يتخطاهم إلا ضلال ولا يعود وباله إلا عليهم .

---

(١) قال الزمخشري : ويجوز أن تكون (من) للتبعيض لأنه بعض الفجر وأوله ، والتأمل الذي يقصده الشهاب يتمثل في أنه يمكن عده مجازا مرسلا حينئذ باطلاق الكل على الجزء ، لأنه قال (من الفجر) وأراد بعض الفجر أو أول الفجر ، انظر الكشاف ١/٣٣٩ .

(٢) حاشية الشهاب ٢/٢٨١ .

(٣) يونس ٤٥ . (٤) آل عمران ٦٩

قال الشهاب : « قوله : ومايتخطام ... إلخ الاضلال الإيقاع فى الضلال وهم ضالون فيؤدى إلى جعل الضال ضالا فلذلك أول الاضلال بما يعود من وباله ، أى فهو مجاز مرسل أو استعارة .

أو المراد بأنفسهم أمثالهم المجانسون لهم كما فى قوله تعالى ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ (١) قيل : وهو من الإخبار بالغيب الذى هو أحد وجوه الإعجاز فهو استعارة أو تشبيه بتقدير أمثال أنفسهم (٢) إذا لم يتهود مسلم قط (٣)

فى قوله تعالى ﴿ هذا بصائر من ربكم ﴾ (٤) قال البيضاوى : هذا القرآن بصائر للقلوب بها يبصر الحق ويدرك الصواب .

قال الشهاب : « قوله : هذا القرآن بصائر للقلوب ... على طريق التشبيه البليغ ، أو سبب البصائر فهو مجاز مرسل ، أو هو استعارة لإرشاده » (٥) حاشية الشهاب ٤/٢٤٨ .

فى قوله تعالى ﴿ فجعلناها حصيدا ﴾ (٦) قال البيضاوى : شبهها بما حصد من أصله .

قال الشهاب « الظاهر أنه تشبيه لذكر الطرفين لأن المحذوف فى قوة المذكور ، شبه الزرع الهالك بما قطع وحصد من أصله والجامع بينهما الذهاب من محله فيهما .

---

(١) التوبة ١٢٨ . (٢) هذا أحد وجهين فى الكشاف ، قال : وما يقدرون على إضلال المسلمين وإنما يضلون أمثالهم وأشياعهم ، الكشاف ١/٤٣٦ . (٣) حاشية الشهاب ٣/٣٦ (٤) الاعراف ٢٠٣ .
(٥) الوجه الاخير مأخوذ من الكشاف ٢/١٢٩ . (٦) يونس ٢٤ .

ويصح أن يكون استعارة مصرحة وأصله : جعلنا زرعها هالكا فشبه الهالك بالحصيد وأقيم اسم المشبه به مقامه ولاينافيه [١] تقدير المضاف كما توهم ، لأنه لم يشبه الزرع بالحصيد بل الهالك بالحصيد.

وهذا أقرب مما ذهب إليه السكاكى [٢] من أن فيه استعارة بالكناية إذ شبهت الأرض المزخرفة والمزينة بالنبات الناضر المونق الذى ورد عليه مايذبله ويفنيه وأثبت له الحصد تخييلا ، ولايخفى بعده فإن أردت تحقيقه فانظر شروح المفتاح » حاشية الشهاب ٥/٢٠ .

فى قوله تعالى ﴿ يسقى من ماء صديد ﴾ [٣] قال البيضاوى : صديد عطف بيان لماء ، وهو مايسيل من جلود أهل النار .

قال الشهاب « كونه عطف بيان إن جوز ذلك فى النكرات [٤] ، ومن يأباه يقول : هو نعت له [٥] لأنه فى الأصل صادر عن شربه ، أو بدل منه إن كان جامدا ، ثم إطلاق الماء عليه إما حقيقة إن كان على التشبيه [٦] ، أو مجاز لأنه بدله » [٧]

---

(١) يعنى لا ينافى كونه استعارة .

(٢) انظر مفتاح العلوم ص ١٨٤ ، وفى الكشاف : جعلنازرعها حصيدا شبيها بما يحصد من الزرع فى قطعه واستئصاله . الكشاف ٢/٢٣٣ .

(٣) ابراهيم ١٦ (٤) انظر الكشاف ٢/٣٧١ .

(٥) قال أبو حيان : وقيل هو نعت على اسقاط أداة التشبيه كما تقول : مررت برجل أسد ، التقدير مثل صديد ، البحر المحيط ٥/٤١٣ .

(٦) أى تشبيه الماء بالصديد .

(٧) بأن يستعار الصديد للماء ، حاشية الشهاب ٥/٢٥٩ .

فى قوله تعالى ﴿ سرابيلهم من قطران ﴾ (١) قال البيضاوى : هو أسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود أهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقميص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ويحتمل أن يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر الملكات الرديئة فيجلب إليها أنواعاً من الغموم .

قال الشهاب « قوله كالقميص ... إشارة إلى أن سرابيلهم من التشبيه البليغ ، وقيل إنه استعارة هنا ، وفيه نظر » (٢)

قوله : ويحتمل أن يكون تمثيلا ... إلخ فشبه النفس المتنوعة بالملكات الرديئة — كالكفر والجهل والعناد والغباوة - بشخص لبس ثيابا من زفت وقطران ، ووجه الشبه : تحلى كل منهما بأمر قبيح مؤذ لصاحبه يستنكره عند مشاهدته ويستعار لفظ أحدهما للآخر استعارة تمثيلية مركبة » (٣) حاشية الشهاب ٥/٢٧٩ .

فى قوله تعالى ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ (٤) قال البيضاوى : أى ماهو فى تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافى .

---

(١) إبراهيم ٥٠ .

(٢) النظر يتمثل فى أن السرابيل فى الآية وقع مشبها والقطران مشبه به وهذا تشبيه عند الجمهور لذكر الطرفين .

(٣) والظاهر من عبارة الزمخشرى أنه تشبيه لقوله : هو أسود لـ[illegible]ن منتن الريح فتطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهى القمص ، الكشاف ٢/٣٨٥

(٤) الإسراء ٨٢

قال الشهاب « الشفاء استعارة تصريحية أو تخييلية بتشبيه الكفر بالمرض ، وقيل : إنه تشبيه لذكر الطرفين وفيه نظر ظاهر »[١] حاشية الشهاب ٦/٥٦ .

فى قوله تعالى ﴿ إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها ﴾ [٢]

قال البيضاوى : فسطاطها ، شبه به ما يحيط بهم من النار ، وقيل السرادق الحجزة التى تكون حول الفسطاط ، وقيل : سرادقها دخانها ، وقيل : حائط من نار .

قال الشهاب : « الفسطاط الخيمة ، وقوله : شبه به مايحيط بهم من النار ... يحتمل أنه تشبيه للنار بالسرادق فى الإحاطة ويكون مما ذكر فيه الطرفان ووجه الشبه .

ويحتمل أن يكون استعارة مصرحة لتشبيه لهب النار المنتشر منها فى الجهات بالسرادق ويكون قوله ﴿ أحاط ﴾ ترشيحا .

ويحتمل المكنية والتخييلية [٣] ، والحجزة مايحجز ويمنع من الوصول إليه من خندق ونحوه ، وإطلاقه على الدخان ومابعده الظاهر أنه مجاز على التشبيه [٤] وإن كان كلام القاموس يوهم خلافه » .

---

(١) النظر هو أن المشبه ليس نفس القرآن وإنما ما اشتمل عليه من أمور تصلح بها أحوال المسلمين ، ومن هنا لا يكون المشبه مذكورا .

(٢) الكهف ٢٩ .

(٣) بأن تشبه النار بخيمة لها سرادق ثم حذف المشبه به ورمز إليه بلازمه ، هذا وفى الكشاف : شبه مايحيط بهم من النار بالسرادق ، وقيل دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار ، وقيل : حائط من نار يطيف بهم ، الكشاف ٢/٤٨٢ .

(٤) فيكون استعارة .

في قوله تعالى ﴿فالذين كفروا قطعت لهم﴾ (١) قال البيضاوي: قدرت لهم على مقادير جثثهم ﴿ثياب من نار﴾ نيران تحيط بهم إحاطة الثياب.

قال الشهاب: « قوله: قدرت لهم على مقادير جثثهم... بالإفراد وهي البدن أو جمع جثة بقا.ين مثلثتين وهو أظهر، وهذا بيان لحقيقته لأن الثياب الجدد تقطع وتفصل على مقدار بدن من يلبسها واللباس محيط به، والتقطيع مجاز بذكر المسبب وهو التقطع وإرادة السبب وهو التقدير والتخمين.

والظاهر أنه بعد ذلك جعل تقطيعها استعارة تمثيلية تهكمية، شبه إعداد النار المحيطة بهم بتفصيل ثياب لهم كما قيل:

قوم إذا نسلوا الثياب رأيتهم   لبسوا البيوت وزرروا الأبوابا (٢)

قوله: نيران تحيط بهم إحاطة الثياب... ظاهره أنه تشبيه بليغ بجعل النيران كالثياب في الإحاطة والتشبيه على طريق التجريد (٣) لكنه ينبغي أن يحمل على الاستعارة كما مر.

وجمع الثياب لأن النار لتراكمها عليهم كالثياب الملبوس بعضها فوق بعض وهذا أبلغ من جعله من مقابلة الجمع بالجمع فيكون لكل نار وإن احتملهما كلامه » (٤).

---

(١) الحج ١٩ (٢) فقد شبه الثياب بالبيت وفتحته التي تدخل منها الرأس بالأبواب

(٣) وفي الكشاف: كأن الله تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة، الكشاف ٣/٩. هذا، وانظر البحر المحيط ٦/٣٦٠ (٤) حاشية الشهاب ٦/٢٨٩.

فى قوله تعالى ﴿فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء﴾ (١) قال البيضاوى : شبههم فى دمارهم بغثاء السيل وهو حميله ، كقول العرب : سال به الوادى لمن هلك .

قال الشهاب : « قوله شبههم فى دمارهم بغثاء السيل ... السيل معروف وغثاؤه حميله أى مايحمله من الورق والعيدان البالية ، وغثاء القدر زبده ويستعار لما يذهب غير معتد به وإليه أشار المصنف .

ويجوز أن يكون تشبيها بليغا ، وسال به الوادى إذا هلك . استعارة تمثيلية كطارت به العنقاء » حاشية الشهاب ٦/٣٣٢ .

فى قوله تعالى ﴿ وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ (٢) قال البيضاوى : لأنه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء القالة والطعن فى النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة .

قال الشهاب . « قوله عبر عن التنزيه بالتحريم ... على أنه بالمعنى اللغوى وهو المنع مطلقا ولو تنزيها ، أو المراد معناه المعروف على التشبيه البليغ أو الاستعارة ، وهو جواب عن أنه غير حرام ولو ممن زنى (٣) حاشية الشهاب ٦/٣٥٦ .

فى قوله تعالى ﴿ويستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ (٤)

قال البيضاوى : « ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب ، أو هى كالمحيطة بهم الآن لإحاطة الكفر والمعاصى التى توجبها بهم .

---

(١) المؤمنون ٤١ (٢) النور ٣
(٣) أنظر تفسير البحر المحيط ٦/٤٢٩ (٤) العنكبوت ٥٤

قال الشهاب « قوله : ستحيط بهم على إرادة المستقبل[١] من اسم الفاعل ، وقوله : أو هى ... إلخ على أنه تشبيه بليغ أو استعارة[٢] ، أو مجاز مرسل[٣] أو تجوز فى الاسناد[٤] .

وقيل . الزمان بالنسبة إلينا وأما بالنسبة اليه تعالى فهو على حد سواء فلا تجوز فيه »[٥]

فى قوله تعالى ﴿ الذى جعل لكم الأرض مهدا ﴾[٦] قال البيضاوى فتستقرون فيها .

قال الشهاب : « هذا إما بيان للمعنى المراد منه لأنه ورد فى محل آخر ﴿ قرارا ﴾[٧] ويحتمل أنه مجاز مرسل[٨] أو تشبيه بليغ » حاشية الشهاب ٧/٤٣٤ .

فى قوله تعالى ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾[٩] قال البيضاوى : ترك متابعة الهدى فكأنه يعبده ، وقرىء آلهة هواه لأنه كان أحدهم يستحسن حجراً فيعبده فإذا رأى أحسن منه رفضه اليه .

---

(١) وذلك كما فى الكشاف ٣/٢١٠
(٢) استعيرت الاحاطة لما يغشاهم من الأعمال السيئة .
(٣) أطلق المسبب وهو إحاطه النار وأراد سببه وهو الأعمال السيئة .
(٤) فيكون مجازا عقليا . (٥) حاشية الشهاب ٧/٧٠١ .
(٦) الزخرف ١٠ .
(٧) فى قوله تعالى « أم من جعل الأرض قراراً » النمل ٦١
(٨) وذلك بإطلاق السبب وهو المهد وارادة المسبب وهو الاستقرار .
(٩) الجاثية ٢٣

قال الشهاب : « قوله فكأنه يعبده ... إلخ إشارة الى أن جعله إلها تشبيه بليغ أو استعارة [١]

وقوله : وقرىء آلهة ... أى بصيغة الجمع ، فالآلهة بمعناها الظاهر بغير تجوز أو تشبيه » حاشية الشهاب ٨/٢١ .

فى قوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾[٢] قال البيضاوى: من حيث إنهم منتسبون إلى أصل واحد وهو الإيمان الموجب للحياة الأبدية .

قال الشهاب ﴿ قوله من حيث إنهم ... تعليل لتسمية المشاركة فى الإيمان أخوة على أنه تشبيه بليغ أو استعارة ، شبه المشاركة فيه بالمشاركة فى أصل التوالد لأن كلا منهما أصل للبقاء إذ التوالد منشأ الحياة والإيمان منشأ البقاء الأبدى فى الجنان وفى كل منهما قوة من وجه ، فلا يتوهم أنه تشبيه مقلوب ، فقوله : إلى أصل واحد ... استعارة لجعله كالأصل إلا أن يكون واحد الأصول الدينية وهو بعيد » حاشية الشهاب ٨/٧٨

فى قوله تعالى ﴿ وهو الذى جعل لكم الأرض ذلولا ﴾ [٣] قال البيضاوى : لينة ليسهل لكم السلوك ﴿ فامشوا فى مناكبها ﴾ فى جوانبها أو جبالها وهو مثل لفرط التذليل ، فان منكب البعير ينبو عن أن يطأه الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل الأرض فى الذل بحيث يمشى فى مناكبها لم يبق شىء لم يتذلل .

---

(١) وفى الكشاف : أى هو مطواع لهوى النفس يتبع ماتدعوه إليه فكأنه يعبده كما يعبد الرجل إلهه ٣/١٢ه

(٢) الحجرات ١٠ (٣) الملك ١٥

قال الشهاب : « قوله لينة ... المراد باللين هنا ليس ضد الخشونة بل ضد الصعوبة ، من قولهم للدابة لينة الشكيمة إذا كانت منقادة غير صعبة من الذل – بالكسر – وهو سهولة الانقياد كما ذكره الجوهري[١] فهو استعارة كما صرح به الزمخشري[٢] وسيأتي بيانه .

وقيل : إنه تشبيه بليغ لذكر المشبه وهو الأرض وفيه نظر[٣] .

قوله : في جوانبها أو جبالها .. فالمناكب استعارة تصريحية تحقيقية وهي قرينة المكنية في الأرض حيث شبهت بالبعير ففيه استعارة تحقيقية ومكنية .

فإن قلت : كيف تكون مكنية وقد ذكر طرفها الآخر في قوله ذلولا ؟ .

قلت : هو بتقدير أرضا ذلولا ، فالمذكور جنس الأرض المطلق والمشبه هو الفرد الخارجي وهو غير مذكور فيجوز كون ذلولا استعارة والمكنية حينئذ هي مدلول الضمير لا المصرح بها في النظم والمانع من الاستعارة ذكر المشبه بعينه لا بما يصدق عليه كما مر في سورة يوسف[٤] فتذكره وقد غفل عنه بعضهم هنا .

قوله : وهو مثل .. الخ . هكذا هو في الكشاف وقد بين هو مراده

---

(١) الصحاح ١٧٠١/٤ (٢) الكشاف ١٣٨/٤

(٣) النظر يتمثل في أن ذلولا ليس هو المشبه به وإنما هو من لوازمه لأن المراد تشبيه الأرض ببعير مذلل ، ومن جعله تشبيها جعل الأرض مشبها وذلولا مشبها به .

(٤) وذلك في قوله تعالى « وكذلك يجتبيك ربك »

في شرح مقاماته(١) فقال : المشي في مناكبها مثل لفرط التذليل، ورشح معنى الذل بوطء المناكب والتقلب فيها كما ذكرناه في الكشاف ا. هـ .

فالمعنى : أنه ليس هنا أمر بالمشي حقيقة وإنما القصد به إلى جعله مثلا لفرط التذلل سواء كانت المناكب مفسرة بالجوانب أو الجبال وسواء كان ماقبله استعارة أوتشبيها .

ومن لم يقف على المراد منه قال : الواو(٢) بمعنى أو فإنه إذا جعل مثلا لم تكن المناكب مستعارة للجوانب والجبال بل تشبيه الأرض بالبعير على نهج الكناية ويثبت لها المناكب تخييلا .

وزاد فيه من قال : المراد تذلل الأرض لا تذلل البعير كما توهم فاعترض عليه بما مر حتى احتيج إلى القول بأن الواو بمعنى أو .

والمراد هو مثل إن لم تحمل المناكب على الجوانب ، والتمثيل أيضا مناف لجعل الأرض والمناكب استعارة مكنية وتخييلية فالجمع بينهما خطأ وهو كله من ضيق العطن وقلة الفطن فتدبر .

ولو قال المصنف : لفرط التذلل كان أحسن ليظهر التفريع بالفاء ، ثم إن المراد به مطلق التسهيل لهم بقطع النظر عن كونه تذليل البعير أو الأرض كما توهم » حاشية الشهاب ٨/٢٢٢

في قوله تعالى ﴿ وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل

---

(١) يعنى مقامات الزمخشري .

(٢) يعنى الواو في قول البيضاوي أو جبالها .

فى فلك ﴾ قال البيضاوى : أى كل واحد منهما (يسبحون[١]) يسرعون على سطح الفلك إسراع السابح على سطح الماء .

قال الشهاب : « قوله يسرعون ... الخ قيل[٢] عليه : حق التشبيه أن يكون المشبه به أقوى فى وجه الشبه وهذا ليس كذلك فلا يليق فى أبلغ الكلام ؟.

ورد : بأنه ليس كذلك فان سرعة الكواكب بحركتها الخاصة غير مشاهدة حتى أنكرها بعضهم بخلاف حركة السابح ، يعنى أنه لابد فيه من كونه أقوى وأعرف وأشهر وهذا من الثانى[٣] لامن الأول .

وقد قيل : إنه استعارة تمثيلية » حاشية الشهاب ٦ / ٢٥٤

تفرع التشبيه على الاستعارة :

فى قوله تعالى ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة[٤] ﴾ قال البيضاوى القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما فى الحجر ، وقساوة القلب مثل فى نبوه عن الاعتبار .

قال الشهاب : « أى القسوة معناها الحقيقى اليبس والكثافة ثم تجوز بها عن عدم قبول الحق والاعتبار ، فالاستعارة فى (قست) تبعية تصريحية وإن شئت قلت تمثيلية كما مر[٥]

---

(١) الأنبياء ٣٣ (٢) يعنى اعترض على كونه تشبيها .
(٣) يعنى مما وجه الشبه فيه أشهر وأعرف .
(٤) البقرة ٧٤ .
(٥) يعنى فى قوله تعالى « ينقضون عهد الله »

ويورد رأيا ويناقشه بقوله :

وقيل : شبهت حال القلوب فى عدم الاعتبار والاتعاظ بالقسوة ولاعتبار هذه الاستعارة حسن التفريع بقوله ﴿ فهى كالحجارة ﴾ بخلاف ما إذا جعل القلوب استعارة مكنية والقسوة قرينة فإنه لا يحسن بل لا يستقيم قولك : ينقضون عهد الله فهو كالحبل وأوثق وذلك لأن استعارة الحبل أصل والنقض تبع على ما هو الواجب فى الاستعارة بالكناية وفيما نحن فيه الأمر بالعكس كما فى : تقرى الرياح الرياض، وبالجملة فالاستعارة وقعت فى الحال والتعقيب صريح التشبيه فى الذات فلا وجه لما يقال : إن ظاهر الكلام كون التشبيه فرع الاستعارة والأمر بالعكس .

فالتشبيه مترتب على عرفان حالها وأنه على التشبيه المؤدى إلى الاستعارة ا . هـ

أقول : فيه بحث : فانه إنما يتوجه ما ذكره إذا شبهت القلوب بالحجارة كما فى المثل به فإن العهد شاع استعارة الحبل له كما مر أما لو أريد تشبيهها بالأجرام الصلبة الشاملة للمعادن وغيرها فتتوجه صحة التفريع بلا تكلف إذ المعنى أنها صارت كالصلب فهى كأصلب ما يكون منه ، ولا يرد عليه شيء وبه يندفع أيضا الشبهة الواردة فى التشبيه » حاشية الشهاب ٢ /١٨٥

الآيات التى تضمنت التشبيه مع الكناية :

فى قوله تعالى ﴿وجنة عرضها السموات والأرض﴾[١] قال البيضاوى أى عرضها كعرضهما ، وذكر العرض للمبالغة فى وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لأنه دون الطول .

قال الشهاب : « قوله وذكر العرض للمبالغة . لأنه أقصر الامتدادين وزاد فى المبالغة بحذف أداة التشبيه وتقدير المضاف[٢]

فليس المقصود تحديد عرضها حتى يمتنع كونها فى السماء بل هو كناية عن السعة بما هو فى تصور السامعين كذلك[٣] » حاشية الشهاب ٣/٦٣

فى قوله تعالى ﴿ ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم[٤]) قال البيضاوى : ما لم نجعل لكم من السعة وطول المقام يا أهل مكة ، أو ما لم نعطكم من القوة والسعة فى المال والاستظهار بالعدد والأسباب .

قال الشهاب : « تفسيره بالجعل المذكور لبيان المقصود الذى جعل كناية عنه كما فى الكشف ، ولا حاجة إلى جعله تجريدا كما قيل .

---

(١) آل عمران ١٣٣ ، وقال الرمانى : هذا تشبيه قد أخرج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم ، وفى ذلك البيان العجيب بما قد تقرر فى النفس من الأمور والتشويق إلى الجنة بحسن الصفة مع ما لها من السعة وقد اجتمعا فى العظم ، ثلاث رسائل فى الإعجاز ص ٧٧ . (٢) أى كعرضهما

(٣) وفى الكشاف : المراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه ، الكشاف ١/٤٦٣ .

(٤) الآية ٦ سورة الأنعام .

وقوله : أو ما لم نمطكم من القوة والسعة ... إشارة إلى أن مكناهم كناية عن إعطاء ما تمكنوا به من أنواع التصرف .

والوجه الأول ناظر إلى أن (مكنا) بمعنى جعلنا لهم مكانا وهو كناية عن السعة وطول المقام .

والثانى ناظر إلى أنه بمعنى التقرير والتثبيت وهو كناية عن القوة المذكورة ، ويصح أيضا جعله مفعولا مطلقا على أنه بيان لمحصل المعنى ثم إذا كانت (ما) بمعنى تمكينا فالمراد التشبيه نحو ضربته ضرب الأمير

وأشار فى الكشاف[1] إلى أنه من التشبيه المقلوب وهو أبلغ لأن تمكن عاد ونحوهم أقوى فالظاهر جعله مشبها به » حاشية الشهاب ٤/٢٢

فى قوله تعالى (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم)[2] قال البيضاوى : ومثل ذلك الفتن — وهو اختلاف أحوال الناس فى أمور الدنيا — فتنا : أى ابتلينا بعضهم ببعض

قال الشهاب : « يعنى مثل مافتنا الكفار بحسب غناهم وفقر المؤمنين حتى أهانوهم لاختلافهم فى الأسباب الدنيوية فتناهم بحسب سبق المؤمنين إلى الإيمان وتخلفهم عنه حتى حسدوهم وقالوا ما قالوا لاختلاف أديانهم فشبه فتناً بفتن .

والزمخشرى : جعل ذلك إشارة إلى هذا الفتن المذكور وعبر عنه

---

(١) الكشاف ٢/٦
(٢) الأنعام ٥٣

بذلك إيذانا بفخيمه ولذا قال: ومثل ذلك الفتن العظيم كقولك ضربت زيدا ذلك الضرب .

ولا يلزم منه تشبيه الشيء بنفسه لأن المثل ليس بمراد وإنما جيء به مبالغة كما يقال : ذلك كذلك ، كذا قرره العلامة[1] .

يعني أن التشبيه كما يجعل كناية عن الاستمرار لأن ماله أمثال يستمر نوعه بتجدد أمثاله كما أشار إليه شراح الحماسة في قوله :

هكذا يذهب الزمان ويفنى الـ ـعلم فيه ويدرس الأثر[2]

والاستمرار يقتضي التحقق والتقرر ويستلزمه فجعل في أمثال هذا بواسطة الاشارة إلى البعيد عبارة عن تحقق أمر عظيم .

وكونه عظيما مستفاد من لفظ ذلك المشار به إلى هذا الفتن القريب المذكور وليست الكاف فيه زائدة .

ومن قال : إن الكاف فيه مقحمة أراد أن التشبيه غير مقصود فيه بل المراد لازمه الكنائي أو المجازي .

وصاحب الكشاف لما في هذا الوجه من البلاغة والدقة اختاره فيما ورد فيه كذلك[3]

وبعضهم لما رأى عمومه وتوهم فيه تشبيه الشيء بنفسه أوله وتكلف لوجه التشبيه والمغايرة .

---

(١) الكشاف ٢/٢٢ (٢) البيت لرجل من بني أسد ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي ١/٤٣٨ .

(٣) يعني أن صاحب الكشاف اختار أن المراد من التشبيه معنى كنائية وذلك في الآيات التي جاءت على هذا المنوال .

وقال الطيبى فى شرح قوله ﴿كذلك زينا﴾[١] فى هذه السورة — لما قال الزمخشرى : « ومثل ذلك التزيين البليغ » — هذا على أن يكون المشار إليه ما فى الذهن .

وفى قوله تعالى ﴿هذا فراق بينى وبينك﴾[٢] والمبالغة إنما يفيدها الإبهام الذهنى ، والتفسير بقوله زين وهو ما يعلمه كل أحد من المزين من هو ؟ انتهى .

فعلى هذا المشبه به الأمر المقرر فى المعقول والمشبه ما دل عليه الكلام من الأمر الخارجى وهو تخريج لطيف إلا أنه يخالف ما نقل صاحب الكشف فى سورة الدخان عن العلامة الزمخشرى أنه قال : المعنى فيه أنه لم يستوف الوصف وأنه بمثابة ما لا يحيطه الوصف فكأنه قال : الأمر نحو ذلك وما أشبهه .

أقول : أراد أن الكاف مقحم للمبالغة وقد سلف إشارة إلى ذلك وأن هذا الاقحام مطرد فى عرف العرب والعجم · انتهى .

فهو من باب الكناية وهو وجه بديع .

وهذا مما من الله به علينا فاحفظه فإنك لا تجده فى غير كتابنا هذا »

حاشية الشهاب ٤/٦٨

فى قوله تعالى ﴿ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾[٣] ، قال البيضاوى : أى ما البعث أو القول

---

(١) الأنعام ١٠٨ . وانظر الكشاف ٢/٤٣

(٢) الكهف ٧٨ (٣) هود ٧ .

به أو القرآن المتضمن لذكره إلا كالسحر في الخديعة والبطلان .

قال الشهاب : « قوله ما البعث أو القول به .. إلخ إشارة إلى قول الرسول عليه الصلاة والسلام وذكره البعث ، والتركيب من التشبيه البليغ ، أى ما قلته كالسحر في بطلانه.

والثانى (١) : أنه إشارة إلى القرآن كأنه قال : لو تلوت عليهم من القرآن ما فيه إثبات البعث لقالوا هذا المتلو سحر .

والمراد إنكار البعث بطريق الكناية الإيمائية لأن إنكار البعث إنكار للقرآن (٢)

وقيل : الأولى طرح الوجه الأول إذ لا لطف في تشبيهه بالسحر ، ولعله زاد قوله : والبطلان لذلك ، وفيه أنه لا خصوصية له ترجحه من بين الأباطيل.

وهو كلام ساقط لأنه أى خصوصية أقوى من وقوعه في جواب ذكر البعث لهم .

وقد أوضح وجه الشبه بقوله : في الخديعة حيث كان ذكره يمنع الناس عن لذة الدنيا الدنية ويصرفهم إلى الانقياد ودخولهم تحت الطاعة » حاشية الشهاب ٥/٧٦

في قوله تعالى ﴿فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾(٣) قال البيضاوى: أى كما أرسل به الأولون مثل اليد البيضاء والعصا ... الخ وصحة التشبيه من حيث إن الإرسال يتضمن الإتيان بالآية .

---

(١) يعنى قول البيضاوى أو القرآن ... ألخ

(٢) وهذا كما في الكشاف ٢/٢٦٠ (٣) الأنبياء ٥

قال الشهاب : « التعبير فى حقه بالإتيان والعدول عن الظاهر فيما بعده إيماء إلى أن ما أتى به من عنده وما أتى به الأولون من الله ففيه تعريض مناسب لما قبله من الافتراء [1] وسيأتى .

فما قيل : إنه إيمـاء إلى وجه العدول عن أن يقول : كما أتى به الأولون فإن مرادهم اقتراح آية مثل آية موسى وعيسى عليهما السـلام لا غيرهما لا وجه له .

وقوله : وصحة التشبيه .. الخ ترك قوله فى الـكشاف [2] : ألا ترى أنه لا فرق بين أن تقول :أرسل محمد صلى الله عليه وسلم وبين قولك أتى محمد بالمعجزة ، لما أورد عليه من أن الفرق بينهما واضح :

فإن إرسال الرسول عليه الصلاة والسلام بعثه للخلق للتبليغ والإتيان بالمعجزة أمر آخر ؟

وأنه أجيب عنه بأنه لازم له فى الواقع ، فالمراد أنه كناية عنه وهى أبلغ وإن كان مآلهما واحداً .

واعترض على المصنف بأن هذا إنما يحتاج إليه إذا لم تـكن (ما) موصولة وقد اختاره ؟

وهذا من عدم الوقوف على مراده وأنه لا مخالفة بينه وبين ماوقع فى الـكشاف ، وليس مدار ماذكروه على الموصولية والمصدرية بل على تشبيه آياته بآياتهم أو إتيانه بالآية بإتيانهم بآياتهم بلا شبهة لاتشبيه

(١) يعنى قوله « بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه »
(٢) الـكشاف ٢/٥٦٣

إتيانه بإرسالهم على أحد الوجهين فانه لابد له من متعلق مقدر .

والمرسل به إما الشرائع وإما الآيات وإما مجموعها :

وعلى الأول والثالث[1] لايصح التشبيه لأنه غير مراد فيكون باعتبار مايستلزمه على الأول وباعتبار جزئه الذى فى ضمنه على الثالث.

وأما على الثانى[2] فالإرسال فعل الله وليس المقصود التشبيه به بل بلازمه المذكور أيضا .

فان قلت : فليكن مصدراً للمجهول ومعناه حينئذ كونه مرسلا من الله بالآيات ؟

قلت : على تسليم وجود المصدر للمجهول هو أيضا مغاير للاتيان وإن لم ينفك عنه فلابد من إرادة ماذكر .

ومن لم يقف على مراده قال : إن الواو فى قوله وصحة التشبيه... بمعنى أو فبناء الوجه الثانى على المصدرية ، وهذه عكازة أعمى[3] وتكلف كما لايخفى كالقول بأن الأول بيان لحاصل المعنى .

وقيل : « إنه بناء على اعتبار التشبيه فى الاتيان فتأمل » حاشية الشهاب ٧/٢٤٣

فى قوله تعالى ﴿ ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾[4] قال البيضاوى فمثله أى

(١) يعنى أن المرسل به الشرائع أو مجموع الشرائع والآيات

(٢) يعنى أن المرسل به الآيات (٣) يقصد مجرد كلام بلا دليل

(٤) الأعراف١٧٦ ، وقال أبو هلال التشبيه هنا لاخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ماتقع عليه الحاسة الصناعتين ص ٢٤٦ .

صفته التى هى مثل فى الخسة كمثل الكلب كصفته فى أخس أحواله يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد أو ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات .

قال الشهاب : « الإخلاد إلى الأرض كناية عن الإعراض عن الآيات .

والمثل : الصفة لا الحال والقصة ليقطع بأنه من تشبيه المركب بالمركب بل الظاهر أنه تشبيه لصفته بصفة الكلب أو لنفسه بنفسه فى غاية الخسة والذلة .

لكن قد يفهم من جعل الشرطية حالا من الكلب قيدا فى التشبيه به أن التشبيه مركب وكذا قول المصنف التمثيل [1] قد يشير إليه .

والمراد بالتمثيل فى كلامه مطلق التشبيه بالمعنى اللغوى ويحتمل أن يراد معناه المعروف .

والمراد بلازم التركيب أنه لم يرفع بل أذل وأهين ، ولازم الشىء يدل عليه بطريق البرهان وبينه أتم بيان فلذا قال : للمبالغة والبيان ، ولأن التمثيل بالنسبة إلى أصل المعنى كناية هى أبلغ من التصريح ، والبيان لكونه تصويراً للمعقول بالمحسوس .

ولذا قيل : أراد بلازم التركيب ما هو بمنزلة نتيجته » .

وقال البيضاوى : وقيل لما دعا على موسى عليه السلام خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب .

(١) يقصد قول البيضاوى : والمعنى لاهثاً فى الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذى هو نفى الرفع ووضع المنزلة للمبالغة .

ويوضح الشهاب هذا بقوله : ذكر فيه ثلاثة أوجه في الكشاف[1] :

الأول : تشبيهه بالكلب في الخسة تشبيه مفرد بمفرد .

الثاني : تشبيهه به في استواء الحالتين في النقصان وأنه ضال وعظ أو لم يوعظ كالكلب حمل عليه أو لم يحمل .

والظاهر أنه تشبيه مركب في هذا الوجه .

الثالث : التشبيه في اللهث[2] وهذا هو الوجه الذي ذكره المصنف فوجه التشبيه في الأولين عقلي وفي الثالث حسي » . حاشية الشهاب ٤/٢٣٧

في قوله تعالى ﴿ أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب ﴾[3] قال البيضاوي يجعله درقة يقي به نفسه لأنه يكون مغلولة يداه إلى عنقه فلا يقدر أن يتقي إلا بوجهه .

قال الشهاب : « الدرقة — بفتحتين — ترس من جلود يتقي به ، وهو هنا تشبيه بليغ ، أي يجعل وجهه قائماً مقام الدرقة في أنه أول ما يمسه المؤلم لأن ما يتقي به هو اليدان وهما مغلولتان ولو لم يغلا كان يدفع بهما عن الوجه لأنه أعز أعضائه[4] .

وقيل الوجه لا يتقي به فالاتقاء به كناية عن عدم ما يتقي به إذ

---

(١) انظر الكشاف ٢/١٣١

(٢) وهذا ما اختاره ابن ناقيا ، الجمان ج ١١٢

(٣) الآية ٢٤ سورة الزمر

(٤) هذا مأخوذ من الكشاف انظر ٢/ ٣٨٥

الانتقاء بالوجه لاوجـــه له ، وليس ببعيد من كلام المصنف » حاشية الشهاب ٣٣٧/٧

فى قوله تعالى ﴿ ليس كمثله شىء ﴾(١) قال البيضاوى : أى ليس مثله شىء يزاوجه ويناسبه ، والمراد من مثله ذاته كما فى قولهم : مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة فى نفيه فإنه إذا نفى عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه أولى .

قال الشهاب : « قوله والمراد من مثله ذاته .. الخ هذا تفسير على تقدير عدم زيادة الكاف ، وحاصله — كما أشار اليه المصنف — أن ليس كذاته شىء وقولنا : ليس كمثله شىء عبارتان عن معنى واحد وهو نفى المماثلة عن ذاته ، لكن الأول(٢) صريح فى ذلك والثانى(٣) كناية مشتملة على مبالغة .

وهى : أن المماثلة منفية عمن يكون مثله وعلى صفته فكيف عن نفسه ؟ وهذا لا يستلزم وجود المثل .

ألا ترى أن مثل الأمير يفعل كذا ليست اعترافا بوجود مثل له إذ الغرض كاف فى المبالغة(٤) .

وقوله : فى نفيه أى نفى الفعل عن الفاعل أو نفى الشبه عنه ومن يناسبه ويسد مسده هو للمثل المشبه لأن المشبه به حقه أن يكون أقوى من المشبه ومثله كاف فى حصول المراد » . حاشية الشهاب ٤١٢/٧

---

(١) الشورى ١١ .

(٢) يعنى ليس كذاته شىء (٣) يعنى ليس كمثله شىء

(٤) ماذكره مأخوذ من الكشاف بتصرف ، انظر ٤٦٣/٣

فى قوله تعالى ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء ﴾[1] قال البيضاوى : فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا ﴿ كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ﴾ فيما نسجته فى الوهن والخور بل ذاك أوهن فإن لهذا انتفاعا ما وحقيقة ، أو مثلهم بالإضافة إلى الموحد كمثله بالإضافة إلى رجل يبنى بيتا من حجر أو جص ﴿ وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت ﴾ لا بيت أوهن وأقل وقاية للحر والبرد منه ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ يرجعون إلى علم لعلموا أن هذا مثلهم ، أو أن دينهم أوهن من ذاك .

ويجوز أن يكون المراد بيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وأن أوهن ما يعتمد به فى الدين دينهم

قال الشهاب : « المثل بمعنى الصفة العجيبة أو بمعنى الشبه » .

اعلم : أنه قال فى الكشاف[2] : الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا فى دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس فى الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت ، ألا ترى إلى مقطع التشبيه وهو قوله ﴿ وإن أوهن البيوت ﴾ ومعنى قوله ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن

ووجه آخر : وهو أنه إذا صح تشبيه ما اعتمدوه فى دينهم ببيت العنكبوت وقد صح أنه أوهن البيوت فقد تبين أن دينهم أوهن الأديان لو كانوا يعلمون .

---

(١) العنكبوت ٤١ ، وقال الرمانى : التشبيه أخرج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بها ، ثلاث رسائل فى الإعجاز ص٧٨

(٢) الكشاف ٣/٢٠٦

أو أخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز فكأنه قال: وإن أوهن ما يعتمد عليه فى الدين عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون .

ولقائل أن يقول : مثل المشرك الذى يعبد الوثن بالقياس إلى المؤمن الذى يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتا بالإضافة إلى رجل يبنى بيتاً بآجر وجص أو ينحته من صخر ، وكما أن أوهن البيوت إذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك أضعف الأديان إذا استقريتها دينا دينا عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون . ا . هـ .

يعنى : أن الغرض من التشبيه تقرير وهن دينهم وأنه بلغ الغاية فيه بوجوه :

الأول : أنه تشبيه مركب فى الهيئة المنتزعة كما أومأ إليه بقوله : اتخذوه متكلا ومعتمدا بذكر الاتخاذ والمتخذ والاتكال عليه .

وقوله : وأن أمر دينهم بالغ . . الخ تصريح بالغرض منه ، ومدار قطبه على أن أولياءهم بمنزلة نسج العنكبوت فى ضعف الحال وعدم الصلاحية للاعتماد ، ﴿ وإن أوهن البيوت ﴾ على هذا تذييل يعرف الغرض من التشبيه ولهذا استشهد به فقال . ألا ترى . . الخ .

وقوله : ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ إيغال فى تجهيلهم لأنهم لا يعلمونه مع وضوحه لدى من له أدنى مسكة[1] .

والثانى : مثله إلا أنه يخالفه فى أن قوله ﴿ وإن أوهن البيوت ﴾

(١) هذا وقال ابن ناقيا : المعنى من عبد غير الله فقد اتخذ وليا من دونه لا ينفعه ولا يضره فكان فى اتخاذ ذلك كالعنكبوت فى اتخاذها بيتا لا يجنها من شىء ولا يكنها من حر ولا برد ، الجمان ص ١٨٦ .

مقدمة مقصودة والنتيجة مطوية فى قوله ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ لأنه لنفى جهلهم بالمقصود ، ومجموع المقدمتين وما بعده يدل على المراد بطريق الكناية الإيمائية .

والثالث : يخالفه فى أن التذييل استعارة تمثيلية تقرر الغرض بتبعية تقرير المشبه وكان فى الأول بتقرير المشبه به وهو قريب من التجريد والترشيح، والأول أولى لأن نهج البلاغة تقرير المشبه به ليدل به على تقرير المشبه .

وأما قوله : ولقائل .. الخ . فوجه مستقل مبنى على التفريق .

والغرض: إظهار تفاوت المتخذين والمتخذ مع توهين أحدهما وتقوية الآخر فيجوز كون قوله : (وإن أوهن البيوت . . الخ) جملة حالية أو اعتراضية لأنه لما لم يؤت به كان فى ضمنه ما يرشد إليه وكلامه إلى هذا أميل وهو أوجه .

والأولى أن يكون من تشبيه المفرد لأن المقصود بيان حال العابد والمعبود ، وهذا زبدة ما فى الكشف ، ولا عطر بعد عروس .

فقوله : مثلهم بالاضافة .. الخ عطف بحسب المعنى على قوله فيما اتخذوه وهو إشارة إلى أنه تشبيه مركب ويحتمل التفريق كما مر وفيه إيماء إلى قوة الاسلام وبنيانه .

وقوله : بل ذاك أوهن [1] . . هذا لا ينافى كون وجه الشبه فى المشبه به أقوى لأنه من تشبيه المعقول بالمحسوس ووهن المعقول معقول غير محسوس لامتناع قيام المحسوس به فهو من هذا الوجه فى المشبه به

(١) هذا عود إلى توضيح كلام البيضاوى

أقوى وإن كان فى المشبه أقوى من وجه آخر ، ولو لم يرد هذا ناقض قوله بعده : لا بيت أوهن منه مع أن اشتراطه فى كل تشبيه ليس بصحيح(١) كما صرح به أهل المعانى بل قد يكتفى بكونه أشهر وبيت العنكبوت مشهور بذلك متعارف ضرب به المثل ، وأيضا هذا كله إذا لم يصرح بوجه الشبه ويعلم الحال كما هنا واليه أشار القائل بقوله :

والله قد ضرب الأقل لنوره   مثلا من المشكاة والنبراس(٢)

قوله : أو مثلهم بالاضافة .. الخ الظاهر أنه على هذا أيضا من التشبيه المركب لأن لفظ المثل صريح فيه .

والفرق بينه وبين الأول : أن فيه شبهت حالهم فى أنفسهم من غير إيماء إلى قوة بنيان الايمان ، وفى هذا نظر اليه .

وأما كونه مفردا أو مفرقا فبعيد من كلامه بمراحل .

وقوله : لا بيت أوهن وأقل : . الخ هذا يفيد أيضا نفى مساواته له فى العرف كما يقال : ليس فى البلد أعلم من فلان فيطابق المفسر المفسر ، والعدول عما فى النظم مع أنه أصرح دلالة على ما ذكر لأن فيما ذكره عموم المفضل عليه لوقوعه نكرة فى سياق النفى بخلاف المذكور فيه .

ولو ترك ذكر الوقاية أو بدله بأقل بناء وانتفاعا كان أولى لا لتحصيل الدلالة اللغوية والعرفية كما توهم فإنه ليس بلازم هنا الدلالة على ذلك المعنى بطريقين ولا لإظهار اختلاف المقدمتين إثباتا ونفياً حتى

---

(١) سبق منا بيان ذلك

(٢) البيت لأبى تمام ، وأنظر القصة فى ديوان أبى تمام ٢٤٩/٢

يكون من الشكل الثانى المنتج أن لا شيء أوهن من دينهم ، فإنه لو أبقى على ظاهره وأرجع إلى الشكل الأول .

هكذا : وهن المشركين كبيت العنكبوت وهو أوهن البيوت ، أنتج أن دينهم أوهن من الجميع مع أنه مما لا داعى لارتكابه .

قوله : ويجوز أن يكون المراد . . الخ . على أن يكون قوله : ﴿ وإن أوهن البيوت ﴾ استعارة تمثيلية مبنية على التشبيه المتقدم والمستعار له أضعف الأديان دينهم لا تصريحية فى المفرد كما قيل .

وقوله : تحقيقا للتمثيل . . أى تقريرا للتشبيه المتقدم لأن هذه الاستعارة مبنية عليه .

فإن قلت : إذا كان تشبيها قبله وقد ذكر فيه الطرفان فكيف هذه الاستعارة ؟ أو تحسن مع ذكر الطرفين ؟

قلت : ذكر الطرفين إنما يمنع من كونه استعارة فى جملته وأما فى جملة أخرى فلا ، فيكون هذا جاريا مجرى الترشيح والتجريد كما إذا قيل : زيد فى الكرم بحر والبحر لا يخيب من أتاه على أن البحر الثانى مستعار للكريم ، وقد صرح بما ذكر فى الكشاف وكشفه فاحفظه[1] » حاشية الشهاب ٧ / ١٠١ .

---

(١) هذا ، وقال أبو حيان : يشبه تعالى الكفار فى عبادتهم الأصنام وبنائهم أمورهم عليها بالعنكبوت التى تبنى وتجتهد وأمرها كله ضعيف متى مسته أدنى هامة أذهبته فكذلك أمر أولئك وسعيهم مضمحل لا قوة له ولا معتمد . البحر المحيط ٧/١٥٢ .

الفرق بين التشبيه المكنى والاستعارة المكنية :

فى قوله تعالى ﴿ إنى وهن العظم منى ﴾[1] قال الشهاب : « وههنا فائدة وهى : أن فى قوله ﴿ وهن العظم ﴾ كناية عن وهن الجسد كله وهى مبنية على تشبيه مضمر ، وهو تشبيه العظم بعمود وأساس ففيه تخييل كما ذكره شراح الكشاف .

ومنه تعلم الفرق بين التشبيه المكنى والاستعارة المكنية ، فإن الثانية[2] لا تحسن بدون التخييلية بخلاف الأولى فاحفظه وتدبر الفرق بينهما فإنه من دقائق هذا الكتاب »[3] .

تم بحمد الله

المدينة المنورة فى

جمادى الأولى سنة ١٤٠١ هـ
مارس سنة ١٩٨١ م

---

(١) مريم ٤　　　　(٢) يعنى الاستعارة المكنية
(٣) حاشية الشهاب ٦/١٤٤ .

أهم المراجـــع

١ - أسرار البلاغة . عبد القاهر الجرجانى . مطبعة الاستقامة .
٢ - الإتقان فى علوم القرآن . السيوطى .
٣ - إعجاز القرآن . الباقلانى . تحقيق السيد أحمد صقر . ط دار المعارف سنة ١٣٧٤ هـ .
٤ - إعراب القرآن . الزجاج . تحقيق إبراهيم الأبيارى . ط المؤسسة المصرية للتأليف والنشر سنة ١٩٦٣ م .
٥ - أمالى المرتضى . على بن حسين العلوى . ط مطبعة السعادة . طبعة أولى .
٦ - الأعلام . خير الدين الزركلى . الطبعة الثانية .
٧ - الأمثال القرآنية . عبد الرحمن حسن حنبكة . ط دار القلم . بيروت .
٨ - الإيضاح . تحقيق لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية . مطبعة السنة المحمدية .
٩ - البديع فى ضوء أساليب القرآن . د. عبد الفتاح لاشين . ط دار المعارف
١٠ - بغية الإيضاح . عبد المتعال الصعيدى . المطبعة النموذجية بمصر .
١١ - البيان فى ضوء أساليب القرآن . د. عبد الفتاح لاشين ، ط دار المعارف
١٢ - تأويل مشكل القرآن . ابن قتيبة . تحقيق السيد أحمد صقر . ط دار إحياء الكتب العربية .
١٣ - تاريخ آداب اللغة العربية . جورجى زيدان . ط بيروت .
١٤ - تفسير ابن كثير . مطبعة المنار ١٣٤٣هـ .
١٥ - تفسير البحر المحيط . أبو حيان الأندلسى . ط دار الفكر بيروت .

١٦ - تفسير الطبرى . طبع بولاق وطبع دار المعارف .
١٧ - التفسير الكبير . للإمام الرازى . ط عبد الرحمن محمد . طبعة أولى .
١٨ - تلخيص البيان . الشريف الرضى .
١٩ - ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن . ط دار المعارف .
٢٠ - الجمان فى تشبيهات القرآن . ابن ناقيا البغدادى . تحقيق مصطفى الصاوى الجوينى . ط منشأة المعارف . الإسكندرية .
٢١ - حاشية السيد على الكشاف . ط مصطفى الحلبى .
٢٢ - حاشية السيد على المطول .
٢٣ - خزانة الأدب . البغدادى .
٢٤ - خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر . المحبى . ط بيروت .
٢٥ - دلائل الإعجاز . عبد القاهر الجرجانى . تحقيق محى الدين عبد الحميد .
٢٦ - ديوان أبى تمام . شرح التبريزى . ط دار المعارف الطبعة الثانية .
٢٧ - سر صناعة الاعراب . ابن جنى . طبع البابى الحلبى . مصر .
٢٨ - سر الفصاحة . ابن سنان الخفاجى . تحقيق عبد المتعال الصعيدى . مطبعة محمد على صبيح .
٢٩ - شرح ديوان الحماسة . التبريزى . طبع دمشق .
٣٠ - شرح ديوان المتنبى . عبد الرحمن البرقوقى . ط بيروت .
٣١ - شرح مقامات الحريرى . أحمد بن عبد المؤمن الشريشى . ط بولاق سنة ١٣٠٠ هـ
٣٢ - شروح التلخيص . مطبعة عيسى الحلبى مصر .
٣٣ - الصحاح . الجوهرى . طبع دار الكتاب العربى . مصر .
٣٤ - الصناعتين . أبو هلال العسكرى . طبع عيسى الحلبى .
٣٥ - الطراز . يحيى بن حمزة العلوى . ط دار الكتب العلمية . بيروت .
٣٦ - عقود الجمان فى المعانى والبيان . السيوطى . ط مصطفى الحلبى .
٣٧ - العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده . ابن رشيق القيروانى . تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد . ط مطبعة السعادة بمصر .

٣٨ - الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن . ابن القيم الجوزية . ط بيروت .
٣٩ - كتاب سيبويه . ط بولاق سنة ١٣١٦ هـ .
٤٠ - الكشاف . الزمخشري . ط مصطفى الحلبي ومعه الانصاف لابن المنير .
٤١ - كشف الظنون . حاجي خليفة . ط مكتبة المثنى . بيروت .
٤٢ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر . ابن الأثير . تحقيق د. أحمد الحوفي ، د . بدوي طبانة . ط مكتبة نهضة مصر .
٤٣ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ابن عطية الأندلسي . ط المجلس العلمي فاس . المغرب .
٤٤ - المطول . سعد الدين التفتازاني .
٤٥ - معاني القرآن . الفراء . تحقيق محمد علي النجار . ط الدار المصرية للتأليف والترجمة .
٤٦ - مفتاح العلوم . السكاكي . ط مصطفى الحلبي .
٤٧ - المفردات في غريب القرآن . الراغب الأصبهاني . ط مصطفى الحلبي .

فهرس الموضوعات

صفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨١/٢٩٤٢